

تشرح قصص الحق

الشيخ محمد بن يحيى بهران
رَحِمَهُ اللهُ

اِبْتِسَامُ الْبَرِّ
شرح منظومة القصص الحق
سيرة خير الخلق
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ
يَحْيَى شَرْفُ الدِّينِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ

الطبعة الأولى

١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م

يطلب من مؤسسة غمضان التجارية صنعاء، اليمن

صندوق بريد ٤٨٣ - هاتف ٤٦٠

تحقيق وتقديم وإشراف

الحجى عبد الكريم الفضيل
ساحس

طبع على نفقة السيد العلامة أحمد بن يحيى شرف الدين كوكبان ومركاه

حقوق الطبع محفوظة
١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م

الطبعة الأولى

بيروت — لبنان

مَقَدِّمَةٌ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتابة عن السيرة النبوية ، كتابة عن المثل العليا للإنسانية في أجلّ صفاتها ، وهي أعلى الصفات الأخلاقية والروحانية ، والعلمية والأدبية ، والكتابة عن السيرة النبوية كتابة عن النموذج الأكمل والأسنى في الحضارة الدنيوية بكل معانيها ، الاجتماعية والعمرائية والسياسية والاقتصادية ، والكتابة عن سيرة خاتم الرسل صفوة الله من خلقه محمد بن عبدالله ﷺ هي كتابة عن الدولة الإسلامية منذ نشأتها الأولى ، بأقوى وأمن كيان وهي بكافة مقوماتها الاستقلالية والحضارية ، من عدالة إجتماعية وحماية عسكرية حربية ودفاعية ، بإدارة قوية داخلية وخارجية .

بل هي الدولة الإسلامية التي قامت وتقوم على تدريب أبنائها كل أبنائها على الأخلاق والفواضل وعلى الدفاع بكل وسائل القوة الأدبية والحربية لتكون حضارية بأعمالها ، إنسانية بأخلاقها ، مستقلة تحمي كيانها بأبنائها .

ومهما يكن من قدرة أدبية للمؤلفين والمؤرخين فلن يقدر أحد منهم أن يستوعب تحقيق وشرح باب واحد من هذه الأبواب مهما علت كفاتهم وارتفعت قدرتهم وملكتهم في البيان والأسلوب .

ذلك لأنها سياسة إدارية رسمها وخطط لها الحكيم العليم في القرآن الكريم الدستور الدائم للأمة الإسلامية ولقد قال (ما فرطنا في الكتاب من شيء . ٥)

وكتاب الله دستور الدولة الإسلامية ، ولا خوف عليه من تحريف أو ضياع لأنه محفوظ بعناية من أنزله سبحانه وتعالى القائل (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) :

إن الكتابة عن السيرة النبوية ، والعناية بأسانيدھا الصحيحة ، وطرقھا الواضحة الصريحة ، تعني أكثر مما تعني بأنها سيرة أكرم الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ لأنها تعني بالنظر لعموم المسلمين أنها دستور حياة أمر بها القرآن الكريم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (ما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

فالكتابة عن السيرة النبوية تعني تدوين أحكام دستورية من أحكام الشريعة الإسلامية بنص القرآن الكريم (والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى) .

وقد كتب عنها المؤلفون والمؤرخون وهم كثر وكلهم من أولهم إلى آخرهم يجد هذه السيرة النبوية بحر علوم لا ينحسر ، ومعين أحكام لا ينضب ، جواهر أخبارها لا يعلق بها صدى ، ولا يقطعها مدى ، تواترت بها الأخبار ، فحكّت عنها الرواة وألوف الأسفار .

فلا يجد المعارض فيها منفذاً لنقده ، ولا يجد المعادي فيها مسلماً لعناده ، وبالرغم عن كثرة ما كتب المعاندون من المستشرقين وغيرهم لإرادة إيجاد نقطة ضعف ليصبوا عليها حقد قلوبهم ، ويصوّبوا إليها نبال سمومهم وكلما رأوا في خيالاتهم شبهة خفية ، وحاولوا وضع غشاوة من أضاليل افتراءاتهم ، كلما بهرهم سطوع برهان الحق ، وظهور النور الساطع باليقين ، (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

وكلما بهرهم ما في السيرة النبوية والحوادث التي جرت فيها وما فيها من المعجزات الخارقة ، والآيات الواضحة ، رجعوا خائبين خاسئين (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) .

فلهذا كانت دراسة السيرة النبوية ما تزال ضرورية لأتباع الرسالة الخالدة ليعلموا ما يكاد لهم بعد ذلك من ورائهم ويعرفوا كيف يردون أيدي العابثين والماكرين عن شرف رسالتهم وقداسة أمتهم المحمدية على صاحبها وآله أفضل الصلوات والتسليم .

والظاهرة البارزة في الفرق بين كتابة السيرة في القرون السابقة وبين كتابتها اليوم هي أن كتابة الأفاضل ، من العلماء الأوائل ، تعني بالحقائق والواقعية ، دونما حاجة إلى تصنيع في الألفاظ ولا تنسيق في السرد .

لذلك كانت كتابة الأوائل من العلماء أصل كبير يمكن الإعتماد عليه والإستنباط منه لأن الكتابة في اليوم قد أصبحت منمقة بالفاظ والقصد منها إبراز المظاهر والأهداف والتزعات المذهبية .

لهذا نجد علماء الزيدية في مؤلفاتهم لا يطلبون الا الحق ولا يقولون إلا الصدق ولا ينقمون إلا على الباطل من أي مصدر ورد ، فلا انحياز مذهبي ولا إستجداء مادي ولا محاولة فرض رأي على أي أحد من الناس .

والزيدية وإن كان لهم غرض النشر والتوعية فهم لا يغمطون مؤلفات الآخرين ولا ينتقصون رأياً ولا مذهباً من آراء العلماء المجتهدين لأن من أصول قواعد الزيدية أن كل مجتهد مصيب في ما أدى إليه لإجتهد في البحث المنصف عن الحقيقة في أي مسألة فرعية عملاً بقوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمةً فيأذن الله) وقوله ﷺ (من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر) .

أما في مسائل الأصول فإن الحق مع واحد وليس لأي أحد من الطلاب تقليد أي أحد من العلماء في أصول الدين فإن الحق في أصول الدين مع واحد والمخالف يهيم في ضلال مبين .

إذا عرفنا ذلك ، عرفنا قيمة رواية الإمام الأعظم المتوكل على الله (يحيى شرف الدين عليه السلام) إمام الجهاد والاجتهاد ، والمرجع لعلماء الإسلام في جميع البلاد ، سيما مع حيازته للسمع والرواية عن الأئمة المجتهدين .

إذا عرفنا كل ذلك ، عرفنا أن روايته للسيرة النبوية رواية صحيحة بأعلى أسانيد الصحة وها هو قد سرد جواهر أخبار السيرة في سلك النظام الرائع الفصيح مما يجعل القارئ يتتهج أيماً ابتهاج عند قراءته لها ويستمتع بما حوته من جودة النظم وحسن التأليف وبلاغة الخطاب .

وكل ما يلزم من فقه من السيرة النبوية لسيد الخلق قد حواه أو دها إليه في منظومته (قصص الحق) .

وقد ابتدرها كثير من العلماء الأعلام فألفوا عليها الشروح المستفيضة والتعليق المفيدة منها شرح المولى الصدر شيخ الإسلام محمد بن يحيى بهران رضي الله عنه وهو ما نقدم له هذه السطور .

فهي عن ذكر مقدار ما حوته القصيدة من الفصاحة والبلاغة أمثاما لصاحبها من سعة الإطلاع والعلم بالرواية والدراسة فلا بد من إطلاع القارئ على شيء من ترجمته مع ترجمة الشارح رحمهما الله تعالى .

أما الناظم فهو مولانا الإمام المتوكل على الله (يحيى شرف الدين) بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد ^(١) بن يحيى المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن الفضل بن الأمير الكبير المنصور بالله بن الأمير المجتهد المطلق أبي الأئمة الفضل بن عبد الله الملقب بالحجاج لكثرة حجه ابن الأمير علي بن الأمير الكبير العالم يحيى بن الإمام الأعظم القاسم ^(٢) بن الإمام الداعي إلى الله يوسف ^(٣) بن الإمام المنصور بالله يحيى ^(٤) بن الإمام الناصر للدين أحمد ^(٥) بن الإمام الهادي لدى الله يحيى ^(٦) بن الحسين الحافظ المحدث ابن إمام الأئمة وترجمان الأئمة القسم الرسي ^(٧) بن إبراهيم البحر الغمر طباطبا بن إسماعيل الديباج بن الإمام إبراهيم الشبه ^(٨) بن الإمام الحسن ^(٩) المثنى بن الإمام

(١) دعوته سنة ٧٩٣ هـ وقد عارضه الامام المنصور علي بن صلاح الدين واستطاع ان يتغلب عليه فسجنه في صنعاء لمدة سبع سنوات اشتغل المهدي عليه السلام في خلالها بتدوين مؤلفاته القيمة التي نفع الله بها أكثر من غيرها وكما يقال : رب مضرة نافعة . وبعد خروجه من السجن استمر على دعوته إلى أن توفي ٨٤٠ هـ .

(٢) بيعته بعد قتل المهدي الحسين بن القاسم العياني وبعد موت أبيه المنصور سنة ٤٠٤ هـ .

(٣) بيعته سنة ٣٥٨ هـ . وقيل سنة ٣٦٦ هـ . واستمرت إمامته إلى سنة ٣٨٩ هـ . حين تنازل للإمام القاسم العياني وقيل إلى سنة ٤٠٣ هـ . وموته سنة ٤٠٣ هـ بمدينة صنعاء .

(٤) دعوته ومبايعته في سنة ٣٢٥ هـ . إلى سنة ٣٦٦ هـ . وقيل إلى سنة ٣٥٨ هـ .

(٥) مبايعته بالامامة سنة ٣٠١ هـ . بعد تنازل أخيه المرتضى ومبايعته له وهو أول إمام استولى على اليمن الكبرى بأكملها ودخل عدن في ثمانين ألف فارس .

(٦) مبايعته سنة ٣٨٠ هـ . ولأذ بسه أهل اليمن المؤمنين بعد أن فشا الفساد واشترى الشر من الزعماء المتجبرين من المطرفية والقرامطة ودخل صنعاء ورجع إلى الرس فاستنجد به أهل اليمن للمرة الثانية فعاد اليهم وجاهد في الله حق جهاده وكان يقول : « إن هي إلا سيرة علي وإلا فالنار » ومات رحمه الله بصعده ٣٩٨ هـ .

(٧) مبايعته سنة ٢٤٠ هـ . وهو في مدينة الكوفة ثم انتقل إلى الحجاز وسكن جبل الرس وكان إماماً فاضلاً وفيه يقول الشاعر :

ولو أنه نادى المنادى بمكة بخيف مني من تضم المواسم
من السيد السباق في كل غايبة لقال جميع الناس لاشك قاسم

وفاته سنة ٢٤٦ هـ .

(٨) سمي الشبه لكثرة شبهه بمجده رسول الله (ص) قام بعد البيعة له سنة ١٤٥ هـ . ثم طارده المنصور أبو الدوائق العباسي ثم ظفر به فحبسه حتى مات في السنة المذكورة .

(٩) كانت المبايعه له وقام ودعا ثم غلبه الوليد بن عبد الملك بن مروان حتى مات مسموماً ، رضوان الله عليه .

الحسن ^(١) السبط بن أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي ^(٢) بن أبي طالب كرم الله وجهه .
هذا نسبه الشريف وهذا حسبه المنيف .

أما مولد ————— ودعوته ————— ووفاته

فهي كما يلي :

ولد عليه السلام يوم ١٥ رمضان سنة ٨٧٧ هـ . في حصن حضور الشيخ ^(٣) من
مخالف صنعا قضا (ثلا) في اليمن الميمون وبين حضور وكوكبان مسافة تقدر بـ ١٠
كلم ، وبين كوكبان وحضور أودية ومزارع (شبام) و (حبابه) .

والدته الشريفة الفاضلة دهما بنت الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان
الحمزي رحمهم الله تعالى وسبب تسميته بالاسمين معاً (يحيى وشرف الدين) كما
ورد في ترجمته للمولى العلامة محمد بن محمد زباره في تاريخه (أئمة اليمن) أن والده
رأى في المنام أن قائلاً يقول له (إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) ورأى غيره من بلده
أن قائلاً يقول له : بشر ولد المهدي (يعني الأمير شمس الدين) بحدوث ولد له وقل
له يسميه شرف الدين ، وبعد ولادته كتب الأبوان إلى الإمام المطهر بن محمد بن
سليمان جده من قبل أمه بهذين الخبرين عن الرؤيا فأشار عليهما أن يكون تسميته
بالإسمين معاً فعرف بعد ذلك به وقد نشأ في أحضان أبويه وقرأ القرآن الكريم في دمار
وأكمل وهو في ثمان سنوات ثم ارتحل مع والده إلى حصن الظفير ببلاد حجة شمال
صنعا فأخذ في فنون العلم وأمعن فيها درساً وتمحيصاً بجد ونشاط وأخذ على العلماء
الاعلام في الظفير وصنعا ودمار في جميع العلوم الدينية والأدبية والتاريخية حتى برز
في جميعها ولاسيما علوم القرآن الكريم والسنة النبوية وأصول الفقه حتى صار علماً
من الأعلام وإماماً كبيراً ومرجعاً في العلوم شهيراً ، ، في الرواية والدراية والقراءة
والتفسير والفصاحة والبلاغة مع تحليله بالأخلاق الفاضلة والشجاعة النادرة والكرم

-
- (١) هو الاسم السبط ربحانة رسول الله (ص) أحد أهل الكساء الخمسة صلوات الله
عليهم قام لثمان بقين من شهر رمضان ٤٠ هـ . عقيب دفن أبيه كرم الله وجهه وخلافته ستة أشهر
ثم ارتحل إلى المدينة المنورة ومات بها مسموماً سنة ٥٢ هـ . ودفن بالبقيع بجوار أمه بضممة
رسول الله فاطمة الزهراء وذلك في بقيع الفرقد صلوات الله عليهم أجمعين .
- (٢) هو خليفة رسول الله ووصيه وباب مدينة علمه الامام أبي السبطين ولي كل مؤمن ومؤمنة كرم
الله وجهه كانت مبايعته العامة سنة ٣٥ هـ . فقام بها أحسن قيام وكانت سيرته لا تزال مضرب
الأمثال حتى قتل في سنة ٤٠ هـ . في مسجد الكوفة صلوات الله عليه .
- (٣) يرتفع عن سطح البحر ٢٠٠ كم ويبعد عن صنعاء حوالي ٥٠ كم إلى الشمال الغربي .

الفياض ، أما تقواه ^(١) وورعه فحدث عن البحر ولا حرج .
وفي سنة ٩١٢ هـ. رشحه أكابر علماء اليمن وعقلائهم ومشايخهم وانتخبوه إماماً
شرعياً وبايعوه بالإمامة العظمى فقام بالدعوة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كما
يجب ونهض بالإصلاح العام ودعا إلى الجهاد والاجتهاد وأعلن العدل والمساواة بين
العباد وقرب العلماء واستشار العقلاء ونعمت البلاد بما أحياه من السنة والعدل وعمر
الجوامع والمدارس وأحيا علوم الدين وزجرح أركان البدع وحارب الظالمين وعنى
بالتربية الدينية والتقاليد الأصيلة فنعمت الأهالي بالأمن والاستقرار والرفاهة حتى
صار عهده زهرة العهود ، وسار بالبلاد نحو التقدم والثراء وانتشر العلم واستقام الأمر
لكن ذلك لم يرق لأرباب السوء وأصحاب الاستبداد وأعوان الفساد فأوغروا بحملهم
الصدور وشتتوا أولاده الأمور وأبتلي الإمام عليه السلام فصبر ، وامتنح بكف
نظره وقد ترجم له المؤرخون ، وأجمع على فضله أصحاب السير الموالفون والمخالفون
قال شيخ الإسلام محمد الشوكاني في « البدر الطالع » : ولد في ١٥ شهر رمضان
الكریم سنة ٨٧٧ هجرية بحضور الشيخ وقرأ على جماعة من العلماء منهم عبد الله
احمد الشطبي في التذكرة والأزهار وشرحه وفي الخلاصة في علم الكلام وكان ذلك
أيام صغره ثم أعاد قراءة التذكرة على الشيخ عبد الله بن يحيى الناظري ثم قرأ على
والده شمس الدين بن الإمام، الأول من (المفضل) ثم رحل إلى صنعاء في سنة ٨٩٣ هـ.
فتم قراءة (المفضل) على الفقيه العلامة علي صالح العلفي ثم قرأ شرحه على الفقيه
العلامة محمد بن إبراهيم الظفاري وقرأ عليه (شرح الكافية والشافعية) في
الصرف وشرحها و (تلخيص المفتاح والمفتاح للسكاكي) على السيد الهادي ابن
محمد الوزير وقرأ عليه (الكشاف ومختصر المنتهى وشرحه العضد) وقرأ في الحديث
(شفاء الأوام) و (أصول الأحكام) وبعض (جامع الأصول) علي الإمام محمد
علي الوشلي رحمه الله ، وقرأ في كثير من الفنون وبرع في العلوم العقلية والنقلية
واشتهر علمه وظهرت نجابته وأكسب على نشر العلم .

ثم دعا إلى نفسه في العشر الأولى من شهر جمادى الأول ٩١٢ هـ. وكان في ظفير

(١) يروى انه لما رجع إلى صنعاء ٩٣٤ هـ. خرج أولا إلى مقبرة خزيمية فنظر إلى
قبور من بداخلها ومن قطن فيها من تلك الأجسام البالية والعظام الغانية لم يملك الإمام نفسه
البكاء حتى بكى لبكائه من حضر ورق له من نظر ثم إن الإمام إسترجع واستغفر وحمد الله
وشكر ورجع إلى الجامع الكبير فصل فيه ثم طلع إلى محله في القصر وهو حليف الفكرة نديم
الحسرة على تلك الوجوه التي فارقت الأحباب وسكنت اللحد الى اليوم الموعود .

حججه فبايعه العلماء والأكابر وتلقى الدعوة أهل جبال اليمن بالقبول وكانت جهات تهامة واليمن الأسفل إلى السلطان عامر عبد الوهاب وما زالت بينه وبين الإمام محاولات ومصاولات ثم اتفق خروج طائفة من الجراكسة إلى سواحل اليمن سنة ٩٢١ هـ. فكاتبوا السلطان عامر عبد الوهاب أن يعينهم بشيء من الميرة لكونهم خرجوا من الديار المصرية لمقاتلة الإفرنج الذين في البحر يخطفون مراكب المسلمين فامتنع عامر ، ودخلوا بلاده ومعهم البنادق ولم يكن لأهل اليمن بها عهد إذ ذاك فبعث إليهم جيشاً كبيراً من أصحابه وهم في قلة ووقع التلاقي فرمى الجراكسة بالبنادق ولما سمع جيش عامر أصواتها ورأوا القتلى منهم فروا فتبهم الجراكسة يقتلون كيف يشاؤون ثم فر عامر عبد الوهاب وتبعوه من مكان إلى مكان حتى وصل إلى قريب من صنعاء فقتلوه ^(١) ، ثم دخلوا صنعاء ففعلوا أفاعيل منكراً ثم خرجوا قاصدين الإمام فوق الصلح أنهم يبقون في صنعاء والإمام يبقى في ثلافاشترطوا ملاقاته الإمام فأشير عليه بعدم ذلك لما عليه الجراكسة من الغدر والمكر فلما علموا ذلك عادوا إلى القتال فلم يظفروا بطائل ثم في خلال ذلك بلغهم قتل السلطان (قانصوه الغوري) على يد ابن عثمان صاحب الروم ، فرجعوا ولكن قد عبثوا في اليمن وقتلوا النفوس واستباحوا الحرمات ونهبوا الأموال . وبعد ذلك دانت صنعاء وبلادها وصعده وبلادها وما بينهما لطاعة الإمام ثم إن الإمام غزى إلى بلاد بني طاهر فافتتح (التعكر) قاهرة تعز وحراز ، ثم عاد سليمان باشا بجند كبير من الأتراك ووصل إلى زبيد وتعز ، ثم استفتح الإمام جازان وبلاد أبي عريش وسائر الجهات التهامية إلى أن قال :

ثم حصل بين الإمام وبين ولده المطهر مواحشه واتفقت أمور يطول شرحها ثم قال : واستقر الإمام بكونبان ثم انتقل إلى الظفير وامتنحن بذهاب بصره فصبر واحتسب وأقام لا شغل له بغير الطاعة حتى توفاه الله ليلة الأحد وقت صلوة العشاء الآخرة في ٧ شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ هـ. ودفن بحصن الظفير ومشهده هنالك مزور إلى أن قال العلامة الشوكاني :

وله مؤلفات منها كتاب الأثمار لإختصره من الأزهار وجاء بعبارة موجزة نفية

(١) قال في غاية الأمانى : ومن عجائب الاتفاق وكرامات الأئمة المهلكة لأهل الشقاق ان قصة عامر معهم - يعني الجراكسة - كقصة الإمام السراجي عليه السلام في ذلك المكان ومثل ذلك اليوم وتلك الساعة فسبحان من لا يزول سلطانه .

شاملة لما في الأزهار وحذف ما فيه من تكرار ، وله شعر جيد منه القصيدة المسماة
(قصص الحق) التي مطلعها :

لكم من الحب صافيه ووافيه ومن هوى القلب باديه وخافيه
ومن شعره القصيدة التي قالها عند فتح مدينة صنعده وزيارة مشهد الإمام الهادي
عليه السلام وأولها :

زرنالك في سرد الحديد وفي القنا والمشرقة والخيول الشُزْبِ
وجحافل مثل الجبال تلاطمت أمواجهن بكل أصيد أغلب
من كل أبلج من ذؤابة هاشم ويكل أروع من سلالة يعرب
لأنتهى من البدر الطالع .

وقد ألف بعض المؤرخين كتاباً خاصة في سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى شرف
الدين عليه السلام صاحب الترجمة هذه منها (السلوك الذهبية ، خلاصة السيرة
اليحيوية) للمولى العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم علي بن الإمام
شرف الدين رحمه الله ومنها (المواهب السنية) للمولى العلامة الحسن بن عبد الرحمن
شرف الدين رحمه الله .

كما ترجم له في كتاب غاية الأمانى لصاحبه السيد العلامة يحيى بن الحسين بن
الإمام المنصور بالله القاسم ، بن محمد رحمه الله فقال : وقد استولى على اليمن بأكمله جنوبه
وشماله وحتى حدود رمل البصرة في العراق من الجهة الشرقية وذكر أنه عسكر
الإمام في موضع يعرف بالمصراخ في رمل البصرة وأقام فيه مع جنده عشرين يوماً
ثم نهض وتردد في تلك الناحية وذلت له الرقاب العاصية . انتهى بإيجاز .

قلت وكثير من المدن اليمنية قد أقام فيها الإمام أوزارها بعد مطالبة أهلها لأرضائهم
والتعرف على مشاكلهم والإعانة بسد حاجاتهم ولنشر الوعي الإسلامي الصحيح
فيهم ومن هذه المدن والمحلات نجران^(١) وبرط ، والمصراخ ، والرمل ، والزاهر ،
والجوف ، وصنعاء ، والجراف ، وكوكبان ، وذبي مرمر ، وثلا ، وذمار ،

(١) عند بقاء الاسام في نجران أمر بعمارة مشهد على قبر عبد الله بن ثامر الذي استشهد
قبل مبعث النبي (ص) في القصة المشهورة ، واخرجت جثته في أيام الخليفة عمر بن الخطاب
ووجد جرحه ينزف دماً اه روح الروح .

وقارن ، وعزان بني عشب ، وكحلان تاج الدين ، وحصن فده ، وحضور شعيب ، وبيت ردم ، ومدع ، وقلعة الأكمة همدان ، وجربان ، وكنن ، والكميم ، والمنقب ، والبون ، وعمران ، والسوده والظفير ، وغيرها .

أما الجهات الشمالية الغربية ، فقد زارها ولده عز الدين وبقي فيها ، ومنها جازان ، وأبي عريش ، وأما الجهات الجنوبية والجهات الشرقية ، فقد زارها ولده المطهر ، وبقي في تعز ، وزبيد ، وتهامه وكذلك الجهات الشرقية مثل رداع ، وبيجان ، وما إلى ذلك .

وهكذا فإن وصول الإمام شرف الدين عليه السلام بنفسه إلى كثير من الحصون والمحلات والمدن اليمنية ليدل دلالة قاطعة على مدى اهتمامه وجهاده واختلاطه بأهلها وتعرفه على عاداتها وتقاليدها ومع ذلك أقام فيها شرعة الدين وأحيا نخوة الجهاد والكفاح عند أبنائها في سبيل الله والدين والكرامة وقد كان يمدح الأبطال اليمنيين في شعره ونثره ويعلم جبههم والإعتراف لهم منه بحسن الطاعة للشرع الشريف وحسن الإنقياد .

ومن شعره في رسالة بعث بها إلى خولان الطيال (١) قوله :

أبلغ سلامي هداك الله خولانا	جزاهم الله بالإحسان إحسانا
أنصار دين الهدى والقائمين لما	قد أنزل الله في معناه قرآنا
أهل الحمية للدين الحنيف فقد	شادوا لدين الهدى والحق بنيانا
هم الأسود إذا صالوا رأيت لهم	حماهم الله مضربا ومطعانا
بخ لخولان قد أرضا جهادهموا	رب العباد بلا شك وأرضانا
حَامُوا على الدين يا خولان لا تنهوا	كونوا على طاعة الرحمن أعوانا
وأبشروا بالذي ترجونه عجلا	نصرأ عزيزأ وتمكينأ ورضوانا
طبم فطاب لكم أجر الجهاد وقد	فزتم به وعلوتم في الورى شانا
ولا نزال لكم ندعوا ونشكركم	فالله يراعاكموا طرأ ويرعانا
وآخر القول نظمسي مثل أوليه	أبلغ سلامي هداك الله خولانا

انتهى من كتاب (أئمة اليمن) للمولى محمد بن محمد زباره رحمه الله .

(١) خولان قبيلة كبيرة في اليمن تعرف بخولان الطيال نسبها بعض المؤرخين إلى قضاها وبعضهم إلى بكيل وهي اليوم أكبر القبائل اليمنية وحدودها ضواحي صنعاء غرباً وعبدة ومارب شرقاً ، ويقع هذا الاسم على قبيلة أخرى كبيرة في محافظة (صعدة) لواء الشام وتعرف بخولان الشام .

هذا وقد ذكر في كتاب السلوك الذهبية وفي غاية الأمانى وغيرهما أنباء توافد علماء الإسلام إليه ومنهم وفود علماء مكة والمدينة المنورة إلى حضرته اه وكان من أكابر أعوانه وأنصاره أخوه الأمير علي بن شمس الدين بن الإمام المهدي عليهم السلام المتوفي سنة ٩٢٧ هـ. وقد رثاه القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران رحمه الله بقصيدة وفيها بعض صفاته منها قوله :

برّ تقى فاضل ورع	حليفه الذكر والآيات والسور
ما زال يحقّر الدنيا وزهرتها	حتى تساوى لديه الدر والحجر
لا فارقت رحمة الباري لمضجعه	ولا عداه ملت القطر منهمر

وأجمعت التراجم المحررة له من أكابر العلماء أن الإمام عليه السلام في طول مدة عهده الميمون كان في الجهاد صابراً ، وعلى الإصلاح مثابراً ، مجاهداً في سبيل الله يقارع الأبطال ، وينازل الأخطار ، ويياشر المعارك بنفسه وييده الشريفة وكان بالإصلاح العام يحمي الشريعة المطهرة في قلوب أهل اليمن وغيرهم حتى أصبح الدين في عهده قوياً ، والإسلام ظافراً ، فالمدارس معمورة بالعلماء ، والمساكن مغمورة بالخيرات ، مع سعادة طالعها ، وسلامة طويته ، حتى استقرت الأحوال وهدأت الحروب وبلغ الحال حدّاً أدّى إلى إظهار الإمام تعجبه من صلاح البلاد وتعاقب النصر في الجهاد

فإنه إذ يحمد الله عليه فهو يخاف من أن يكون ذلك من الله إملأء لأنه لم يعهد لأسلافه من الأئمة والخلفاء الراشدين ومنهم أبأوه السالفون ما صفت لهم الدنيا ، ولا لذّ لهم مركبها الوعر ، بحال من الأحوال ، وكانوا في الشدايد عاثين ، وبالجهد والإجتهاد قائمين ، يطلبون السعادة ، من خلال الفوز بالشهادة ، أما هو فهو يسأل نفسه لماذا كل هذه الراحة التي لا كدر يذكر معها .

لكن : سرعان ما وضح لديه الأمر فكادت له الشدايد وتعاقبت عليه المصائب واحدة تلو أخرى وكان أولها موت ولده عبد القيوم في يوم زفافه لختم القرآن الكريم . فما كان من الإمام إلا أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وصبر واحتسب . ومن الحوادث المحزنة انشقاق عصا الإتفاق بين ولديه المطهر وشمس الدين ومنها أنه حين تقدمت به السن وضعفت قدرته الجسدية إبتلاه الله بفقد بصره ونال بسبب ذلك من البلاء ما لم ينله أحد من الخلفاء من قبله فكان أن حمد الله وشكره حق شكره . وانتهى الحال إلى أنه لم يسعه مع ذلك إلا أن أعلن لأهل الحل والعقد من علماء ورجالات اليمن

مخبراً بتنازله عن الخلافة الإسلامية والإمامة الشرعية جاعلاً مسؤولية الإستخلاف بعده إليهم^(١) . ومن رسائله المشهورة في هذا الصدد رسالته إلى علماء صعدة يشير عليهم بإختيار السيد العلامة أحمد بن عز الدين المويدي أو السيد العلامة بدر الدين بن محمد بن يحيى بن أحمد عز الدين وأشارهم بمبايعة أحدهما وأفادهم بأن تنازله عن الخلافة ضرورية لعدم تمكنه من القيام التام بمسؤوليتها سيما مع فقدته لبصره ، فأجابوا عليه أولاً :

أنه لا يمكن نصب إمام مع وجوده وإنه وإن ذهب بصره ففيه الكفاية من الخير والصلاح وله من التدبير وحسن البصرة ما لم يكن في غيره من أهل العصر .
فعاد جواب الإمام شرف الدين عليه السلام بأن تنازله كان رأياً نهائياً وألزمهم الحجة عند الله سبحانه .

وعند ذلك رجح علماء صعدة مبايعة الإمام أحمد بن عز الدين وأجابوا على الإمام فشكرهم واستحسن ما فعلوه . إنتهى من تأريخ غاية الأمانى وكتاب التحف .
ثم إن الأمير المطهر بن الإمام شرف الدين والأمير شمس الدين التقي في سنة ٩٦٢ هـ . بعد الاختلاف بينهما التقي في محل يقال له الرغَيْل من خلاف مسور واصطالحا وسكن الخلاف فعاد بعدها الأمير شمس الدين حتى وصل إلى براش في بلاد الطويلة لطيفاه بلاده وفيها مرض . ثم توفي في شهر صفر سنة ٩٦٣ هـ . ونقل جثمانه الطاهر

(١) تأمل كيف إنصاف الإمام شرف الدين في تنازله لأهل الحل والعقد ومنهم العلماء ليختاروا للأمامة من يصلح لها ولم وفي ذلك نفي التهمة بحسب توجيه الناس إلى أولاده كما غلط بعض المعاصرين ومن هو الإمام ومن هم أولاده الذين كانوا في مقدمة صفوف الجهاد وأول من يبارز الأعداء ويقارع الأبطال في جميع مراحل التضال الطويل فولاية الإمام كانت جهداً عليه وعلى أولاده لا لهم في عصر كان الحكم فيه والسطوة لل سيف والرمح وكان على الإمام نفسه ان يتقدم صفوف إخوانه المجاهدين معه ويثبت ثبات الجبال تجاه السيوف والرمح والنبال التي تنال عليه من خصومه أعداء الدين وكان عليه ان يجتهد بيمينه مباشرة وبسيفه كبار الأعداء من قادة الأعداء في براز ليست الغلبة فيه مأمونة ولكنه : الإيمان وقوة الجأش والبرهان .

والفرق بين ما عليه الناس والقادة في عصره وبين ما عليه الناس والقادة في عصرنا ونحن على رأس القرن الرابع عشر للهجرة ، الفرق ذلك يختلف اختلافاً بعيداً . فما كانت الإمامة ميسورة ولا محبوبة ما كانت إلا تتحمل أعباء واجب ومسؤولية شاقة من أول أعمالها التضحية بالنفس والمال والولد ونهايك بذلك . ولقد وهم السيد الأديب المعاصر زيد بن علي الوزير في كتابه (محاولة لفهم المشكلة اليمنية) حين نسب تولية الامام لبعض أولاده بعضاً من أعماله بأن ذلك كما قال : يوحى بحسب نسيير الدولة لصالحهم . والواقع وما ذكرناه يكذب ما استوحاه السيد زيد هفاه الله ولقد اجتمعت به شخصياً وأفادني أنه كان مجهول ما كان من تنازل الإمام شرف الدين عليه السلام ، وأنه قد زاده العلم بذلك تمجيداً لشخصية الإمام إلى جانب تمجيد حكمه والله الموفق .

من براش إلى كوكبان وقبره هنالك مشهود مزور رحمه الله تعالى .

وكان الإمام شرف الدين عليه السلام ما يزال على قيد الحياة في ظفير حجه لا شغل له إلا بالمطالعة والعبادة لله سبحانه وكان يحب ولده الأمير شمس الدين جداً لأنه أصلح أولاده وأبرهم به وأجدرهم بالقيام بأسرته . فكم أولاده خير موته عن جدهم الإمام شرف الدين عليه السلام خوفاً على قلبه الرحيم من التصدع بالحزن الشديد مع ما هو عليه من فقد البصر وهموم الغير .
قال في غاية الأمانى ما لفظه :

وفي ليلة الأحد سابع شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ هـ . مات الإمام الأعظم والطود الشامخ الأشم أمير المؤمنين يحيى شرف الدين بن شمس الدين في حصن الظفير ودفن هنالك في قبته التي بناها بالقرب من قبة جده الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى عليه السلام ، ثم قال :

ولقد كانت دولة هذا الإمام غرة في وجه الزمان وحسنة لم تسمح بها الأيام إلا في ذلك الأوان ، عمرت فيها ربوع الدين ، وشيدت أركان شريعة سيد المرسلين ﷺ الأكرمين ، وظهر الحق وبسق ، وذهب الباطل وزهق ، ومع هذا فلم ينس نفسه من الدنيا على الوجه اللائق بحاله المعروف من سيرة أمثاله ، بمثل الترفيه عن النفس والأهل والأولاد والأصحاب والأجداد والعلماء والأعلام والأعيان الكرام .

ولقد بنى في صنعا والجراف والروضة المباني العجيبة المحفوفة بالبساتين المشتملة على أصناف الأشجار المتدلّية بأنواع الثمار ، كما بنى حصن فاضل في أعلى حدة بني شهاب إشتعل على منازل عدة وساحات ممتدة ، ولم يبرح يتنقل في تلك الحدائق والمباني ويفك من أيدي الزمان الأسير والعاني ، ويقصده من العفاة القاصي والداني ، حتى قصدته الأيام بقسط من نوائبها وأجلبت عليه بخيلها وركابها ، إلى أن مضى لسبيله حميداً فقيداً . فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً وعوّضه جنة وحريراً . انتهى

قلت أما شمایل الإمام عليه السلام فقد وصف بأنه كان بهي المنظر ، ربعة من الرجال ، خفيف الحركة ، أبيض الوجه ، أفنى الأنف ، أنجل العينين ، أجل الجبهة ، قوي الإرادة ، لطيف المؤانسة ، سريع الذاكرة ، جميل المذاكرة ، يعطي كجدة رسول الله ﷺ عطاء من لا يخشى الفقر ، يباشر بنفسه النظر في الأمور كلها ، يعطف على الفقراء والضعفاء أكثر من غيرهم ، لا يصبر على ضيم ، ولا يسكت

عن منكر ، إلى غير ذلك من شمائله رحمه الله رحمة واسعة ، وأنعم عليه بالرضوان
والنعيم المقيم وأدخله مساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم .

ومن أراد البحث والإستقصاء فعليه بكتاب (المواهب السنية) لمؤلفه المولى العلامة
المؤرخ الكبير الحسن بن عبد الرحمن شرف الدين وكتاب (السلوك الذهبية) للمولى
العلامة محمد بن إبراهيم بن مفضل شرف الدين .

على أننا نقدر أن نستخلص فنعرف عظمة إصلاحات الإمام عليه السلام ملخصاً
في الملاحظات التالية :

١ - في نهج العمران وإحياء المعارف والعلوم

من البديهي أن الإمام الذي كان يشغل بنفسه بتأليف المؤلفات من الكتب الدينية ،
والرسائل التوجيهية ، نثراً ونظماً علاوةً على ما عليه من كثرة الأعمال ، ومزاولة
الجهاد والإجتهاد، وفي فصل المسائل الخاصة والعامة ، من البديهي أن نعرف بذلك
مقدار الإهتمام بنشر العلوم الدينية والدنيوية ، الأدبية والتاريخية ، وغيرها مع قيامه
بنفسه بتدريس العلوم ، ورواية الحديث والتفسير ، حتى صار المرجع الأعلى في
عصره في علم الرواية والدراية ، فهو شيخ مشايخ العلوم وواسطة عقدها المنظوم .

بلغ قدرة فائقة على الضبط والإدراك ، وعلم الرجال ، فأصبح الإسناد عن طريقه
أفضل الأسانيد ، والرواية عن حفظه أعلا الروايات ، وعليه العلماء اليوم ، وفي
القرن الرابع عشر للهجرة نجد رواية علماء اليمن وأئمتهم للحديث والتفسير والسير
أكثرها عن طريقه ، ويحدثون عن روايته وإجازته ، وقد ألفت المؤلفات في الإسناد
إليه كما فعل الشوكاني رحمه الله في (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر) وكما فعل غيره .

وقد قام ببناء المدارس السبع المشهورة إلى يومنا هذا كل منها تدعى (مدرسة الإمام
شرف الدين) وكل واحدة منها تحتوي على مسجد واسع للصلاة ، ومقصورة في
مؤخرة المسجد للعلماء والمتعلمين ، تدرس فيها العلوم . وفي كل من المدارس مكتبة
موقوفة على العلماء والمتعلمين ، مع بناء غرف صغيرة في ساحة المسجد الخارجة عنه
تسمى (المنازل) لسكنى المهاجرين من طلبة العلم الشريف وجعل في كل مدرسة من
المعلمين ما يحتاج إليه ووقف عليهم ما يغني لمرتبتهم اللازمة .

أما المدارس المذكورة فهي :

أ - مدرسة (صنعاء) وتقع في الميدان المجاور لقصر السلاح وكان لإسمها

القديم (الأزهر) وكان قبل عمارتها يوجد في الساحة مسجد صغير يقال أنه من بناء الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رحمه الله .

ب - مدرسة (ذمار) : وهي معروفة ويطلق عليها اسم المدرسة وتقع في أحسن موقع من مدينة ذمار .

ج - مدرسة (كوكبان) : وتقع على مشارف المدينة في حصن كوكبان من جهة الشمال الغربي .

د - مدرسة (ثلا) : وتقع على مشارف مدينة ثلا في الجهة الجنوبية .

هـ - مدرسة (حجة) : وتقع في منطقة (حوره) إلى الغرب من مدينة حجة وقد بني محلها في عصرنا جامع (حوره) للإمام الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين رحمه الله .

و - مدرسة (السوده) : وتقع في نفس المدينة تحت الحصن .

ز - مدرسة (ظفير حجه) : وتقع في مشارف مدينة الظفير داخل الحصن من الجهة الشرقية وتعرف بالحوطه وتضم هذه الحوطه جامع المدرسة المذكورة ومشهد صغير في قبة قبر فيه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى رحمه الله . وقبة قبر فيها الإمام شرف الدين رحمه الله مع مجموعة كبيرة من أعلام اليمن والجهابذة الأفاضل من المجتهدين والمؤلفين والمذاكرين وغيرهم .

ومن مآثره العمرانية (جامع الجراف) ويروى أنه كان من الإمام استفتاحه بصلاة الجمعة في الجامع المذكور سنة ٩٤٤ هـ .

وله معمرات كثيرة من المساجد والمناهل منها ما عمره ابتداءً ومنها ما جدّد عمارته كما قام بإحياء كثير من عمّرات المحلات والأسواق والطرق ، وكذلك الأماكن والنكنات والقلاع العسكرية .

وله المعمرات الكثيرة من المدارس المحليّة القبليّة والمدنيّة تدرس فيها كل العلوم الدنيّة والأدبيّة والتاريخيّة والأصول والقواعد والمنطق والبلاغة والفصاحة والأخلاق والفواضل .

وهو أول من سنّ الجوائز المدرسيّة بصفة رسميّة في الحكومة اليمنية وكان يعطي المتفوق (الناجح) من الطلاب جائزةً ومنهم من أجازته بأنّ ملأ فيه من العملة الذهبية .

وكان يشجع على التأليف والكتابة في العلوم ولاسيما الدينية . ومن ذلك أن يتلقى المؤلف الواصل به مؤلفه ببائع التثريف فيأمر الجنود والحاشية الإمامية من العلماء والنضلاء ، وعامة الناس ، بأن يشيعوا المؤلف وكتابه المؤلف من خارج العاصمة إلى القصر الإمامي ، تقديرأ لجهوده المبذولة في التأليف وتشجيعاً للعلماء في ذلك كما رواه فضيلة القاضي محمد بن علي الشوكاني (شيخ الإسلام) في ترجمة فضيلة القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران رحمه الله .

٢- في نهج الإصلاح الزراعي :

لقد كان الإمام شرف الدين نشيطاً في إحياء المزارع والمزارعين وإعانتهم ومساعدتهم كما ساعدهم مع ذلك الحظ والقبول وتواتر الرحمة الإلهية الذي ما بخلت معه السماء فجادت بالأمطار وسالت الأودية بالأنهار .

حتى أخصبت المزارع والأشجار ، وازدهرت الحدائق والأراضي بالحبوب والثمار ، حتى عزى ذلك كثير من الناس إلى فضله عند الله وأعتقد أنه بركة دعائه . وضرب المثل بعهد الميمون بين العهود .

٣- في نهج الدفاع الوطني :

أما في مسألة التجنيد والدفاع ، فقد كان الإمام شرف الدين عليه السلام يعني به أكثر من أي شيء آخر . لذلك استطاع تأليف قوة متكاملة أفرادها كل شباب الشعب اليمني بحيث أنه عند النفير إلى الجهاد يهب كل حامل سلاح في جهة الدفاع . زد على ذلك أنه استطاع أن يجعل سلاح البنادق ميسوراً لكل مقاتل بالرغم من أنه لم يكن في ذلك التاريخ يباع ، وإنما يؤخذ سلباً من الغزاة الجراكسة والأروام الذين لا يوجد إلا معهم فقد كان اليمنيون يجهلونه ولا يعرفون القتال إلا بالسيوف والرماح والرمي بالمنجنيقات .

ثم أن اليمنيين فتحوا مصانع صغيرة لصناعة سلاح البنادق من مصانع يدوية واستطاعوا أن يصنعوا الرصاص المذاب الذي هو ذخيرة وقدره على أقدار معلومة بمقياس القفلة وكان يقال (بندق عربي أبو خمس قفال) مثلاً أو أربع قفال أو غير ذلك .

وصنعوا البارود في بلادهم وأصبح متكاثراً متيسراً لكل من يريده وكل هذه الأعمال

والصناعات في وقت قصير . لأن اليمنيين أول ما عرفوه مع الجنود الجراكسة الغازين لبلادهم ثم ما لبثوا إلا قليلاً حتى أنتجوه بأيديهم في مصانعهم البدائية وطرّدوا الغزاة به وبما غنموه منهم . وكل هذا بتشجيع القيادة الإمامية وإرشادها الناس بكيفية التغلب على السلاح وبتأليف المهندسين بالعطاء من بيت المال وتشجيعهم وتقدير إنتاجهم . كما ذلك مشهور من سيرة الإمام عليه السلام .

٤ - في نهج العناية بالصحة والبلديات :

لقد شهد المؤرخون أن الإمام شرف الدين عليه السلام كان أكثر الناس رعاية للأطباء وللطب من أجل الصحة العامة وأنه كان يقدر الأطباء ويستريد من تفكيرهم وقدراتهم على علاج المرضى وقد حدث في عهده أن وقعت الإصابة بمرض (الطاعون) المرض الوبائي الذي أصاب عدة مدن يمنية وقام الإمام بمكافحته بكل الوسائل التي كانت ميسورة في ذلك العهد والعلاجات المعمولة من الأعشاب على أيد الأطباء اليمنيين وكان أكثر ما نصح به الأطباء هو إستعمال قهوة البن ، فكان غرس شجرته في ذلك العهد في جميع اليمن وكان إستعماله مع إستعمال غيره من العلاجات حتى زال الخطر نهائياً من ذلك المرض الذي أهلك في إبتداء أمره آلافاً من اليمنيين . وكان الإمام عليه السلام يأمر بالحجر الصحي عملاً بالحديث الشريف (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع وأنتم في أرض فلا تخرجوا منها فراراً منه) أخرجه السيوطي عن أحمد والبخاري ومسلم والنسائي ورواه النسائي عن أسامه بن زيد رضي الله عنه . أما في البلديات فقد روى المؤرخون أن الإمام أول من قام بإدخال المياه إلى المساجد وأفردها لمحلات خاصة تجدد كل يوم . وأنه سهل مجاري الأنهار إلى صنعاء وبعض القرى اليمنية القريبة منها حتى روي أنه أدخل إلى جراف صنعاء سبعة غيول من مختلف الينابيع القريبة والبعيدة وأنه عمّر سور كثير من المدن لحراسة أهلها وللسيطرة على كل من ارتكب جرماً في أي منها جعل لأبوابها حراساً وقرر الانتخابات لرؤساء البلديات ومن رضىه الأكثر فهو الأصلح ، وحماية للمواطنين من الأوساخ أوجد معامل صابون بأيدي يمنية ولما بلغه أن الأهالي يعضفون شجرة القات ويمتنعون مائها وأن ذلك ربما كان فيه تخدير أمر بالكف عن القات في جميع اليمن . حتى ظهر أنه لم يكن به بأس وأنه لا يخنر العقل وخالٍ من الكحول وأنه لا يضر إطلاقاً بأي ضرر مباشر رجع عن رأيه فيه .

٥- في نهج التجارة والاقتصاد :

لقد كان الإمام شرف الدين عليه السلام حريصاً كل الحرص على سلامة الصادرات والواردات من التجارة بكل أنواعها وعلى سلامة أهلها وإحداثة التي معها وكان يرفع طرقها ويأمر بالمحافظة عليها وتسهيل الزاد والماء والمنافع الأخرى لأهلها لأن طرقها كانت تمر بربروع خالية وصحارى ممتدة والوسيلة الوحيدة للنقل هي الجمال وكان يشدد على كل من يعتدي عليها ويقاوم المعتدين حتى أدخل عصابتهم اللصوصية عملاً بقوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » .

وبهذه الطريقة وبالسهر والرعاية الكاملة لتوافل التجارة وعدم السماح بأي ترويع أو تثبيت لها أو لأحد من أهلها ، أصبحت (التجارة والاقتصاد) في عهده مزدهرة وأصبحت الحاجات تملأ الأسواق في كل مدينة وجهة وفي كل سوق من أسواق اليمن .

٦-٧- نهجه في الأمور الإدارية الداخلية والخارجية :

إن الأمر الظاهر عندما نقرأ أو نسمع ترجمة الإمام شرف الدين عليه السلام يدلنا بوضوح على مقدار ما أعطاه الله من قوة الإدراك في الرأي وعمق التفكير مع مراعاة الصغير وتقدير الكبير وعلى أن الإمام عليه السلام أبرز السياسة الإسلامية في أحسن مظاهرها الدينية والدولية معاً مع مراعاة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي هي المصدر الوحيد لكل تشريع ولكل إدارة .

وأصبح المواطن في الداخل يتمتع بكل الحقوق مع غيره سواء بسواء لا فرق بين عربي وعجمي وسواء كان مسلماً أو غير مسلم بل أن غير المسلم يعتبر مواطناً ذمياً بمعنى أنه يعفى من دفع ضرائب أمواله (الزكاة) لأن الإسلام لا يقبلها إلا من المسلم ثم إنه يعفى عن التجنيد بل إن الإسلام يأمر بالمحافظة على الذمي في نفسه وأهله وماله ولأنه أمام المحاكم مع المسلم على سواء يحكم له أو عليه تماماً كما لو كان المتحاكم من مسلمين بدون فارق فالشريعة القضائية واحدة أضف إلى ذلك أن غير المسلم يقر على شعائره في الكنيسة والذبيحة والنكاح وغيرها .

وهكذا كانت سيرة الإمام عليه السلام مع غير المواطنين أو مع المسلمين غير اليمنيين تماماً كما كانت سياسته ورعايته للمواطنين اليمنيين وكان يطبق الشريعة

الإسلامية في حقوق المسلمين وإعتبارهم أخوة فمن وصل إلى اليمن من أي بلد في العالم وهو ينتمي إلى المسلمين فله الحق الكامل مثل المواطن اليمني لا فرق فهو يملك ما يشاء في اليمن ويحترف ما يشاء وله حق الإقامة مع حسن السلوك ، وحتى يندمج مع المواطن اليمني . وكان يقر مبدأ أن الحكومة معنية بحاجة كل من هو تحت رعايتها في جميع بلادها دون تمييز بين إنسان وآخر وحتى خزانة المال اليمنية يطلق عليها اسم (بيت مال المسلمين) عملاً بالسنة النبوية وإشعاراً بالمساواة بين كل الهيئات والأفراد والجماعات لا فضل لأحد من المسلمين على الآخر إلا بالتقوى والعلم قال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا والذين أتوا العلم درجات) وإلا بمقدار التضحية بالجهاد في سبيل الله قال تعالى : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) .

وهكذا كانت نظرة الإمام في معاملته للدول الإسلامية والدول الصديقة غير الإسلامية عملاً بقوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذي لم يقاتوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) إلى آخر الآية سورة الممتحنة وفي معاهداته ومصالحته مع الأعداء ما هو مبسوط في سيرته عليه السلام .

بقي أن نكتب في هذه المقدمة شيء عن أولاد الإمام شرف الدين :

لأبراز ما لهم من العلم والجاه والمعرفة ، ولمن يريد الإكتفاء عن طلب التواريخ المطولة، فما منهم الا من جلى في حلبة السباق والمجد والجهاد جاعلا العلم حرفه والخلق الكريم ديدنه والجهاد في الله سبيله .

أكبر أولاد الإمام شرف الدين :

هو ولده (الإمام الناصر سيف الإسلام المطهر بن الإمام) مولده في شهر رجب سنة ٩٠٨ هـ وهو الذي حاز الشهرة وفاق أقرانه في الجهاد ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتى أصبح مرموقاً بالعيون يشار إليه بالبنان وزاد من شهرته ما له من الشجاعة الخارقة والقدرة الكبيرة لمنازلة الأعداء بالسيف البتار ثم ما لبث أن خلف والده في الإمامة العظيمة بإلتفاف أكثرية الشعب اليمني حوله وبالرغم عن معارضة والده الإمام شرف الدين رضي الله عنه لأنه كان يرى أن المطهر بقلبه الشديد لا يصلح للرعاية العامة ولإختلافه مع أخوته الصناديد، لكن الحق يقال أن شعبية المطهر وحب العامة له وسابقتها في الجهاد الذي بهر الأعداء والغزاة وبذله النفس والنفيس مع

اليمنيين في جهاد الباطنية والجراكسة والأروام وسائر الخصال الحميدة هي أهلتها للصدارة . وكان معروفاً بسعة العلم ، وقوة الجأش ، والإطلاع التام على الأمور ، وله قصص نادرة في الجهاد والفدا ومنازلة الأبطال ، والحديث عن ذلك طويل ومشهور (١) .

وقد دعا إلى نفسه ويومع بالخلافة سنة ٩٦٥ هـ وتكنى بالإمام الناصر الدين الله ، واستمر في مزاولة أعمال الإصلاح ومكافحة الغزاة والمحاربين وقمع الظلم ومطاردة العثمانيين الذين كانوا قد استولوا في فترة الخلاف بينه وبين إخوته على كثير من البلاد اليمنية . وقد استطاع أن يخرجهم من آخر مركز لهم وهو (عدن) (٢) وولى عليه ، الأمير قاسم الشويح ، وبقي فيه الشويح إلى سنة ٩٧٦ هـ ومن مآثر المطهر في عدن عمارة الجامع والمئذنة التي فيه . وغير ذلك . واستمر على الجهاد إلى أن توفاه الله سنة ٩٨٣ هـ وقبره بجوار (مدرسة الإمام شرف الدين في مدينة ثلا) مشهور ، مزور . رحمه الله تعالى .

(١) من ذريته المعاصرين الكثير من الطيب مشاهير العلم وسادات الأدب والحلم منهم بيت (شيبان) ومنهم السيد العلامة محسن بن ناصر بن أحمد وأخيه الأمير يحيى بن ناصر بن أحمد بن علي بن يحيى بن محمد ابن أحمد بن محمد بن علي بن - علي يحيى - بن المطهر بن الإمام . ومنهم (بيت الكحلاني) ومنهم في ظفير حجة السيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن هادي بن شرف الدين بن عبد الرحمن بن أحمد بن هادي بن إبراهيم بن حسن بن عبد الله بن (علي يحيى) بن المطهر الإمام .

ومنهم (بيت شرف الدين) : ومنهم السيد العلامة أحمد بن حسين شرف الدين صاحب كتاب (تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن) .

ومنهم (بيت حميد الدين رداع) ومنهم السيد حسن بن علي بن إسحاق بن علي بن حسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر بن الإمام .

ومنهم (بيت القاره) ومنهم الشاعر المعروف أحمد بن محمد القاره . ويوجد من أولاد المطهر بن شرف الدين أيضاً جماعة في (تركيا) من أولاد لطف الله بن المطهر وغوث الدين بن المطهر وعلي يحيى بن المطهر . وحفظ الله بن المطهر والأربعة الأولاد هؤلاء أخذهم الأتراك من اليمن أسرى حرب سجنوهم حتى الوفاة ، رحمهم الله تعالى ، ولهم أولاد هناك ، منهم في تاريخ سنة ١٣٨٧ هـ سنة ١٩٦٧ م الشيخ محمد كاظم خليفة والشيخ عبد الله شرف الدين وناصر شرف الدين وأحمد بن حسن بن علي وسفري كلج أصلان . وغيرهم ويقدر عددهم اليوم حوالي سبعمائة نفس وقد التحقوا بالجنسية التركية منذ ولادتهم زمن الأسر لأبائهم .

(٢) مدينة حل الميناء الجنوبي اليمن وهي اليوم عاصمة الجنوب اليمني واليمنيون ما يزالون يشعرون بوحدتهم ولا يمترون للحدود التي تجزئهم إلى شطرين .

ومن أولاد الإمام شرف الدين أيضاً :

الأمير العلامة سيف الإسلام (عبد الله بن شرف الدين) مولده سنة ٩١٣ هـ (١) .
نشأ في حجر والده ودرس العلوم وأنفق شبابه في تحقيق مختلف العلوم حتى صار علماً
من أعلام الإسلام وفاق أقرانه في علوم الإجتهد . واستمر على ذلك فجعل الإشتغال
بالعلم الشريف في مقدمة أعماله مع إعانته لوالده وأصرَّ على ترك الولاية والإمارة
وصرف همهته إلى العبادة والزهد سيما بعد موت والده الإمام عليه السلام .

وله مؤلفات : منها شرح قصص الحق وشرح على مقدمة الأثمار في الفروع . وله
الشعر العذب الجميل الحذّاب ، بأفصح الكلمات ولطيف العبارات ، فاستحق
الصدارة في الأدب ، من ذلك قصيدته إلى أخيه شمس الدين أولها :

خطرت فقل للغص صلي على النبي وبدت فقلنا للشموس تجسّب
ومن شعره القصيدة التي مدح بها غصون القات أولها :

أدرِ غُصُوناً يراقبنا من القاتات زبرجديّات أوراقي وريقات
وفاته رحمه الله سنة ٩٧٣ هـ بمدينة ثلا وقبره في ساحة (مدرسة الإمام شرف
الدين) رحمه الله تعالى .

الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين :

ومن أولاده الأمير سيف الإسلام شمس الدين بن الإمام مولده سنة ٩١٤ هـ في
مدينة المحابشة في أوائل عهد والده وفي خضم معارك الجهاد . وقد نشأ في حجر الخلافة
وتلقى العلوم والآداب في مختلف الفنون على كبار العلماء منهم والده الإمام شرف
الدين عليه السلام . وما إن بلغ سن العشرين حتى فاق الأقران ورقا منزلة الأجلاء
من آبائه الأبرار واحتذا حذوهم في التمسك بأداب شريعة جده الأمين سيد المرسلين .
وتولى لوالده الولايات الكبيرة وجاهد في الله جهاداً كبيراً ومواقفه الشجاعة
مشهورة في فتح جبال حراز وما والاها وفي تعزيز وزييد والطويلة والبلاد الكوكبانية
بأسرها واستقر أخيراً في كوكبان مع والده وتولى أعمال البلاد الكوكبانية من سواد
شباب إلى سواد الشعايلة بأطراف خبت المحويت والشعايلة لذلك كانت البلاد التي

(١) من ذريته فضيلة السيد العلامة الأديب محمد بن عبد الله شرف الدين رحمه الله وهو صاحب الأدب
الكبير وله ديوان شعر (حكي) وديوان شعر (حيني) وديوان أعذب الشعر وأحسنه وأكثر قصائده
الحكمية متداولة بين الشعراء والأدباء والشايد والفنانين وذلك لما لأشعاره من لطايف وبدائع مع فصاحة
الخطاب وبلاغة التعبير وأما شعره الحيني فانه يفيض أدباً ورقة ولطفاً بألفاظ ومعان تأخذ الألباب .

تولاهما أحسن البلاد نمواً وازدهاراً فاستسعت خيراتها وكثر علماؤها وأدبائها .
 وكان ديوانه في قصره العامر في مدينة كوكبان يستقبل كل يوم وفوداً من العلماء
 والأدباء والشعراء وكبار الأعيان والمشايخ من جميع البلاد اليمنية .
 وكان حائزاً على الحب الكبير من والده لكثرة بره وطاعته وحسن معاملته واقتفائه
 الشريعة . وتنفيذه أحكامها المطهرة بلطف بالغ وحرص مانع الأمر الذي يرضاه الله
 والناس .

وربما وقعت بينه وبين أخيه المطهر رضي الله عنهما بعض مشادة ومشاحنة بسبب
 أو بآخر مما هو مشهور .

ومن حسن التوفيق أنه وقع بين هذين السيدين الكبيرين في سنة ٩٦٢ هـ لقاء كبير
 اصطلاحاً فيه واتفقا وفي سنة ٩٦٣ هـ إختار الله للأمير شمس الدين لقائه وأخفى خبر
 موته عن والده كما تقدم إشفافاً عليه رحمه الله تعالى وله من الذرية الكثير الطيب
 منهم في شبام وكوكبان وصنعاء وغيرها من المدن والقرى اليمنية ، وله من الأولاد
 المولى صاحب الدولة محمد بن شمس الدين والمولى علي بن شمس الدين والمولى حسن
 ابن شمس الدين ولكل الثلاثة النسل الكثير ولهذا يعتبر الأمير شمس الدين : من
 أكثر أولاد الإمام شرف الدين ذرية . ومنهم في القرن الرابع عشر للهجرة :
 فضيلة المولى العلامة جمال الدين علي^(١) بن حمود بن محمد بن يحيى بن محمد بن

(١) مولده سنة ١٣١١ هجرية في حجر والده وعنه أحمد العلم الشريف كما أخذ عن أخيه المولى يحيى بن
 حمود وأخذ عن شيخ الإسلام القاضي علي اليدومي وعن ولده القاضي العلامة عبد الله بن علي اليدومي مدة
 بقائه مع والده في (خيوان) . وقد برز في جميع العلوم ولا سيما علم الفقه والأصول والفروع وأما
 عن علم الحديث والسنة فحدث عن البحر ولا حرج فله الأطلاع الكامل على الحديث ورجال الحديث
 وأمهاق المؤلفات في الحديث ومعرفة الصحيح والعليل والحسن والضعيف والرواية والاستناد مع الحفظ
 وال ضبط .

ولقد كان مرجعاً لعلماء عصره وقد حكف على تدريس العلم بمدينة الطويلة رداً من الزمن وتخرج على
 يده عدد من العلماء نذكر منهم المولى السيد يحيى بن الحسين بن علي بن عبد الكرم والشيخ العلامة حمود بن محمد
 الشيخ والعلامة جمال الدين علي بن حمود شرف الدين والسيد العلامة أحمد بن علي الكبسي والسيد العلامة علي
 ابن عبد الله بن عبد الكريم والسيد العلامة حسن بن يحيى الماخذي والقاضي العلامة علي الفريسي وولده أحمد ومن
 تلامذته ولده المامان الحسين وشرف الدين وغيرهم .
 تولى حكومة قضاء كوكبان بعد وفاة والده ثم تولى إمارة الوى في محافظة الطويلة ومحافظة المحويت من
 سنة ١٣٦٧ هـ إلى وفاته في شهر شعبان سنة ١٣٧٠ هـ وقد كان لفقده الأثر العظيم وقبره في حوطة شرقي جامع
 الطويلة - رحمه الله .

وقد كان بعد توليته الإمارة لم يترك الدرس أو التدريس ولم تشغله أهال الولاية عن ذلك فقد كان يخصص
 الوقت من بعد الظهر إلى قيامه لصلاة العصر من كل يوم وقد سمع منه وروى عنه الكثير من العلماء المعاصرين
 في صنعاء والحديدة وزبيد وشبام وكوكبان والطويلة وغيرها .

عبد الرحمن بن الإمام أحمد^(١) بن الأمير الكبير محمد بن الإمام الحسين^(٢) بن الإمام عبد التمار^(٣) بن الناصر^(٤) بن الأمير عبد الرب بن علي بن الأمير شمس الدين

(١) قام ودعا للخلافة العظمى سنة ١١٦١ هـ ثم تنازل عنها لقاوم بصنعاء واستمر أميراً على البلاد الكوكبية وحاكماً عاماً بها . ومن ذريته في عصرنا هذا المولى العلامة علي بن أحمد بن علي كوكبان والمولى العلامة عبد الله بن علي بن عبد الكريم والمولى العلامة محمد بن محمد بن عبد الكريم والمولى العلامة محمد بن عبد الله شرف الدين والمولى علي بن محمود شرف الدين والمولى العلامة يحيى بن الحسين بن علي بن عبد الكريم وولده الشاب العالم الأديب أحمد بن يحيى والسيد العلامة أحمد بن عبد الله بن علي بن عبد الكريم شرف الدين وأخوته العلماء علي بن عبد الله ومحمد بن عبد الله وشرف الدين بن عبد الله والسيد العلامة محمد بن عبد الرحمن بن أحمد شرف الدين صنعاء والسيد العلامة أحمد بن يحيى بن محمد كوكبان والسيد الفاضل عبد الرحمن بن حسن شرف الدين والسيد العلامة الشاب الماجد الكريم محمد بن علي بن أحمد عباس وغيرهم من العلماء والادباء ، في القرن الرابع عشر وما فيهم من ذكرته إلا من عرفته وخبرته فوجدته علماً من الأعلام ومنهم من عرفتهم في درجة الآباء ومنهم في درجة الزملاء الأتراب وكنت مع الزملاء مشاركاً لهم في الأخذ والدراسة العلمية في مدرسة (ثلا) ندرس ونقرأ سوية عن مولانا وشيخنا القاضي العلامة شيخ الإسلام عبد الله بن محمد المجاهد رحمه الله تعالى ، وذلك فيما بين سنة ١٣٥٢ هـ إلى سنة ١٣٥٤ هـ .

وكان معنا جماعة كثيرة من الطلاب من جميع المدن اليمنية وكانت أوقات وأيام جلوة غضة نضرة ومن جملة الطلاب الأخ السيد محمد بن حمود بن علي القاسمي والقاضي العلامة الأديب أحمد بن علي الهيصي وغيرهم وها أنا أكتب هذه السطور في المقدمة هذه وأنا غريب في بيروت - لبنان لظروف دعت إلى ذلك الاغتراب وأرى كثيراً من زملائي قد تفرقوا واغتربوا ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً أسأل الله العون والمدد والتوفيق والرحمة لنا ولهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات آمين .

(٢) قام ودعا بالخلافة سنة ١٠٩٧ هـ ثم تنازل عنها . ومن ذريته السيد العلامة محمد بن عبد الكريم بن اسمعيل وأخيه علي بن عبد الكريم شرف الدين .

(٣) المولى عبد القادر بن الناصر هو الجامع الأكثر لأولاد الامام شرف الدين في شبام وكوكبان وقد كان نجماً من نجوم العترة النبوية وعلماً من أعلام الأمة اليمنية . قام ودعا للخلافة سنة ١٠٩٠ هـ ثم تنازل عنها . ومن ذريته من الأشراف المعاصرين في القرن الرابع عشر الهجري السيد العلامة الأديب (عامل صنعاء) الحسين بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابراهيم بن شيخ العلماء وكبيرهم في عصره المولى عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر . ومنهم السيد العلامة الكبير عبد القادر بن عبد الله عبد القادر صنعاء وشقيقي السيد الأخ العلامة علي بن عبد الكريم بن محمد الفضيل بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن يوسف بن أحمد بن علي ابن عبد القادر . والسيد العلامة أحمد بن محمد الدولة المحوث . والسيد العلامة حسين بن علي بن عباس والسيد الوالد الماجد حسن بن علي بن اسماعيل بن علي بن اسماعيل بن علي بن عبد القادر وحفيده الأخ العلامة حسين ابن محمد بن حسن . والسيد العلامة أحمد بن محمد بن أحمد يحيى وغيرهم وكل واحد من هؤلاء ينتمي الى بيت فيه بيوت كثيرة من المعاصرين ومنهم من قد سبق إلى رحمة الله ومنهم من لا يزال على قيد الحياة والجهاد في هذه الحياة .

وما نوهت بذكرهم إلا لأني خالطتهم وعرفتهم وأخذت عن الآباء منهم وزاملت الأبناء في طلب العلم الشريف في شبام لدى القاضي الشيخ العلامة علي بن أحمد الهيصي رحمه الله . وفي ثلا وفي كوكبان وفي الطويلة وغير ذلك ومن لم أذكرهم الكثير الطيب بما لم يتسع له إلا مؤلف شامل مستقل ، ان شاء الله قد دونت بعضها في مذكرياتي والله الموفق والمعين .

(٤) من أعلام ذريته المعاصرين السيد العلامة عبد الكريم بن محمد الناصر والسيد محمد بن قاسم الناصر والسيد العلامة الحاكم عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن شرف الدين والسيد العلامة الأديب يحيى بن محمد بن أحمد الفضيل وأخوته وغيرهم .

بن الإمام (بحسب شرف الدين) رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن أولاد الإمام شرف الدين :

الأمير عز الدين ^(١) بن الإمام شرف الدين مولده في سنة ٩١٥ هـ وفي حजर الخلافة نشأ وترعرع وفيها ارتضع لبان العلوم وبرز واجتهد في منطوقها والمفهوم وصار عالماً من الأعلام وسيفاً مصلتاً من سيوف الإسلام وتولى بأمر والده عدة قيادات وفتح عدة بلدان وتولى بإمرته لواء الشام وبلاد أبي عريش وجيزان ثم انتقل إلى مدينة ظفار واستقر بها بعد موت والده إلى أن حاصره الأروام وأخذوه أسيراً إلى بلادهم تركيا ومات في الطريق بجزيرة ينبع اليمنية سنة ٩٨٤ هـ .

ومن أولاد الإمام شرف الدين أيضاً :

الأمير سيف الإسلام علي ^(٢) بن الإمام شرف الدين مولده سنة ٩٢٧ هـ وفي حजर والده تربي ونشأ وغذي لبان العلوم والمعارف كإخوته حتى أصبح سيد العلماء وكبير المحققين . قرأ واستجاز عدداً من العلماء الأعلام مع قرائته على والده الإمام وكان شهماً كريماً ورعاً ليلاً .

كما كان شاعراً مقلماً وفصيحاً بليغاً ومن شعره القصيدة المشهورة التي ينشدها الكثيرون حتى اليوم أولها :

هزوا القلود فاحجلوا سمر القنا وتقلدوا عوض السيوف الأعيان
وكان المشار إليه بالبنان بعد والده لتولي الخلافة لكنه لم يظهر دعوته وأثر بها أخاه الإمام المطهر لما له من شعبية غامرة وشجاعة نادرة وحكمة مجربة .
وتولى لأخيه واستقر في حصن ذي مرمر حتى مات مسموماً في رجب سنة ٩٧٨ هـ

(١) من أولاده زكي الدين بن عز الدين المتوفى سنة ٩٨٢ هـ .

(٢) من أولاده محي الدين وأبو الفيث بن علي . ومن ذويته المعاصرين بيت الولي وبيت القاسم في شبام وكوكبان وبيت صلاح في هجرة السر بني حبش وغريم .

ومن أولاد الإمام شرف الدين أيضاً :

الأمير الحسن^(١١) بن الإمام شرف الدين مولده ونشأته في حجر والده الإمام كما أخذ وسمع عنه العلم الشريف وسمع وأخذ ودرس على كثير من العلماء المعاصرين له . وبلغ درجة فائقة في العلم والزهّد والورع . وتولى لوالده إدارة بلاد كحلان تاج الدين وما إليها واستمر فيها حتى توفاه الله في سنة ٩٨٣ هـ وقبره وقبر ولده الهادي في حصن كحلان تاج الدين رحمهم الله تعالى .

ومن أولاد الإمام شرف الدين :

الأمير عبد القيوم مولده سنة ٩٣٨ هـ وقد توفي في حياة والده بعد أن صار يُعَدّ من العلماء رغم أنه غلام يافع ، وفي حفلة أقيمت بإسمه لختمه القرآن الكريم سقط من علا الحصان ومات فرائه والده الإمام شرف الدين بقصيدة منها :

حمدت الله ربي يا بُنيّاً على يوم نعت به إلها
نفضت حساسيّ والروح لما نفضت تراب قبرك من يديا
ولما أن ختمت الذكر حيا قدمت به على الباري صيبا
وكذا في زفاف الختم نسعى فقال الرب زفوه لَدَيّا
وكنت قد امتلكت من المعاني فلن تترك من الإحسان شيّا
وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعط منك حيا
رحمهم الله تعالى جميعاً وإيانا والمؤمنين :

ومن أولاد الإمام شرف الدين :

الأمير الحسين بن الإمام شرف الدين : وفاته سنة ٩٨٣ هـ .

(١) من أولاده شرف الدين وزين العابدين المتوفى سنة ٩٨٣ هـ . والهادي بن الحسن بن الإمام شرف الدين .

ومن ذريته في عصرنا هذا بيت الكحلاني ومنهم الأخ العلامة المطهر بن يحيى الكحلاني والأخ أحد ابن يحيى وولده عبد الله بن أحمد بن يحيى بن حسن بن يحيى بن زيد بن محسن بن لطف الله بن علي بن محمد بن علي بن شرف الدين بن الهادي بن الحسن بن الإمام شرف الدين وهو من العلماء النجباء مولده في سنة ١٣٥١ هـ . قرأ على عمه المطهر وعلى القاضي العلامة أحمد بن قاسم الشمط الأهنومي وقرأ في صنعا على المولى العلامة أحمد بن دلي الكحلاني والقاضي العلامة عبد الله السرحي والقاضي محمد العمراني وغيرهم .

الأمير رضى الدين ^(١) بن الإمام	وفاته سنة ٩٨٣ هـ.
الأمير عبد التواب ^(٢) بن الإمام	وفاته سنة ٩٨٣ هـ.
الأمير زكريا ^(٣)	وفاته سنة ٩٨٣ هـ.
الأمير إبراهيم ^(٤)	وفاته سنة ٩٨٣ هـ.
الأمير محيي الدين ^(٥)	وفاته سنة ٩٨٣ هـ.

لأنه انتهى المراد مختصراً من ترجمة الإمام شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليهم السلام وترجمه بعض أولاده الكرام وقد سبق في غضون هذه الترجمة ذكر تاريخ وفاته وما نقله المولى العلامة يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد بن علي رحمه الله في تاريخه غاية الأمان في أخبار القطر اليماني المطبوع سنة ١٣٨٨ هـ .

وفي الختام لا بد وأن أسدي الشكر والثنا العاطر للسيد الولد العلامة أحمد بن يحيى بن الحسين بن علي بن عبد الكريم ^(٦) لما قام ويقوم به من الحث والتأييد والمعونة بطبع

(١) لم أعرف تاريخ مولده . ومن أولاده : الهادي بن رضى الدين توفى سنة ١٠٠٦ هـ. ومحمد رضى الدين قتل في معركة مع الأروام في الطويلة سنة ٩٧٧ هـ. وقبره في ساحة بجانب حصن الطويلة إلى الغرب الجنوبي من مدينة الطويلة مشهود مزور .

ومن أولاده أيضاً لطف الله بن رضى الدين وكان متولياً على شبام في سنة ١٠٠٧ هـ .

(٢) كان من معاونين لابن أخيه الأمير محمد بن شمس الدين ومن أولاده . محمد

(٣) لم أعرف تاريخ مولده ولا وفاته لعدم المصادر الكافية عند كتابة هذه السطور .

(٤) لعله توفى في حياة والده الإمام . وقبره في المشهد جوار جامع المدرسة بصنعاء ، ذكره في غاية الأمان .

(٥) لم أعرف تاريخ مولده ولا وفاته حال تحرير هذا .

(٦) ابن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن شمس الدين من مواليد سنة ١٣٥٦ هـ. في مدينة كوكبان وقد نشأ في حجر والده على العلم والدراسة وأخذ عنه وعن السيد العلامة محمد بن قاسم الشامي وانتقل إلى صنعاء وأخذ على القاضي اسماعيل العمراني والقاضي عبد الله حميد ثم عاد إلى والده واستمر في الدراسة لديه إلى سنة ١٣٨٢ هـ. وشاء الله أن يفتقر للظروف القاهرة إذ ذاك فخرج من كوكبان والتحق بالمجاهدين وتولى القيادة لقضاء كوكبان من جهة الأمير سيف الإسلام محمد بن الحسين بن الإمام يحيى حميد الدين ومن جهة الأمير علي بن إبراهيم حتى أصيب ووقعت المصاحبة ، وله ملكية أدبية وأخلاق نبوية ولم يزل يلازم العلم الشريف والاستزادة منه على شيخه السيد العلامة علي بن عبد الكريم بن محمد الفضيل شرف الدين وغيرهم وتحضرني حال هذا رسالة شعرية أرسلها إلى والده وجواب والده عليها . كما جاء في رسالته إلى والده قوله :

أعيش ولكن في جميع معذب ونار النوى تذكي فؤادي وتلهب

إلى آخر الأبيات وقد ذكرتها في مقدمة ديوان : « الأمير الحسين بن عبد القادر » رحمه الله .

هذا الكتاب القيم وغيره مع تحمله أكثر تكاليف الطبع زاد الله في شبابنا المعاصر من أمثاله الذين يحرصون على التراث العلمي للأمة اليمنية وللعالم الإسلامي . فمراجعة التراث الديني واجب مقدس ومراجعة فصول تاريخ أمتنا فرض لازم ليكون قبساً للهداية ومناراً للفوز والرشاد .

وأما مؤلف شرح قصص الحق الذي نقدم له بهذه المقدمة

فهو المولى العلامة القدوة العابد الزاهد المجتهد الورع شيخ الإسلام وكبير العلماء الأعلام محمد بن يحيى بن محمد بهران الزيدي أحد علماء اليمن المشاهير . جاء في البدر الطالع للقاضي العلامة محمد علي الشوكاني قوله : كان في أوائل عمره ينتقل في المداين اليمنية للتجارة ودخل إلى جهة الحبشة وهو مع ذلك يطلب العلم في كل محل يتجر فيه ومن مشاهير مشايخه السيد المرتضى بن قاسم وبرع في جميع القنون وفاق أقرانه وتفرد برياسة العلم في عصره وصنف التصانيف الحافلة منها في الفقه (شرح الأثمار) للإمام شرف الدين في أربعة مجلدات وفي العربية (التحفة) وفي الأصول (الكافل) وله في المعاني والبيان مصنف ، ومصنف في العروض والقوافي سماه (الشافي) وله (تخريج البحر الزخار) للإمام المهدي (المعتمد) جمع فيه الأمهات الست ورتبه على أبواب الفقه وله حاشية على الكشاف اختصرها من حاشية العلوي وله التفسير الكبير جمع فيه بين تفسير الزمخشري وتفسير ابن كثير وقد عمّ النفع بشرحه للأثمار المتقدم ذكره فإنه ذكر فيه دقائق الفقه وحقائقه ما لم يوجد في غيره وذكر الأدلة على مسائله ونقحه أحسن تنقيح ، ويروى أنه لما وصل إلى الإمام شرف الدين مصنف المتن أمر بزفافه بالطبول خانة وطاقوا به في المشاهد والمدارس ومعه أعيان العلماء والمتعلمين ، وقيل إنه فعل ذلك في التفسير المذكور ، وله نظم مشهور منه القصيدة التي سلك فيها مسلك الطخرائي في لامية العجم ومطلعها :

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

وهي قصيدة فائقة مشتملة على حكم فائقة . ومن نظمها الأبيات التي منها :

سرى وخلى عن مقلة النائم الغمض عشية حن الرعد وابتسم انومض
وأسبل جفن الغيم واكف دمعته على صحن خد الأفق فاهترت الأرض
ولاعبة الأغصان وهناً يد الصبا فأصبح يحكي السندس الورق الغض

إلى آخرها ومات بصفر سنة ٩٥٧ هـ .

انتهى من البدر الطالع صفحة (٢٧٩) .

هذا وفي إشارة شيخ الإسلام الشوكاني إلى المترجم له بانه تفرد برئاسة العلم في عصره كفاية لمن يريد أن يعرف قدر المترجم له المولى القاضي محمد بن يحيى بهران رحمه الله تعالى على أن ما لم يذكر في مقاله هو الشيء الكثير .

وعلى الحملة فمزايا القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران أكثر من أن توصف ومحامده أكبر من أن تُعرف . وسيجد القارئ الكريم في شرحه لقصص الحق المقدم له بهذه الكلمة ما يعرف به مقدار سعة إطلاع المؤلف وبعد نظره ومقدار ما يتميز به من اعلان الحق والإنصاف للتاريخ دون أي دافع آخر فله ما بذل من جهد في إحياء معالم الدين رضي الله عنه وأرضاه وفي مستقر الرحمة مع الأولياء والأتقياء أجزل الله له اكرامه وجزاه .

انتهت المقدمة وهي وإن توسع البحث فيها لا تخلوا عن فائدة مرجوة لأبناءنا الكرام من الشباب اليمني والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين وصحابته الراشدين وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين آمين .

ملحوظة :

ويلاحظ أن تأليف شرح قصص الحق كان في حياة الإمام يحيى شرف الدين عليه السلام وأن الشارح رحمه الله كان يجيد الثنا عليه كلما ذكره فمثلاً يقول :
(قال مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين يحيى شرف الدين أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته) .

هذه الحملة وأمثالها اختصرناها عند الطبع إلى لفظ : قال الإمام عليه السلام، وكلمنا أطلق هذا الاسم في جميع الكتاب فالمراد به ناظم القصيدة الإمام يحيى شرف الدين عليه السلام .

• • •

ويلاحظ أيضاً أنه كان في المستطاع تغيير ترتيب بعض الجمل على بعض لتكون أسهل في الفهم لكن تركناها كما هي في الأصل عملاً بأمانة النقل واحتراماً لحق المؤلف رحمه الله ورضي عنه ليكون ما كتبه باقياً على ما رتبّه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اصطفى سيدنا محمداً من أشرف العناصر ،
وفضله على جميع الأوائل والأواخر ، وأنزل مدحه في محكم
القرآن المعجز الباهر ، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله رغم كل كافر ، فجلا بأنوار هدايته صلوات الله عليه
وسلامه ظلم البصائر ، وجاهد في الله حق جهاده بالحجج القاطعة
والسيوف البواتر ، حتى ابتهجت مناهج الرشاد لكل رجيم جائر ،
واستنارة سبل النجاة لكل حائر ، واستقرت قواعد الدين الحنيف
وقرت عيون أهله كما قر عينا بالاياب المسافر ، صلوات الله
وسلامه عليه وعلى آله الأئمة الاكابر ، البدور الزواهر ، البحور
الزواخر ، الغيوث الهوامر ، الليوث الهواصر ، صلاة وسلاماً
دائمين بداوم الله الذي لا ينتهى له ولا آخر .

وبعد : فلما كانت القصيدة الفائقة ، الفريدة الراقية ، الموسومة
(قصص الحق في مدح خير الخلق) ، التي انشأها من أنشأه الله
للانام رحمة ، وللإسلام عصمة ، وللمهتدين نعمة ، وعلى المعتدين
نقمة مولانا شمس فلك الأئمة ، وبدر هالة الأئمة ، كاشف الكروب
الملبة ، ومجمل الخطوب المدلّمة ، منبع العاوم والحكمة ، ومعدن
الرأفة والرحمة ، أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب

العالمين ، الإمام يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن أمير المؤمنين المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى عليه وعلى آبائه السلام ، لازالت رايات النصر والإقبال عليه خافقة ، ولا برحت نيرات السعادات في آفاق معاليه شارقة ، وما فتئت شآبيب النعم على جنابه الكريم مستهلة دافقة ، ولا انفكت موبقات النقم بكل من يناوئه ويعاديه حائقة .

لما كانت القصيدة المذكورة (١) مما لم يسبق الى نظم مثلها سابق ، ولا يطمع في شق غبار ناظمها رضي الله عنه (٢) لاحق ، لما تضمنته من أنواع البلاغة القرية من حد الإعجاز ، واشتملت من فنون العلم الشريف مع غاية الإيجاز ، أشار أيده الله بنصره الى وضع حواش تفك بعض مقفلاتها ، وتبين بعض مجملاتها ، ليرز من أجواف أصدافها لؤلؤها المكنون ، ويستوي في التقاط فرائد فوائدها الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، فبادرت الى امثال إشارته الكريمة ، ونظمت ذلك في سلك أبياده العقيمة ، وعلمت أن استيفاء الشرح لما تضمنته من العلوم غير داخل تحت المقدور ، وأن المتعرض لذلك كالملقي نفسه في غمرات البحر المسجور ، فوضعت عليها حواشي مختصرة ، فيها للمغرب تبصرة ، وللعارف تذكرة ، ونسبت ما أورده فيها من الثقليات الى أصوله حسب الامكان غير ملتزم حكاية الألفاظ ولا مستوف لجميع الاطراف

(١) اي قصص الحق .

(٢) في الاصل عز نصره لإن التأليف كان في حياة الإمام شرف الدين عليه السلام ولما كان عند الطبع ابدلنا الجملة المذكورة بجملة دعاء مناسب للنظم بعد موته رحمه الله وهي (رضي الله عنه) وذلك في جميع هذا الكتاب .

ولنما أنتزع من كل كلام زبدته وحاصاه وألتقط من جوهر كل
خبير شفافه وفاضله كل ذلك تنادياً من الإسهاب الممل وتوخياً من
الإيجاز غير المخل ، فما أصاب من ذلك شاكلة الصواب فمن الله
جل ذكره وبركات مولانا امير المؤمنين عز نصره وما حاد عن
الغرض وقصر عن الغاية او حاص^(١) فذلك جهد المقل وفي الجهد
عاذر ومن الله استمد التوفيق في جميع الموارد والمصادر ، وهو
حسبي ونعم الوكيل .

فصل

في ذكر طرف مما يتعلق بعروض القصيدة وقافيتها ورويها

هذه القصيدة الميمونة من النوع الثاني من بحر البسيط عروضها
مخبوبة وضربها مقطوع الا البيت الأول منها فان مصرع عروضه
وضربه مقطوعان ، والعروض هو الجزء الآخر من المصراع
الأول من البيت ، والضرب هو الجزء الآخر من أجزاء البيت ،
ووزن هذا النوع من البسيط .

مستفعل فاعل مستفعل فعل .

أربعة أوزان ، وبيته على الدائرة .

يا رب ذي سؤدد قلنا له مرة * ان المعالي لمن ينبغي بناء العلى

لكن . هذا النوع من البسيط لم تستعمله العرب في أشعارها إلا نادراً .

(١) حاص عنه معنى عدل ومال اه .

(٢) هذا اول فصل وقد جعل الشارح لكل فقرة من الكتاب عبارة (فصل)
كما هو ملاحظ .

إذ لا تستلذه الاسماع ولا تستروح اليه الطباع ، وأما قافية القصيدة فمتواتر لأن القافية في الاصطلاح على ما ذهب اليه الخليل بن أحمد عبارة عن آخر حرف في البيت الى اول ساكن يليه مع حركة الحرف الذي قبل ذلك الساكن وآخر حروف البيت لا يكون الا ساكناً ، فان كان بينه وبين الساكن الذي قبله أربع حركات ، فالقافية متكافؤ ، وإن كان بينهما ثلاث حركات فمتراكب ، أو حركتان فمتدارك ، أو حركة واحدة كما في هذه القصيدة فمتواتر ، وإن لم يكن بينهما حركة فمترادف .

وأما روي القصيدة هذه فهو الهاء عند المحققين من علماء الروي ، والياء التي قبلها ردف ، والمدة التي بعد الهاء وصل ، والروي هو الحرف الذي تبتنى عليه القصيدة ، وتنسب اليه ، فيقال قصيدة لامية أو دالية أو نحو ذلك ، وحركة الروي تسمى المجرى ، فهذه نبذة يسيرة استحسنت ايرادها ومن أحب استقصاء الكلام على ذلك فليقصد مواضعه (١) موقفاً ان شاء الله .

فصل

في حسن الإبتداء وبراعة الاستهلال

قال الامام عليه السلام في مدح جده سيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين :

* (لَكُمْ مِنَ الْحُبِّ صَافِيَةٌ وَوَافِيَةٌ
وَمِنْ هَوَا الْقَلْبِ بَادِيَةٌ وَخَافِيَةٌ) *

(١) مواضعه في علم العروض والقوافي .

إنفق علماء البلاغة ونوابغها على أنه ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه بحيث يكون أعذب لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأوضح معناً ، وهو: الابتداء ، والتخلص ، والإنهاء ، وقد جاءت هذه الثلاثة في هذه القصيدة الميمونة على أحسن الوجوه وأفضلها ، وأتمها وأكملها ، وإذا انضم إلى ذلك لحسن الابتداء مناسبة للغرض المقصود الذي سبق له الكلام وأشار إليه سمي ذلك براعة الاستهلال كما في مطلع هذه القصيدة فإن فيه إشارة إلى ما يجب من اخلاص المحبة لرسول الله ﷺ وذلك مناسب للغرض المقصود من مدحه ﷺ وقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أنس قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وفي رواية للنسائي « من ماله وأهله والناس أجمعين » وأخرج البخاري والنسائي عن أبي هريرة قال : قال ﷺ « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده » وأخرج البخاري عن عبد الله بن هشام قال : « كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي ، فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر فانه الآن لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال : لأن يا عمر . »

وفي قوله عليه السلام : صافيه ووافيه جناس غير تام لاختلاف الحرف الأول من الكلمتين ، فهو نحو قوله تعالى من سبأ نبأ ، وفي قوله باديه وخافيه مطابقة لما بين البادي والخافي من التقابل وذلك نوع من البديع بديع وقد سلك عليه السلام بالتعبير بالضمائر دون

الظواهر في أوائل هذه القصيدة مذهباً مذهباً لا ينتبه له إلا مثله وفيه
 صيانة واحترام للمحبوب عن التصريح باسمه الظاهر مع كون
 الضمير أخف على اللسان ، وألذ في الأسماع ، وأهز للأعطاف ،
 وهو يشارك المجاز والكناية فيما لأجله كانا أبلغ من الحقيقة
 والتصريح ، وهو عن المقصود والإشارة إليه ونحو ذلك ، وقد
 استعمل عليه السلام في أوائل هذه القصيدة نوعاً من البديع وهو
 لزوم ما لا يلتزم لانه التزم في تسعة أبيات متوالية ان يكون ما قبل
 ياء الردف فاءً .

٢ * (تَحَقُّقُوا مِنْ فَوَادِ الصَّبِّ حُبُّكُمْ

فشرح ذلك لا يُسْتَطَاع مِنْ فِيهِ) *

المعنى أن العبارات وإن اتسعت لا تفي بشرح القليل مما لدي من
 المحبة لإفراطها وإنما يعرف ما في القلب من ذلك بالقلب اذ القلوب
 شواهد على القلوب ، والصب العاشق المشتاق ، والمراد بها هنا
 بالحب المحبة شدة ميل الطبع الى المحبوب ، لا ما يذكره أهل
 الكلام ، من ان المحبة ارادة نفع المحبوب ، ودفع الضرر عنه ،
 وإضافة حب الى ضمير المخاطبين من إضافة المصدر الى المحبوب
 أي تحققوا من فؤاد الصب حبه إياكم .

٣ * (أَنْتُمْ حُلُولُ فَوَادِي وَهُوَ بَيْنَكُمْ

وصاحب البيت أدري بالذي فيه^(١)) *

(١) التظمن للشطر الأخير من البيت قد ورد أيضاً في قول الشاعر :
 دَعِ الْمَذَاهِبَ وَاسْعِ سَعْيَ مَجْتَهِدٍ إن شئت مذهب أهل البيت تحويه
 هم أوضاع المحكمات المذكور ثم رويوا لما حكوه من الأخبار من فيه
 واعلم بأن حديث القوم متسع وصاحب البيت أدري بالذي فيه

قوله وهو بيتكم : تتميم وتأکید لقوله أنتم حلول فؤادي ، وأما قوله وصاحب البيت الى آخره ، فالأقرب أنه مضمن ، وقد وقع في محله وأصاب محزه وفيه رمز الى أن المادح من أهل بيت الممدوح فهو أعلم بما يليق بحاله من المدح وغيره .

• (قد طارَ رُوحِي مَعَكُمْ يَوْمَ رِحْلَتِكُمْ

وَذَا تَلَا فِي فَجَدُوا فِي تَلَا فِيهِ) * ٤

ذكر مصاحبة الروح للأحبة ، وفراقه صاحبه لفراقهم مما يستعمله البلغاء كثيراً في أشعارهم ومن ذلك قول بعضهم :

جسمي معي غير ان الروح عنديكم

فالروح في غربة والجسم في وطن

فليعجب الناس مني أن لي بدنا

لا روح فيه ولي روح بلا بدن

لكن الامام عليه السلام زاد عليهم في ذلك بذكره الطيران وقوله عليه السلام وذا تلا في فجدوا في تلافيه ، مما يلحق بالجناس لما بين لفظ التلاف والتلافي من شبه الاشتقاق والضمير في تلافيه عائد الى الروح .

• (لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ إِلَّا فِي جِوَارِكُمْ

فَقَرَّبَكُمْ لِغَرَامِ الْقَلْبِ شَافِيهِ) * ٥

العيش بقاء الحي والغرام أشد الحب وقل ما استعملته العرب ، والضمير في شافيه راجع الى الغرام .

• (يَا حَادِيًا بِالْمَطَايَا نَحْوِ ذِي سَلَمٍ

يَا مَا أَجْلَكَ حَالًا إِذْ تَوَافِيهِ) * ٦

الحادي اسم فاعل، حدى الإبل يحدوها إذا ساقها واستحشها بالحداء وهو نوع من نشيد الأعراب تطرب الإبل عند سماعه فيزداد سيرها ويهون عليها ما بها من الكلال والإعياء ، قال الزاجر :
فغنّها وهي لك الفداء إن غناء الإبل الحداء
وفي الصحيحين عن أنس قال : كان لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره غلام أسود يقال له (أنجشة) وكان يحدو ، فقال له رسول الله ﷺ «ويحك يا أنجشة ارفق بالقوارير» قال أبو قلابة : يعني به النساء .

وفي رواية قال : كان للنبي ﷺ حاد يقال له أنجشة وكان حسن الصوت فقال له رسول الله ﷺ يا أنجشة لا تكسر القوارير يعني ضعفة النساء .

وروي في غير الصحيحين أنه كان للنبي ﷺ حاديان ، عبد الله ابن رواحة ، كان يحدو بالرجال ، وأنجشة وكان يحدو بالنساء وذلك في بعض أسفار النبي ﷺ . والمطايا جمع مطية وأصلها مطيوه فعيلة من المطو وهو المد لما كانت تمتد في سيرها فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء الأولى كما هو حكمها إذا اجتمعت أو سبقت إحداهما بالسكون وأصل مطايا مطايبي بيائين ، قلبت أولاهما همزة كما هو القياس في ياء فعاليل وقلبت الثانية ألفاً للتخفيف فصارت الهمز بين الالفين في الجمع الأقصى فقلبت ياءاً كما هو القياس فصار مطايا ، وذو سلم ، موضع على نحو يومين من المدينة الى جهة مكة ، والسلم ، في الأصل شجرة القرظ واحدته سلمة بفتح اللام ، والمنادى محذوف في قوله عليه السلام : يا ما أجلك تقديره يا هذا ما أجلك وما تعجبية وأجل فعل تعجب ،

وفاعله مستتر فيه ، والكاف مفعول وحالا تمييز وإذ ظرف زمان ومعنى توافيه . تلاقية وتصادف من دون ريث ^(١) والضمير في توافيه عائد الى ذي سلم .

* (بِهِ تَوَافَى بِدُورِ الْحَيِّ مِنْ ثَعْلٍ

بِدُورٍ تَمَّ لِنُورِ الْبَدْرِ تَجْفِيهِهِ) * ٧

ألباء في به ظرفيه والضمير راجع إلى ذي سلم والباء في بدور الحي مكسورة ظرفيه ، والحي القبيلة ، وثل من طي موصوفون بقوة الرمي وقد يكنى بهم عن غيرهم ، وبدور الثانية جمع بدر مضاف الى تم وهو منصوب مفعول لتوافي ، وفاعله ضمير المخاطب ، وفي قوله بدور الحي ، وبدور تم جناس تركيب محرف واللام في لنور البدر ، هي اللام المقوية للفعل عند تقديم مفعوله عليه كما في قولك لزيد ضربت .

* (طَارِحُهُمْ مِنْ مَقَالِي فِي صِفَاتِهِمْ

نَظْمًا يُزِيلُ لَظِي قَلْبِي وَيُطْفِئُهُ) * ٨

المفاعلة من الطرح وهو اللقاء تقول طارحت فلاناً الحديث إذا ألقيت إليه شيئاً منه وألقى اليك شيئاً ، ونظماً مفعول ثان لطارح وقوله ويطفئيه تتميم وتأکید لقوله يزيل لظي قلبي .

* (وَإِنْ مَرَرْتَ بِسَفْحِ الطَّوْدِ مِنْ أَصَمِّ

فَالثَّمِ ثَرَى السَّفْحِ مُحْيَاهُ وَعَافِيهِ ^(٢)) * ٩

(١) اي دون إبطاء .

(٢) يقال عفا المنزل اي دَرَسَ ويقال عفت عليه الريح اي اهلته وبابه عدا ويقال عفا الشعر والنبت اي كثر ومنه قوله تعا (حتى عفوا) اي كثروا والمراد في البيت بقوله عافيه ضد مُحْيَاهُ كما قال الشارح رحمه الله .

السفح ما انحدر من الجبل والطود الجبل العظيم ولاضم بكسر
 الهمزة وفتح الضاد المعجمة ، جبل ، وقيل موضع على نحو ثلاثة
 برد من المدينة ، ومحياه إسم مفعول وفي قوله محياه وعافيه مطابقة
 إذ المراد بالمحيا ما أحيا بالحرث ونحوه وبالعافي مقابله . .

١٠ * (وحين تَبْصُرُ مَصْحُوباً بِعَافِيَةٍ

سلعاً فَسَلَ عَنْ بَوَادِيهِ بِوَادِيهِ (١)) *

مصحوباً حال من فاعل تبصر و سلعاً مفعول تبصر وهو جبل بمدينة
 النبي ﷺ وفي قوله عن بواديه بواديه جناس مركب محرف لأن الباء
 في بواديه الثانية مكسورة ظرفيه بمعنى في قال عليه السلام ، وفي
 قوله سلعاً فسَلَ عن تجنيس تام معروف وفيما قبله وما بعده من
 أنواع التجنيس مع حسن السبك وعذوبة السياق والبعد عن التكلف
 ما يخرج سلعاً فسَلَ عن من الاتباع الى تفرغ الاختراع .

١١ * (عَسَاهُ يَبْدُو لَكُمْ مِنْ بَدْوِهِ خِيَمٌ

فَحَبْدًا فِي بَوَادِيهِ بِوَادِيهِ (٢)) *

عسى من أفعال المقاربة والأكثر أن يتصل به ضمير مرفوع
 إما بارز وإما مستتر ، واختلفوا فيها إذا اتصل به ما صورته ضمير
 منصوب كما في هذا البيت ، فعند سيبويه أنه منصوب وأن عسى
 في مثل ذلك عملت عمل لعل لما كانت في معناها في الترجي ،

(١) بَوَادِي الأولى جمع بادِيَةٍ والها ضمير ، وبَوَادِيهِ الثانية جار ومجرور
 الباء حرف جر ووادي المجرور والها ضمير يعود الى سلع .

(٢) بوادي الاولى جمع بادية اي منازل الأعراب وبوادي الثانية جمع بادية اي
 ظاهره وفي القرآن (بادي الراي) اي ظاهره وقد فسر . ذلك الشارح بعد هذا .

وعند الأخفش وأتباعه أنه مرفوع وإنما استعير له ضمير النصب
وعند المبرد أنه منصوب، على أنه خبر عسى وفاعلها مستتر فيها ،
وقوله يبدو لكم من بدوه مما يلحق بالجناس لما بين اللفظين من شبه
الاشتقاق والبدل مقابل الحضر، والخيم جمع خيمة ، وحذا من
أفعال المديح والمخصوص بالمدح بواديه الثانية ، وهي جمع باد
اسم فاعل من بدا ، والمراد بها ما يبدو لعين الناظر من الخيم
ونحوها المقصودة بقوله عساه يبدو لكم من بدوه خيم ، وأما بواديه
الأولى فجمع باديه التي هي مقابلة الحضر ففي ذكرها جناس تام
مزدوج، ولا يخفي على من له ذوق سليم وطبع قويم ما اتفق في
هذا البيت من عذوبة الألفاظ وانسجامها وجودة المعاني وتماها
على أن أكثر أبيات القصيدة منسوجة على هذا المنوال مفرغة في
قالب الكمال ، فما أجدرها بقول من قال :

رقاح سامعها حتى يهزلها من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعر غيرها سمعاً ولا بصراً في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

* (ماذا تُحاولُ في أرجاء كاظمة)

مِنَ الْمَغَازِي أَبْنِ لِي أَيْشَ تَبْنِيهِ * ١٢

ماذا بمعنى ما الذي أو بمعنى أي شيء ^(١) ، والمحاولة الطلب
والأرجاء الجوانب مفردها رجي مقصور، وكاظمة اسم موضع ،
والمغازي المقاصد، وأيش أصلها أي شيء فخففت لكثرة الإستعمال
بحذف الياء الثانية من أي وحذف ياء شيء وهمزته ثم ركبا في
اللفظ والخط على غير قياس .

(١) أي إما موصولة ، أو موصوفة

١٣ . (صَدِّحْ بِمَغْزَاكَ فِي سَلْعٍ وَفِي لِاضْمٍ .

فليس عندهما معناً تَكْنِيهِهِ) .

المغزي . المقصد ، وسلع واضم تقدم ذكرهما (١) ، وتكنيه أصله
تكنى عنه فضعف للتكثير وأوصل الفعل الى المنصوب المفعول
باسقاط حرف الجر كما في قوله تعالى : واختار موسى قومه ، أي
من قومه ونحو ذلك .

١٤ * (أَمَا تَرَى مِنْهُمَا أَنْوَارَ طَيِّبَةٍ قَدْ

عَلَتْ لِنَازِحٍ رَأَيْتُهَا وَدَانِيهِ) .

١٥ * (أَنْوَارُ مَنْزِلٍ مَنْ أَنْوَارُ مَنْزِلِهِ

مِنْ حَضْرَةِ الْقُدْسِ لَا تَنْفَكُ تَاتِيهِ) .

طيبة اسم مدينة النبي ﷺ والمراد بالأنوار المذكورة إما
حقيقتها كما يحكى عن كثير من الزوار يشاهدون في الليلة التي
يدخلون المدينة في صبحتها انواراً تصعد في الأفق من نحو قبة
رسول الله ﷺ وذلك غير مستبعد ولا مستبعد في جنب ما خص
الله تعالى به حبيبه ونبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من
الآيات الباهرة والكرامات الظاهرة ، وإما أن يراد بالانوار ، ما
خص الله به المدينة المشرفة من الرونق والبهاء ، والأبهة والسناء ،
وهبوط الملائكة المكرمين بأي القرآن المبين ، الذي هو نور للعالمين ،
تجلى به القلوب ، وتزول به الكروب .

والقدس ، الطهارة والمراد بحضرة القدس مقر الملائكة المقربين

(١) تقدم انهما لإسمين لموضعين قرب المدينة المنورة .

المتسمين بالانوار ، المطهرين من الأقدار ، سلام الله ورحمته وبركاته عليهم آناء الليل واطراف النهار، وفي قوله لنازح رائيها ودانيه مطابقة ، وقوله أنوار منزله من وضع الظاهر موضع الضمير .

* (محمد مصطفى الجبار حجته

على البرايا وقاضيه ومفتيه) * ١٦

حكى النووي في شرح مسلم ، عن أبي بكر ابن العربي في شرحه على الترمذي عن بعضهم أن لله الف اسم وللنبي ﷺ الف اسم ثم ذكر منها بضعة وستين اسماً يقال : رجل محمود ومحمد ، اذا كثرت خصاله المحمودة ، قال ابن فارس وغيره : وبه سمي نبينا ﷺ محمداً وأحمد أي ألهم الله تعالى أهله أن يسموه به لما علم من محمود خصاله ، وقوله مصطفى الجبار ، اشارة إلى الأحاديث الواردة في ذلك .

فعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه ، أخرجه البخاري .

وعن واثلة ابن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم . أخرجه مسلم والترمذي ، وللترمذي في أخرى : ان الله اصطفى من ولد ابراهيم ، اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة ، وذكر الباقي .

وعن العباس عليه السلام قال : « قلت يا رسول الله ان قریشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في لبوة (١) من الأرض ، فقال عليه السلام إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ، ثم خير القبائل ، فجعلني من خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نسباً ، وخيرهم بيتاً » أخرجه البخاري .

وعن المطلب ابن أبي وداعة قال : جاء العباس الى رسول الله عليه السلام وكأنه سمع شيئاً . فقام النبي عليه السلام على المنبر فقال « من أنا ، فقالوا : أنت رسول الله . فقال : أنا محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فريقين ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً » أخرجه الترمذي .

وقوله حجته الى آخر البيت ، اشارة الى نحو قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) الآية والى نحو قوله تعالى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) الآية ، والى نحو قوله تعالى (وأنزلنا الذكر لتبين للناس) الآية .

(١٧) * (العاقبُ الحاشِرُ المختارُ أحمد و

الذكر المبين مزيل النُّكْرِ ماحية) *

(١) اللبوة لغة في النبوة وهي ما ارتفع من الأرض اه .

عن جبير ابن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ « لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي ، وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً » أخرجه البخاري ومسلم وأخرجه الموطأ مرسلًا الى قوله العاقب وأخرجه الترمذي الى قوله « ليس بعده نبي » .

وعن أبي موسى قال : « كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال : أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقتفي ونبي التوبة ونبي الرحمة » أخرجه مسلم ؛ قال النووي وفي حديث آخر « ونبي الملاحم » لانه ﷺ بعث بالقتال ، قال العلماء وانما اقتصر على هذه الأسماء لانه ﷺ له أسماء غيرها كما تقدم لأنها موجودة في الكتب المتقدمة .

وقوله والذكر المبين ، إشارة الى قول من يقول الذكر من أسمائه ﷺ ويحمل عليه قول الله تعالى (قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولا) الآية لابدال رسول من ذكر والله أعلم .

• (من كان يَخْتَرِقَ السَّبْعَ الطُّبَاقَ عَلَى

الْبَرَقِ لَا شَيْءَ عَنْ مَرْقَاهُ يَثْنِيهِ) * ١٨

• (حَتَّى يُخَصَّ بِقَرَبِ اللَّهِ خَالِقُهُ

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى يَنَادِيهِ) * ١٩

وانما قال عليه السلام من كان يخرق ، ولم يقل من بات يخرق لأن كان إذا وقع خبرها فعلا مضارعاً أفادت تكرره فيما مضى والمختار عنده عليه السلام أن الإسراء كان أكثر من مرة

كما ذهب اليه طائفة من العلماء ، قال ابن القسم كان الإسراء بالنبي ﷺ مرتين ، مرة بروحه ومرة بجسده ، وقيل كان ثلاث مرات ، وكذلك قوله فيها سيأتي لأهل كساء كان يلويه ، لأن قصة الكساء وقعت في أوقات وأماكن متعددة كما يفهم ذلك من روايات أم سلمة وعائشة ، وواثلة ابن الأسقع وغيرهم ، هكذا ذكره عليه السلام .

وفي حديث الإسراء روايات كثيرة منها ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهم عن أنس عن مالك بن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال : «بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم واليقظان إذ أتاني آت قال : فسمعتة يقول : فشق ما بين هذه الى هذه فقلت الى الجارود وهو الى جنبي ما يعني به ، قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعتة يقول من قصه الى شعرته ، فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطشت من ذهب مملوء إيماناً فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار ، أبيض ، فقال له الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة فقال أنس : نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحمات عليه فانطلق بي جبريل حتى وصل الى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا ، قال جبريل ، قال ومن معك قال محمد قيل : أوقد أرسل اليه قال نعم : قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلاصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك فسلم عليه وسلمت عليه فرد السلام وقال : مرحبا بالإبن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قبل من هذا قال : جبريل قال ومن معك . قال : محمد قيل أوقد أرسل اليه قال : نعم قال : مرحبا فنعم المجيء جاء ففتح فلما

خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما أبناء خالة ، قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك ، قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ، قال جبريل قال ومن معك قال محمد ، قيل أوقد أرسل اليه قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء ، جاء فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه ، قال نعم ، قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال : هذا هرون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي الى السماء السادسة ، فاستفتح قيل من هذا قال جبريل ، قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم ، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما جاوزته بكى فقبل ما يبكيك ، فقال ابكى لان غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته اكثر ممن يدخلها من أمتي .

ثم صعد بي الى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه . قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم رفعت الى سدرة المنتهى : فاذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل . فقال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفعت الى البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وامتك ، قالى ثم فرضت علي الصلاة» الحديث ...

وفي رواية عن أنس ان رسول الله ﷺ قال «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطه في الحلقة التي يربط فيها دواب الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء » وذكر نحو الرواية الأولى يزيد وينقص .

تنبيه حكى النووي في شرح مسلم عن القاضي ما لفظه : اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ فقيل كان جميع ذلك في المنام ، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها الا لدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل انتهى .

قال النووي : - وأما قول بواب السماء وقد بعث إليه فمراده وقد بعث إليه للإسراء وصعود السماوات وليس مراده الإستفهام عن أمر البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة وقال في سدره المنتهى: قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ وحكي عن القاضي عياض قال واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء فانكرته عائشة ، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعته وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين قال : وكذلك اختلفوا في أن نبينا محمداً ﷺ كلم ربه سبحانه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا قال وكذلك اختلفوا في قوله تعالى ثم دنا فتدلى فالأكثر على أن هذا الدنو والتدلي ينقسم ما بين جبريل والنبي ﷺ أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى ، وذكر عن ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن ، وجعفر ابن محمد ، وغيرهم أنه دنو من النبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى ومن الله تعالى ، وعلى هذا يكون الدنو والتدلي متأولاً وليس على وجهه كما قال جعفر ابن محمد الدنو من الله لا حذله ، ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي ﷺ من ربه سبحانه وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه وإطلاعه عن غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له إظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تبارك وتعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) على هذا عبارة عن لطف المحل واتصاف المعرفة والإشراف

على الحقيقة من نبينا ﷺ ، وكان من الله عز وجل على إجابة الرغبة وإبانة المنزلة ويتأول في ذلك ما يتأول في قوله ﷺ عن ربه عز وجل « من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً » الحديث هذا آخر كلام القاضي .

قلت .. والذي في جامع الأصول عن ابن مسعود في قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) وفي قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) وفي قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال فيها كلها رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح زاد في روايته ، في قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) رأى جبريل في صورته ، كذا عند مسلم ، وعند البخاري ، في قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى) ، قال رأى جبريل عليه السلام بستمائة جناح ، وفي رواية الترمذي ، قال (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف أخضر قد ملأ ما بين السماء والأرض ، وللبخاري والترمذي في قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) رأى رفرفاً أخضرأ سد أفق السماء .

وعن ابن عباس ، (ما كذب الفؤاد ما رأى : ولقد رآه نزلة أخرى) . قال رآه بفؤاده مرتين وفي رواية . قال رآه بقلبه ، هذه رواية مسلم وعن أبي هريرة قال : ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل عليه السلام أخرجه مسلم ، وعن مسروق قال : قلت لعائشة يا أمتاه هل رأى محمد ربه ، فقالت « لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب . من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو

يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب أو يرسل رسولا) ومن حدثك انه يعلم ما في غد، فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم شيئاً فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية ، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين « وفي رواية قال : قلت لعائشة فأين قوله : (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) فقالت ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صورته وانه آتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق ؛ وفي رواية ان مسروقاً قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت وما هن قالت : من يزعم ان محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : انا أول من سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال «انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها إلا هاتين المرتين ورأيتُه منهبطاً من السماء ساداً بعظم خلقته ما بين السماء الى الأرض» الى آخر الحديث أخرجه البخاري ومسلم انتهى ؛

وحكى الإمام عليه السلام عن السدي قال : فرضت على رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ببيت المقدس ليلة أسري به قبل مهاجرته بستة عشر شهراً فعلى هذا يكون الإسراء في ذي القعدة ، وقال الزهري أسري برسول الله ﷺ قبل خروجه المدينة بستة فعلى هذا يكون الإسراء في ربيع الأول ، وجاء في حديث ضعيف أن الإسرى كان في ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ

عبد الغني المقدسي (١)

٢٠ * (مَنْ كَانَ فِي الْكَوْنِ قَبْلَ الْكَوْنِ صَوْرَهُ

مِنْ نُورِهِ اللَّهُ حَظًّا مِنْهُ يُؤَلِّقُهُ) *

٢١ * (ذَا سَيِّدِ الْخَمْسَةِ الْأَشْبَاحِ مَا بَرَحَتْ

يَدُ الْعِنَايَةِ فِي الْأَكْوَانِ تُعَلِّقُهُ) *

قال الإمام عليه السلام ، روي عن النبي ﷺ انه قال :
« كنت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما
خلق الله آدم القى ذلك النور في طينته » في احكام ابن القطان . عن
علي ابن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام ، أن النبي
ﷺ قال : « كنت نورا بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة
عشر الف عام » وأخرج ابن سعد عن قتادة عنه ﷺ قال :
« كنت اول الأنبياء في الخلق وآخر هم في البعث » انتهى .

وعن .. ابي هريرة قال : قالوا يا رسول الله متى وجبت لك
للنبوة ، قال : « وآدم بين الروح والجسد » . وروى السيد ابو
طالب باسناده عن جويبر عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن
النبي ﷺ انه قال : « لما أمر الله آدم بالخروج من الجنة رفع
طرفه نحو السماء فرأى خمسة أشباح عن يمين العرش ، قال : الهي
خلقت خلقا قبلي فأوحى الله اليه أما تنظر الى هذه الأشباح قال :
بلى ، قال : هذه الصفوة من نوري اشتقت أسمائهم من اسمي فانا
الله المحمود وهذا محمد وانا العالي وهذا علي وانا الفاطر وهذه

(١) وعليه أكثر المسلمين اليوم يحتفلون بذكرى المعراج في ليلة سابع وعشرين

من رجب اه .

فاطمة وانا المحسن وهذا الحسن ولي الاسماء الحسنى وهذا الحسين . فقال آدم : بحقهم اغفر لي . فأوحى الله اليه قد غفرت لك وهذه الأسماء هي التي قال الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) انتهى بلفظه من 'محاسن الأزهار' للفقير حميد الشهيد رحمه الله تعالى .

* (نُورٌ تَنْقَلُ فِي أَصْلَابِ صَفْوَةِ رَبِّ

الْعَرْشِ حَتَّى لِعَبْدِ اللَّهِ يُغْشِيَهُ) * ٢٢

* (وَأَوْدَعَ النُّورَ عَبْدُ اللَّهِ آمَنَةً

كَالْبَحْرِ يُودِعُ أَصْدَافاً لُؤَالِيَهُ) * ٢٣

الإغشاء هنا بمعنى جعل النور كغرة الفرس في وجه عبد الله ومنه سميت بعض خيل العرب بالغشوى وقالوا فرس أغشى أي قد غشي وجهها بياض ، وسيأتي في آخر الحديث ان ذلك النور في وجه عبد الله كائن كغرة الفرس .

* (فَنُورَ اللَّهِ مِنْهَا كُلُّ جَارِحَةٍ

كَمَطْلَعِ الشَّمْسِ يَسْنِي إِذْ تُدَانِيهِ) * ٢٤

قال الإمام عليه السلام في هذا الموضع ما لفظه ، قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال تعالى (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً) وفي صحيح البخاري أنه قيل للبراء ابن عازب أكان وجه رسول الله مثل السيف فقال : بل كان مثل القمر ، وروي أن عائشة كانت

تخطيط بليل فسقطت إبرتها وطفىء سراجها فدخل النبي ﷺ فأضاء البيت من وجهه حتى وجدت الإبرة ، وقالت حليلة : كنا نستضيء بوجهه من غير مصباح .

ومن خصائصه ﷺ انه لا ظل له لانه نور كله ولذلك كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، كما ثبت في الصحيح انتهى ؛ قال ابن هشام في سيرته عقيب ذكر حديث المائة الناقة التي فدى بها عبد الله بن عبد المطلب من الذبح لأجل نذر والده المشهور قال أبو اسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من أسد ابن عبد العزى بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهي أخت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ، قال : مع أبي ، قالت : لك مثل الإبل التي نحرت عنك ، وقع علي الآن ، قال : أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ، ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن مناف بن فهر بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة بن كلاب فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة من قريش ، إلى أن قال : فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله ﷺ ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها : ما لك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت علي بالأمس ، قالت له : فارقت النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة ، وقد كانت تسمع من أخيها ورقة ابن نوفل وكان قد تنصر واتبع الكتب : أنه كائن في هذه

الامة نبي ، قال بن اسحق : وحدثني ابي اسحق ابن يسار أنه حدث أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد عمل في طين له وبدت آثار الطين فدعاها الى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها فتوضى وغسل ما كان به من ذلك الطين ثم خرج عائداً إلى آمنة فمر بها فدعته الى نفسها فأبى عليها وعمد الى آمنة فدخل عليها فأصابها فحمات بمحمد ﷺ ثم مر بامرأته تلك فقال لها : ألك حاجة ، قالت لا مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فأبيت علي فدخات علي آمنة فذهبت بها ؛ قال بن اسحق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مر بها وبين عينيه غرة الفرس ، قالت فدعوته رجاء ان تكون تلك لي ، فأبى علي ودخل على آمنة فأصابها فحمات برسول الله ﷺ قال : ويزعمون فيما يتحدث به الناس والله أعلم : أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها إنك قد حمات بسيد هذه الامة فاذا وقع فقولي : أعينه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً ورأت حين حمات به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام انتهى .

* (وَكَانَ فِي حَمْلِهِ آيٌ مُّصَاعَفَةٌ

رَهْصًا مِنَ اللَّهِ لِلْحَقِّ الَّذِي فِيهِ) * ٢٥

* (كَالْفَطْسِ وَالنَّكْسِ وَالْإِبْهَاجِ مَحْمَلُهُ

وَحُسْنُ حَالٍ لِأَمِّ الْخَيْرِ تَحْكِيهِ) * ٢٦

حكى في سيرة ابن هشام عن آمنة أم النبي ﷺ أنها قالت :

رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت له قصور بهمري
من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان
أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض
رافع رأسه إلى السماء ؛ قال الإمام عليه السلام ، في قوله كالمطس
والنكس البيت ، فيه إشارة إلى ما ذكره ابن مرزوق ، في شرح
البردة حيث قال : لما استقر رسول الله في بطن أمه أصبحت أصنام
الدنيا منكوسة وكذا سرير ابليس والملك يغطسه في لجج البحار
أربعين يوماً وكان الناس في جذب عظيم فأخصبوا فسحيت تلك
السنة سنة الإبهاج ولم يبق كاهن الا حجب ولا سرير ملك من
ملوك الدنيا الا أصبح منكوساً والملك يومه منحوساً .

• ٢٧ (وَحِينَ حَالَ لِحَلْقِ اللَّهِ مَظْهَرُهُ

كَانَتْ خَوَارِقُ لِلْكَفْرَانِ تُعْمِيهِ) *

• ٢٨ (مِلْؤُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ يُظْهَرُهُ

ظُهُورَ مُظْهِرِ دِينِ اللَّهِ يُعْلِيهِ) *

• ٢٩ (كَالشُّهْبِ مَا جَتَ لِحَرْبِ الْجَنِّ تُعْمِيهِ

وَالطَّيْرِ هَاجَتَ لَجَيْشِ الْفِيلِ تَرْمِيهِ) *

عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون
الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعاً فأما الكلمة فتكون حقاً
وأما ما زاد فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله ﷺ صرعت
للجن مقاعدها من السماء بالشهب ولم تكن النجوم يرمى بها قبل
ذلك ، فقال لهم إبليس ما هذا إلا لأمر حدث فبعث جنوده

فوجدوا رسول الله قائماً يصلي بين جبلين بمكة فأتوه فأخبروه ،
فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض ، أخرجته الترمذي .
وفي سيرة ابن هشام ما لفظه : فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ
وحضر مبعثه . حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين
المقاعد التي كانت تقعد لإستراق السمع فيها فرموا بالنجوم فعرفت
النجوم أن ذلك لأمر حدث من الله في العباد الى آخر ما ذكره .

قال فيها بن اسحق : وحدثني يعقوب ابن عتيبة عن المغيرة بن
الأحنس أنه حدث أن أول العرب فرع للرمي بالنجوم هذا الحلي
من ثقيف وأنهم جاؤا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد
بني علاج وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً ، فقالوا له : يا عمرو
ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ، قال : بلى قال :
فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر
ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معاشهم
هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا ، وهلاك هذا الخلق الذي
فيها ، وان كانت نجوما غيرها ، وهي ثابتة على حالها ، فهذا
لأمر أراد الله في هذا الخلق فما هو ، انتهى .

قال في الكشف .. في سورة الجن فإن قات كأن الرجم لم
يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوماً للشياطين) ، فذكر في خلق الكواكب فائدتين
التزيين ورجم الشياطين ، قلت قال بعضهم : حدث ببعث رسول
الله ﷺ وهو إحدى آياته .

والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل
الجاهلية ، قال بشر بن أبي خازم .

والعير يرهقها الغبار وجمحشها ينقض خافها انقضاض الكوكب^(١)
وقال أوس بن حجر :

وانقض كالدرى يتبعه نفع يثور تخاله طنبا
وقال آخر :

يرد علينا العير من دون إلفه ، أو الثور كالدرى يتبعه الدم .
ولكن الشياطين كانت تسرف في بعض الأحوال ، فلما بعث
رسول الله ﷺ كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة ، حتى تنبه لها
الانس والجن ، ومنع الاستراق أصلا ، الى آخر ما ذكره .

وقال في تفسير سورة الملك : ومعنى كونها مراجم للشياطين
ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نसार
الكواكب ، لا أنهم يرمون بالكواكب أنفسهم لأنها قارة في الفلك
على حالها وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقض .
وأما قول الإمام عليه السلام : والطير هاجت لجيش الفيل
ترمبه ، فهو اشارة الى قصة أصحاب الفيل وهي مشهورة طويلة
لكني أذكر منها ما أورده جار الله في الكشف في تفسير سورة
الفيل وهو حاصل القصة وخلاصتها ، قال رحمه الله : روي ان
أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصبحت النجاشي .. بنى
كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج
رجل من كنانة فقعده فيها ليلا فأغضبه ذلك ، وقيل أجمعت رفقة
من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحاف ليهده من الكعبة .
فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود ، وكان قويا عظيما

(١) برهقها الغبار .. أي يغشاها وفي الحديث : (إذا صلى أحدكم إلى شيء
فلهرقه) أي فليغشه ولا يبعد عنه تمت مختار الصحاح .
والجمحش ولد العير وفي المختار أنه ولد الحمار والمعنى واحد تمت .

واثني عشر فيلا غيره ، وقيل ثمانية ، وقيل كان معه ألف فيل ، وقيل كان وحده ، فلما بلغ المغمس ^(١) خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ، فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول ، فأرسل الله طيراً سوداً وقيل خضراً وقيل بيضاء مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة .

وعن ابن عباس .. : انه رأى منها عند أم هاني نحو قعبر مخططة بحمرة كالجزع الظفاري - فكان الحجرر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ، ففروا وسلكوا في كل طريق ومنهل وأصيب لإبرهة فتساقطت أنامله وآرابه حتى انصطع صدره من قلبه ، وانقلب وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي ، قيل الذي كان قبل الذي كان في زمن رسول الله ﷺ بأربعين سنة وقيل بثلاثة وعشرين سنة .

وعن عائشة .. رأيت قائد الفيل وسايسه أعميين مقعدين يستطعمان ، وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فجهزه وكان رجلا حشماً وسيماً ، وقيل هذا سيد قریش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، فلما ذكر حاجته قال : سقطت من عيني ، جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتك ، وشرفكم في قديم الدهر فأهلك عنه ذود إبل قليلة ، قال : أنا رب الإبل والبيت

(١) هكذا ضبطها في الأصل وهو اسم موضع قريب بين مكة والطائف على بعد ستة أميال

رب سيمنه .

ثم رجع وأتى باب البيت وأخذ بحلقته وهو يقول :
لا هم إن المرء يمنع رحله فأمنع حلاله
وانصره على آل الصليب وعابذيه اليوم آك
لا يغلبن صليهم ومحالم أبدأ محالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك
ثم قال :

يا رب لا ارجو لهم سواك يا رب فامنع منهموا حماك
فالتفت وهو يدعو فاذا بطير من نحو اليمن فقال : والله إنها
لطير غريبة ، ما هي بنجدية ولا تهامية ، وفيه أن أهل مكة قد
احتوا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم
الكثير وكان سبب غناه .
وعن عكرمة . : من أصابته جدرته وهو أول جذري ظهر
انتهى بلفظه .

وفيه بعض مخالفة لما في سيرة ابن هشام وزيادات ، وفي قوله (١)
إبرهة ابن الصباح الأشرم . نظر ، فإبرهة ابن الصباح من أقبال
حمير وفد على النبي ﷺ ، وهو غير إبرهة الأشرم الحبشي
صاحب الفيل ، وكذا في قوله : وانقلب وزيره أبو يكسوم لأن
المعروف أن إبرهة المذكور هو المكشي أبا يكسوم لا وزيره .

١٠ * (والماء سَالَ عَلَى النَّيِّرَانِ يُطْفِئُهَا

وَالنَّارُ صَالَتْ لِأَجْلِ الْمَاءِ تُغْفِيهِ) *

هذه إشارة إلى ما روي انه ليلة مولده ﷺ خمدت نار

(١) يعني الزمخشري في الكشف .

فارس ولم تكن قد خدمت قبل ذلك منذ خمسمائة عام، وانها غاضت بحيرة (ساوة) وحكى الإمام عليه السلام ، أن بحيرة (ساوة) في ماءها ولم يبق منه شيء حتى أن لهب النار صار يصعد من قعرها وكأنها فتحت أرضها منها خرقة ، وهي بركة على ما قيل كان طولها ستة أميال ، وقيل اثنين وعشرين فرسخاً وعرضها كذلك ، (وساوة) : مدينة بينها وبين (الري) ستة أميال وقال بعضهم : موضع بالشام .

* (وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرِي وَهُوَ مُنْصَدِعٌ

كَمَا هَوَتْ شُرُفَاتُ مِنْ أَعَالِيهِ) * ٣١

روي انه انصدع إيوان كسرى يوم مولد النبي ﷺ وسقطت من شرفاته أربعة عشر شرفة وكان ذلك عدد من تملك منهم بعده . قال الإمام .. عاينه السلام : انقرض ملك الأكاسرة في زمن عثمان رضي الله عنه .. وقصة رؤيا المؤيدات وإرسال كسرى عبد المسيح إلى سطحي (١) ، مشهور . انتهى .

* (كَذَا الْهَوَاتِفُ وَالْكُهَّانُ صَارِخَةٌ

وْغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لَسْتُ أَخْصِيهِ) * ٣٢

هذا باب واسع لا سبيل الى استقصاء ما ورد منه ولكننا نذكر نبذة من ذلك شافية إن شاء الله .

فمن ذلك .. خبر شق وسطيح روي أن ربيعة بن نصر ملك اليمن

(١) سطحي : إسم كاهن مشهور والظاهر ان القصة هي التي سيأتي ذكرها بعد هذا بأسطر فتأمل .

في عصره رأى رؤيا هالته ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا منجماً
 من أهل مملكته إلا جمعه اليه ، فلم يجد عند أحد منهم ما يشفيه :
 فأرسل الى سطيح ربيع بن ربيعة بن مازن فقال: اني قد رأيت رؤيا
 هالتي فأخبرني عنها فانك ان أصبتها أصبت تأويلها، فقال : رأيت
 حممة خرجت من ظلمة ، فوقع بأرض تهمة فأكات منها كل
 ذات جمجمة ، فقال له الملك : ما أخطئت منها شيئاً يا سطيح فما
 عندك في تأويلها ؟ فقال : احلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن
 بأرضكم الحبش فليملكن ما بين ابين الى جرش ، فقال له الملك :
 وأبيك يا سطيح ان ذلك لنا لغايظ موجه فمتى هو كائن في زماني
 هذا ، أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده لحين أكثر من ستين او
 سبعين يمضين من السنين ، قال : أفيدوم ذلك من ماكمهم ام
 ينقطع ؟ قال : لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون
 ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم
 قال : يليه ارم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحداً منهم
 باليمن قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ،
 قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي بيده الوحي من قبل العلي ،
 قال : ومن يكون هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر
 ابن مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال : وهل
 للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون
 يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون ، قال : أحق ما تخبرني به ؟
 قال : نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق .
 ثم قدم عليه شق وإسمه شق ابن صعب من بني أنمار بن نزار
 فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم

يختلفان قال : نعم رأيت حممه خرجت من ظلمة فوقعت بين روضه وأكمه فأكلت منها كل ذات نسمة قال له الملك: فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من لإنسان ليمتزان أرضكم السوداء فليغلبن على كل رخصة البنان وليماكن ما بين أبين الى نجران ، قال له الملك : وابلك يا شق ان هذا لنا لغايط موجه فحقى هو كائن أفي زماني هذا أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان ، قال : ومن هو هذا العظيم الشان ؟ قال: غلام ذو شان يذيقهم أشد الهوان ولا بد أن يخرج من بيت ذي وزن ، قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل ، قال : وما يوم للفصل ؟ قال : يوم يجزى فيه الولاة يدعى فيه من الساء بدعوات يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميعات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال : أحق ما تقول ؟ قال : أي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتك به لحق ما فيه يمض .

غريبة .. قال الأمير في كتاب حياة الحيوان وأما شق وسطيح الكاهنان ، فشق لإنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة؛ وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان إنما كان ينطوي مثل الحصر، ولد شق وسطيح في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر مزيقيا صاحب قصة سد مارب ودعيت سطيح وتفلت في فيه وأخبرت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ودعت بشق . ففعلت به مثل ذلك ثم ماتت ، وقبرها في الجحفة انتهى .

وفي صحيح البخاري .. عن ابن عمر قال: ما سمعت عمر يقول لشيء قط إني أظنه كذا إلا كان كما يظن عمر : بينما عمر جالس اذ مر به رجل جميل فقال : لقد أخطأ ظني وان هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، علي بالرجل فدعي له فقال له ذلك فقال : ما رأيت كاليوم ، استقبل به رجل مسلم قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرني ، قال : كنت كاهنهم في الجاهلية قال : فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ، قال : بينما انا يوماً في السوق جاءني أعرف فيها الفزع ، قالت : ألم ترى الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إيناسها ولحوقها بالقلاص وأخلاصها، قال عمر : صدق بينما أنا نائم عند آهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد منه صوتاً يقول : يا ذريح أمر نحيج رجل فصيح يقول لا إله إلا الله، فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى أيا حليح أمر نحيج رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقممت فما مشينا الى أن قيل هذا نبي، انتبى . وفي سيرة ابن هشام زيادة في هذه القصة منها أن العجني جاءه ليلة ثانية ، فقال شعراً .

عجبت من الجن وأخبارها وشدها العيس بأوكارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة في هاشم بين روايبها وأحجارها

وفيها عن حسان بن ثابت . قال: والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمانين سنين أعقل كلما سمعت إذ سمعت يهودياً يصرخ على أطمه بشرب يا معشر يهود . حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له : وبالك مالك قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

قال ابن اسحق لما وضعت أمه أرسلت الى جده عبد المطلب ، أنه قد ولد لك غلام فانظر اليه فأتاه فنظر اليه وحدثه بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه ، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ويشكر له على ما أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه إليها ، انتهى .

وفي كتاب الإمتاع من كتب السيرة النبوية أنه ﷺ ولد عام الفيل يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على الراجح من الأقوال في السنة الثانية والأربعين من ملك كسرى أنو شروان في شعب بني هاشم بمكة في دار باعها أولاد عقيل من محمد بن يوسف أخي الحجاج فأدخلها في داره ثم أخرجته الخيزران أم هرون من ذلك البيت فجعلته مسجداً تصلي فيه ووافق مولده ﷺ العشرين من نيسان .

وولد بالغفر من المنازل وهو مولد الأنبياء عليهم السلام . ويقال لان طالعه برج الأسد والقمر فيه ، وتركوا عليه ﷺ جفنة كبيرة فانفلقت عنه فلقنت فكان ذلك من مباديء أمارات النبوة في نفسه الكريمة .

ويقال ولد مختوماً مسروراً مقبوضة أصابع يده ، مشيراً بالسبابة كالمسيح بها فاعجب بذلك جده عبد المطلب وقال ليكونن لابني هذا شأن ، وعق عنه بكبش يوم سابعه وسماه محمداً ، وقيل ختنه جده يوم سابعه ، وقيل جبريل عليه السلام .

ومات أبوه وهو في بطن أمه على المشهور والله أعلم وأحكم .

* (وَفِي حَضَانَتِهِ مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ

لَدَى حَلِيمَةٍ إِذْ كَانَتْ تُرَبِّيهِ) * ٣٣

٢٤ * (مِنْ شَقِّ صَدْرِ وَتَطْهِيرِ لَمُهِجَتِهِ

وَمِنْ أَفَانِينَ رِزْقٍ كَانَ يُنْمِيهِ) *

قال في الإمتاع وغيره ، إن أمه عليها السلام أرضعته سبعة أشهر ثم أرضعته ثوبية مولاة أبي هب بلبن ابنها مسروح أياً ما قلائل وكانت قد أرضعت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ثم أرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد ، ثم أرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية من بني سعد بن بكر بن هوازن بلبن زوجها الخنثارث بن عبد العزي السعدي ، انتهى .

وحكى ابن هشام في سيرته عن أبي اسحق باسناده قال كانت حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء ، قالت : وهي في سنة شهباء لم يبق لنا شيئاً قالت : فخرجت على أتان لي قمرأ معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلتنا أجمع مع صبينا الذي معي من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه ولكننا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على اتاني تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق عليهم ذلك ضعفًا وعجفًا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها انه يتيم ، وذلك إنا إنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبي . وكنا نقول يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه ، لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري فلما أجمعنا الإنطلاق قلت لصاحبي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ولم آخذ رضيعاً معي

والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلاخذه . فقال لا عليك أن تفعلي
عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت اليه فأخذته ، وما
حملني على أخذه الا أني لم أجد غيره ، قالت فلما أخذته رجعت به
الى رحله فلما وضعته في حجرى أقبل عليه ثدياي بما شاء الله من
اللبن فشرب حتى روي وشرب معه أخواه - وذكر بن اسحق أن
رسول الله ﷺ لا يقبل الا على ثديها الواحد ، وكانت تعرض
عليه الآخر فكأنه مجبول على العدل مفطور على جميل المشاركة
والفضل ﷺ - حتى رويأ ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك
وقام زوجي الى شارفنا تلك ، فاذا بها حافل فحلب منها ما شرب
وشربت حتى انتهينا شعباً ورياً ، فبتنا بخير ليلة قالت : يقول
صاحبي حين أصبحنا ، تعلمي والله يا حليلة لقد أخذت نسمة
مباركة قالت والله إني لأرجو ذلك ، قالت ثم خرجنا وركبت أتانى
وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت الركب ما يقدر علي شيء من
حميرهم حتى أن صواحبى ليقلن يا بنت ابي ذؤيب ويحك أربعي
عليها أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فأقول لهن بلى
والله إنها لهي فيقلن والله ان لها لشأناً ، قالت : ثم قدمنا منازلنا من
بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها وكانت
غنمي على تروح على خير قدمنا به معنا شعباً لبناً فنحلب ونشرب ،
وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرين
من قومنا يقولون لرعاتهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي
بنت ابي ذؤيب ، فروح أغنامهم جياً ما تبض بقطرة وتروح
غنمي شعباً لبناً فلم نزل نتقرب من الله الزيادة والخير حتى
حضت ، وفصلته وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتين

حتى كان غلاماً جفراً^(١) قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بر كته ، كلمنا أمه وقالت لها يبقى عندي حتى يغلظ فاني أخشى عليه وباء مكة قالت : فلم نزل بها حتى رده معنا ، قالت : فرجعنا به ، فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لي وأبيه : ذلك أخي القرشي قد أخذ رجلاً من عليهما ثياب بيض فاضجعه فشقاً بطنه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً ممتعاً لونه ، قالت : فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا ما لك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقاً بطني فالتمساه في شيئاً لا أدري ما هو . قالت : فرجعنا به الى خباتنا وقال لي أبوه يا حليلة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت : ما أقدمك به يا ضرر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ، فقلت قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي وتخوفت الأحداث عليه فاديته عليك كما تحبين ، قالت : ما هذا شأنك فأصدقيني خبرك ، قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها ، قالت افتخوفت عليه الشيطان . فقلت : نعم ، قالت : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وان لابني شأناً وأخبرتها مما تقدم ذكره في وضعه .

٣٥ * (ثم استمرت بشاراتُ الإلهِ بِهِ

قولاً وفِعلاً وألطافاً يُزَكِّيهِ) *

(١) أي واسع الجنين ، والأصل فيه ان ولد المعز اذا فصل عن امه واتسع جنبه سمي جفراً تمت .

* (مِنْ مِثْلِ سِتْرِ وَتَضْلِيلِ الْغَمَامِ لَهُ

وَقَوْلِ رَاهِبٍ بَصْرِي إِذْ يُحَاذِيهِ) * ٧٦

قال ابن هشام : قال بن اسحق وحدثني بعض أهل العلم ان ماما
هاج أمه السعدية على رده الى أمه مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها
عنه أن نفرأ من الحبشة رأوه معها حين ما رجعت به بعد فطامه ،
فنظروا اليه وسألوها وقلبوه ثم قالوا لما لناخذن هذا الزلام فلتذهبن
به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره
فزعم للذي حدثني أنها لم تكذب تنفلت به منهم .

قال ابن اسحق فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب
وجده عبد المطلب بن هاشم في كالأة الله وحفظه بنبته الله نباتاً حسناً
لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين ،
توفيت أمه آمنة بنت وهب بالأبواء ، موضع بين مكة والمدينة ،
كانت قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره لإياهم
فماتت وهي راجعة به الى مكة .

قال ابن هشام : ام عبد المطلب بن هاشم ، سلمى بنت عمرو
النجارية فهذه هي الخثولة التي ذكر بن اسحق لرسول الله
ﷺ فيهم .

قال بن اسحق فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن
هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه
يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج لا يجاس عليه أحد من
بنيه لإجلاله له قال فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر
أي شديد ممتلئ حتى يجلس عليه فنأخذه أعماه ليؤخروه عنه ،

فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منه دعوا ابني فوالله إن له لشأناً ثم يجلسه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانين سنين هلك عبد المطلب بن هاشم وذلك بعد القيل بثمانين سنين قال : وكان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب ، مع عمه أبي طالب ، وكان عبد المطلب فيما يزعمون يوصي به أبا طالب وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب لأب وأم أمهما فاطمة بنت عمر بن عابد بن عبد بن عمران بن مخزوم . قال ابن اسحق : فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده ، فكان إليه ومعه ، قال ابن اسحق : وحدثني يحيى بن عباد : بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه : أن رجلاً من هلب كان عايفاً ، فكان اذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم ، قال : فأتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه قال : فنظر الى رسول الله ﷺ ثم شغله إليه شيء فلما فرغ قال أين الغلام علي به فلما رأى أبو طالب حرصه عليه ، غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً فوالله ليكون له شأن قال وانطلق به أبو طالب .

قال ابن اسحق : ثم ان أبا طالب خرج في ركب تاجراً الى الشام فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع للمسير ضبث به رسول الله ﷺ فيما يزعمون فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معي ولا يفارقي ولا أفارقه أبداً ، وكما قال فخرج به معه فلما نزل الركب (بصرى) من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له وكان أعلم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ بنيت قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك

العام بحيرى وكان كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام فلما نزلوا قريباً من صومعته ، صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيها يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته يزعمون ان رسول الله ﷺ في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حين استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل اليهم فقال : اني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وانا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرکم ، قال له رجل منهم : والله يا بحيرى ان لك شأنًا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف . وقد أحببت أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا كلكم ، فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى في القوم لم يرى الصفة التي يعرف ويجده عنده قال : يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم على طعامي قالوا له يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا فتخلف في رحالنا قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، قال : فقال رجل من قريش : واللوات والعزى ان كان للؤمأ بنا أن يتخلف ابن عبد الله ابن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام إليه واحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ينظر الى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده

من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرى فقال له : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه - وإنما قال له بحيرى ذلك لانه سمع بحيرى قومه يحلفون بها - فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً قط مثل بغضهما ، فقال له بحيرى فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال له : ساني عما بدا لك ففعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيبته وأموره ففعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة ، قال بن اسحق : فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك فقال : ابني فقال له بحيرى : ما هو بابنك ولا ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً قال : فانه ابن أخي قال : فما فعل أبوه ، قال : مات وامه حبلى به قال : صدقت فارجع بابن أخيك واحذر عليه اليهود فوالله لأن رأوه وعرفوا ما عرفت لتبغينه اليهود شراً ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده ، فخرج به عمه ابو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما يروي الناس ان زريزاً، وتاماً، ودريساً ، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ بمثل ما رأى بحيرى فردهم عنه بحيرى وذكرهم السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب بحيرى وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وانهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه ولم يزل به حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه فتركوه وانصرفوا عنه .

فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله تعالى ويحفظه ويحوطه من

أفذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالاته ، حتى باغ ان كان رجلاً أفضل قومه وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، تنزهاً وتكرماً حتى ما يقع اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يحدث فيما كان الله يحفظه في صغره من أمر الجاهلية ، منها أنه قال : لقد كنت رأيتني في غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كانا قد نعزى وأخذ إزاره فجعله على رقبتة يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكماني لاكم لا أراه الكمة وجيعة ثم قال شد عليك إزارك فأخذته فشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتني ، وإزاري علي من بين أصحابي اه .

* (كذا أَحَادِيثُ سَيْفٌ بَعْدَ تَبْعِهِمْ)

وغيرهم من ذرى ما كُنتَ تُنبِئُهُ) * ٣٧

المراد بتبع المذكور : أسعد ابو كرب المعروف بأسعد الكامل . قال ابن اسحق : كان قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مر بها في البداية فلم يحتج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها إلى أن قال فجاءه حبران من أحبار اليهود وهما عالمان راسخان حين سمعا بها يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له : أيها الملك لا تفعل فانك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم تؤمن عليك عاجل العقوبة قال لها : ولم ذلك ؟ قالوا : هي مهاجر

بني في هذا الحرم من قریش في آخر الزمان ، تكون مهاجرة
وقراره ، فتناها عن ذلك ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع منها
فانصرف عن المدينة ، واتبعها على دينها .

قال بن اسحق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ،
فوجه الى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان
وأمع موضعان آتاه نفر من هذيل فقالوا له : ايها الملك ألا نراك
على بيت مال يرى كثيراً أغفلت الملوك قبلك فيه الثؤاؤ والزبرجد
والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبد
أهله ويصلون عنده ، وانما أراد الهذليون هلاكه وهلاك قومه
بذلك ، لما عرفوا من هلاك من أراد من الملوك وسعى عنده ، فلما
اجمع لما قالوا أرسل الى الخبرين فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما
أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله تعالى اتخذه
في الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك اليه لنتهاكن ولنتهاكن
من معك جميعاً ، قال : فماذا تأمراني أن أصنع إن أنا قدمت عليه ،
قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحاق
ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله ، وبالدماء
التي يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شرك أو كما قالوا له ، فعرف
نصيحتهم وصدق حديثها فقرب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم
وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة وطاف بالبيت ونحر عنده
وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام يذكرون ينحرون للناس ويطعم
أهله ، ويسقيهم العسل ، ورأى في المنام أنه يكسو البيت فكساه
الخصف ^(١) ، ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه

(١) قال في القاموس الخصف محرقة حلقة تعمل من خرص التمر ، والثوب الغليظ
جداً وجمعه خُصْف ، ولعله ما يعرف اليوم بالخصير .

المعافر^(١)، ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملا والوصائل^(٢)، وكان تبع ، فيما يزعمون أول من كسى البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوا دماءً ولا ميتة ولا مثلاً وهي الحائض .

وجعل له باباً ومفتاحاً هـ .

وذكر - ر ل ه .. في بعض كتب التاريخ أشعار منها :

وكسوت البيت الذي حرم الا	هـ ملاء معضداً وبـرودا
وأمرنا بأهله الجرهميين	وكانوا بحافتيه شهـودا
واطفنا به من الشهر خمسا	ووضعنا لبابه اقليدا
ونحزنا بالشعب ستة الا	ف ترى الناس حولن ركودا
ثم عدنا نؤم أرض سهيل	ورفعنا لواءنا المعقودا

ومنها له :

وحلفت بعد يمين صبر موليا	قسماً لعمر ك ليس بالمتردد
ألا يكون يثرب إن جئتها	أحد وافنيهم بكل مهند
حتى اتاني من قريضة عالم	حبر لعمر ك في لليهود مسود
قال ازدجر عن قرية محجوبة	لنبي مكة من قريش مهتد
فعفوت عن مارمت غير مثرب	وتركتهم لعقاب يوم سرمد

قال الإمام عليه السلام : قال البيهقي ولم يزل هذا الشعر يتوارثه الأنصار ، وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ؛ وأخرج احمد بن حنبل ، عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : لا تسبوا تبعاً فانه كان قد أسلم ، وروي له أيضاً :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم

(١) المعافر بفتح الميم : يلد في اليمن واليهما تنسب الثياب المعافرية .

(٢) الملا : الملاحف ، والوصائل : ثياب مخططة يمنية .

له أمة سميت في الزبو رأته هي خير الأسم
فلو مد دهري الى دهره لكنت وزيراً له وابن عم
وأما سيف المذكور، فهو سيف بن ذي يزن الحميري المشهور ،
روي أنه لما أمده كسرى بالفرس فقتل الحبشة واستولى على اليمن
واستقرت قواعد ملكه في صنعاء بعد مولد النبي ﷺ ، وفد
اليه الوفود ، فقدم اليه عبدالمطلب بن هاشم ومعه أخوه عبد شمس
وعبدالله بن جدعان ووهب بن رباح، الى صنعاء وذلك بعد مولد
النبي ﷺ لسنتين فخلا بعبد المطلب سرّاً وسأله عن امارات في
النبي ﷺ وهو طفل فذكرها له فبشره بنبؤته واستوصاه به من
اليهود ، وحذره منهم ، وقال له : إنا نجده في كتبنا ، وهذا
وقت وجوده وسيبعثه الله نبياً لا تأمن عليه من اليهود، مع قصة طويلة
ا ه كما وجد .

وحكى ابن اسحق عن عاصم ابن عمرو الأنصاري عن
رجال من قومه ، قالوا : ان مما دعانا الى الاسلام ، ما كنا نسمع
من رجال يهود كنا إذا قاتلناهم ونلنا منهم ، قالوا لنا : انه قد تقارب
زمان نبي مبعوث نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله
محمد ﷺ أجبناه وآمنا به ، وكفروا به ففي ذلك أنزل الله تعالى
(فلما جاءهم كتاب من عند الله) الآية؛ وحكى في ذلك عما كانوا
يسمعون من اليهود أحاديث اخر . وذكر ذلك أيضاً ما حكاه
سليمان الفارسي عن الراهب الذي قال له : قد أضل زمان نبي
مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب فهاجره الى أرض بين
حرتين بينهما نخل ، الى آخر ما كرهناه وذكر أيضاً قصة زيد بن
عمرو بن نفيل ، لما خرج يطلب دين ابراهيم عليه السلام ، وقول

الراهب له إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أضلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الخنيفية ، فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه . وذكر أيضاً ما حكى عن الإنجيل وفيه: فلو قد جاء المنجما هذا الذي يرسله اليكم من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أبضاً لأنكم قديماً كنتم معي هذا قلت لكم كيما لا تشكوا في المنجما . والمنجما بالسريانية معناها محمد ﷺ وهو بالرومية الترقليطس انتهى بلفظه .

وفي حديث أخرجه الترمذي حين ذكر سفر أبي طالب الى الشام ومعه النبي ﷺ صبيّاً ، قال فخرج الينا الراهب ، فجعل يتخللنا حتى جاء فأخذ بيد محمد وقال: هذا سيد العالمين ، فقال له أشياخ قريش : وما علمك بها تقول ؟ قال : أجد صفته ونعته في الكتاب المنزل ، إلى آخر الحديث .

وفي حديث أخرجه البخاري عن ابن عمرو بن العاص ان في صفة النبي في التوراة (يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للامنين ، انت عبي ورسولي ، سميتك المتوكل ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سنجاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به أعيناً عمياء ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

وفي حديث أخرجه أبو داود عن أبي موسى أنه سمع النجاشي يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك ، وما تحملت من الناس لأتيته حتى أحمل عليه ؛ وروي عن هرقل ملك الروم نحو ذلك .

وكحديث نسطور الراهب حين خرج النبي ﷺ مع ميسره غلام خديجة في تجارة لها قبل أن يتزوجها بشهرين وأربعة وعشرين يوماً وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فقال : هذا نبي ، وهو آخر الأنبياء ، وكما جاء في حديث قيس بن ساعدة الإيادي المشهور . واستقصى ما ورد في هذا المعنى مما لا سبيل اليه .

٣٨ * (وفي البداية إسرائيلُ لآزَمَهُ

وفي الرَّعَايةِ جِبْرِيلُ يُرَاعِيهِ) *

٣٩ * (كما سَيَأْتِي لَهُ عِنْدَ النَّهَايَةِ مِنْ

خُصُوصِهِ بِمَزِيدٍ مِنْ تَوَلِّيهِ) *

قال الإمام عليه السلام: الإشارة بالبيت الأول الى ما في مسند الامام أحمد بن حنبل ، بسند صحيح الى الشعبي ان رسول الله ﷺ وردت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، وقرن بنوئته اسرافيل عليه السلام ، وكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه جبريل عليه السلام ، بالقرآن فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنوئته جبريل عليه السلام ، ينزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشرأ ، بمكة وعشرأ بالمدينة ﷺ ومات ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وفي رواية ذكرها مجد الدين الشيرازي انه ﷺ لما بلغ سبع سنين من عمره أمر الله سبحانه اسرافيل أن يقوم بملازمته فكان قريباً منه دائماً الى أن تم له احدى عشرة سنة ، فأمر جبريل عليه السلام بملازمته فلأزمه تسعاً وعشرين سنة ، بطريق المقارنة والملازمة لكن لم يظهر (١) له ﷺ .

(١) أي لم ينظر إليه لأنه لم يظهر له ظهوراً يمكن النظر اليه بالعين المجردة .

* (وَكَانَ يُدْعَى صَدِيقاً آمناً ثَقَّةً

مِنْ كُلِّهِمْ فَهُوَ عَدْلُ الرُّكْنِ بَانِيهِ) * ٢٠

قال في الإمتاع : وكان الله قد صانه يعني النبي ﷺ وحماه من صغره ، وطهره وبرأه من دنس الجاهلية ومن كل عيب ، ومنحه كل خلق جميل حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته بحيث أنه لما بنيت الكعبة بعد هدم قريش لها في سنة خمس وثلاثين من عمره ﷺ ، وقيل خمس وعشرين ، ووصلوا موضع الحجر الأسود اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه ، فأرادت كل قبيلة رفعه الى موضعه واتعدوا للقتال ^(١) وتحالفوا على الموت ، فأشار عليهم أبو أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهو يومئذ أسن قريش أن يجعلوا بينهم حكماً أول من يدخل من باب المسجد فكان أول من دخل رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا هذا الأمين قد رضينا به وأخبروه بالخبر فقال: هلموا الي ثوباً فأتي بثوب يقال إنه كساء أبيض من متاع الشام كان له ﷺ فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال ليأخذن كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا حتى بلغوا به موضعه ، فوضعه ﷺ بيده ثم بنى عليه اه . وحديث بنيان الكعبة ، في سيرة ابن هشام أبسط مما ذكر لكن هذا القدر منه هو الذي أشار إليه الإمام عليه السلام ، فلذلك عدلت إليه والله الموفق .

* (وَفِي حَرَى هَاجَرَ الْأَقْوَامَ مُجْتَنِباً

لِنُجْشِهِمْ وَأَمَارِي الْخَيْرِ تَأْتِيهِ ^(٢)) * ٢١

(١) أي بعد أن اختلفوا .

(٢) أماري جمع أمارة ويجمع أيضاً على أمارات .

- ٤٢ * (وَعِنْدَ رَبِّهِ قَصْرٌ الدَّرُّ سَيِّدَةُ الِ
نِّسَاءٍ كَانَ يُفَاجِي مَا يُفَاجِيهِ) *
٤٣ * (وَلَا بَنٍ نَّوْفَلِهِمْ فِي شَأْنِهِ نَبَوُ
قَدْ نَالَ فِيهِ مَفَازاً عِنْدَ بَارِيهِ) *

قال الامام عليه السلام : حراء اسم جبل مشهور بمكة يمد ويقصر ،
ويمنع ويصرف في جامع الأصول عن عائشة رضي الله عنها أنها
قالت : أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في
النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وحسب إليه
للخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي
ذوات العدد قبل ان ينزع الى أهله ويتردد لذلك ثم يرجع الى خديجة
فيتزود لمثلها حتى جاء الحق .

وفي رواية حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فعجاءه الملك فقال
اقرأ قال «فما أنا بقارىء» قال «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم
أرسلني فقال اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء فغطني الثانية حتى بلغ مني
الجهد ، ثم أرسلني وقال لي اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني
الثالثة حتى بلغني الجهد ، ثم أرسلني فقال لي (اقرأ باسم ربك الذي
خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم) حتى بلغ (ما
لم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده .

وفي رواية فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني .
زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة حين أخبرها
الخبر : لقد خشيت على نفسي فقالت له كلا أبشر فوالله ما يخزيك

الله أبدأ ، وفي رواية : لا يحزنك - بالحاء المهملة ونون بعد الزاي ،
إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى
أتت ورقة ابن نوفل بن أسد عبد العزى بن قصي وهو ابن عم
خديجة أخو أبيها . وكان امرءاً يتنصر في الجاهلية ، وكان يكتب
الكتاب العبراني بالعبرانية ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له
خديجة : يا ابن عمي إسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن
أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له
ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذع
أكون إذ يخرجك قومك ، فقال رسوع الله ﷺ أو مخرجي
هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن
يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر
الوحي ؛ الحديث أخرجه البخاري ومسلم ؛ وأخرجنا حديثاً آخر في
هذا المعنى يتضمن زيادات وفيه قال : ثم حمي الوحي وتتابع ، وفي
سيرة ابن هشام ، وغيرها ما يشتمل على ذلك وفيها قال بن اسحق :
فابتدأ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان ، وفيها قال بن
اسحق : تمام الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله مصدق
لما جاءه به وقد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمل على رضى الناس
وسخطهم قال : فأمنت به خديجة بنت خويلد صدقت بما جاءه
من الله وآزرتة على أمر الله فكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدق
بما جاءه فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ لا يسمع شيئاً
يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها
إذا رجع إليها فتثبته وتخفف عليه وتصدقته وتهون عليه أمر الناس

رحمها الله تعالى ورضي عنها اه .

وقول الإمام عليه السلام : ربة قصر الدرسيده النساء ، إشارة إلى ما ورد في فضل خديجة رضي الله عنها . عن رسول الله ﷺ ، فعن ابي هريرة قال : أتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام ، أو طعام ، أو شراب ، فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام وبشرها ببيت ^(١) من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، أخرجه البخاري ومسلم ، قال ابن هشام وغيره : القصب ها هنا اللؤلؤ المجوف ، وعن علي كرم الله وجهه في الجنة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خير نساها مريم ابنت عمران ، وخير نساها خديجة بنت خويلد ، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي . وعن انس قال : قال رسول الله ﷺ : «حسبك ^(٢) من نساء العالمين مريم ابنت عمران ، وخديجة

(١) وقد قيل في هذ السؤال كيف يبشرها ببيت وأدنى أهل الجنة منزلة من يعطي مسيرة الف عام في الجنة كما هو في حديث ابن عمر أخرجه النسائي وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم سوى نفى الصخب وهو رفع الصوت ؟ وقد وقع في هذا عدة جوابات من جماعة من العلماء .

قلت : والأظهر أن البشارة بالبيت من لؤلؤ مجوف وهو بيت من قصب يعد بشارة بنعيم زايد لها على أمثالها وكل ما تشتهي النفس فيه قد دخلت ضمناً والله أعلم .

(٢) «تحفة» يذكر عن أبي بكر بن داوود انه سئل : عائشة افضل أم خديجة ؟ فقال : عائشة أقرأها رسول الله السلام من جبريل عليه السلام ، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد ﷺ فهي أفضل . فقيل له من أفضل خديجة أم فاطمة ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ قال فاطمة بضعة مني فلا اعدل ببضعة من رسول الله احداً . وهذا استقرار حسن ويشهد بهذا أن أبا لبانة حين ربط نفسه وحلف أن لا يحله إلا رسول الله ﷺ فجاءت فاطمة لتحله فأبى من أجل قسمه فقال رسول الله ﷺ : فاطمة بضعة مني ، ثم حلته تمت والله اعلم .

بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون » أخرجه الترمذي ، وقوله : ولا بن نوفلهم البيت ، قال عليه السلام : المفاز الفوز وهو النجاة والظفر بالخير ، قال عليه السلام : وعن عائشة ، بإسناد جيد ، أن ورقة كان اذا لقي النبي ﷺ قبل وجهه ، وقال أشهد أنك نبي هذه الأمة ، ولما مات ترحم عليه النبي ﷺ وقال : « رأيت لورقة جنة أو جنتين » وفي الترمذي من حديث عائشة ، قالت : سئل رسول الله ﷺ عن ورقة . فقالت له خديجة : إنه كان صديقك وإنه مات قبل أن تظهر ، فقال النبي ﷺ « رأيت في المنام ، وعليه ثياب بيض ولو كان من أهل النار لكان لباسه غير ذلك » . اهـ

* (وَبَعْدَ ذَا بَيْنَ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ لِذِي

عَيْنَيْنِ وَانْفَلَقَ الرُّشْدَ الْمُلَاقِيهِ) * ٤٤

* (وَاسْتَوْضَحَ الْمَلِكُ الرُّوحَ الْأَمِينُ لِبُدِّ

ءِ الْوَحْيِ بِالْمُعْجَزِ الْبَهَّارِ يُمْلِيهِ) * ٤٥

قال في الإمتاع : قيل ان فترة الوحي كانت قريباً من سنتين وتبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسي وثبته وبشره أنه رسول الله حقاً فلما رآه فرق منه وذهب إلى خديجة رضي الله عنها : زملوني دثروني فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وتياك فطهر) فكانت الحالة الأولى بغار حراء حالة نبوة وإيحاء ، ثم أمره الله تعالى في هذه الآية أن ينذر قومه ، ويدعوهم إلى الله تعالى فشمروا ﷺ عن ساق الاجتهاد ، وقام في طاعة الله تعالى أتم

قيام يدعو الى الله تعالى الصغير والكبير ، الحر والعبد ، الرجال والنساء ، الأسود والأحمر ، اهـ .

والمراد بالروح الأمين جبريل عليه السلام .
وقال الإمام عليه السلام : قال العامري : رأيت في بعض التاريخ أن جبريل عليه السلام ، نزل على النبي ﷺ ستاً وعشرين ألف مرة (١) .

- ٤٦ * (كَلَامُ رَبِّي الَّذِي أَضَحَّتْ بِلَاغَتُهُ
تَجَلَّى عَنِ كُلِّ تَمَثِيلٍ وَتَشْبِيهِ) *
٤٧ * (بِهِ عَجَائِبُ لَا تَفْنَى وَفِيهِ مِنْ أَلْ
آيِ الْخَوَارِقِ مَا لِأَحَدٍ يَحْوِيهِ) *
٤٨ * (كَعِلْمِ مَاضٍ وَآتٍ لَا يَزَالُ يُحِيرُ
الْعَقْلَ أَعْلَامُ مَاضِيهِ وَآتِيهِ) *
٤٩ * (وَفِيهِ نُورٌ كَلَّا الْكَوْنَيْنِ فَهُوَ لَأَهْـ
لِ الرُّشْدِ جَامِعٌ كُلِّ الْخَيْرِ مُؤَلِّهِ) *
٥٠ * (وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحِيطُ بِهِ
إِلَّا الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ الْفَرْدُ مُنْشِئُهُ) *

إعلم أن القرائح وإن زخرت ، والمدائح وإن بهرت . لا تنفي

(١) وقد نظم بعض السلف رحمه الله في ذلك فقال :
قد نزل الروح الامين جبريل ————— من أودع الله فيه سره
على النبي المصطفى محمد ————— ستاً وعشرين ألف مرة

بالبسير من حق القرآن الكريم ، ولا تبلغ أدنى درجات ما ينبغي للذكر الحكيم ، فالعظيم من المدح في حقه حقير ، والإطنا ب في وصفه تقصير ، وكفى بقول منشئه العليم القدير ، (قل لأن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) وعن الحارث الأعور قال : مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الأحاديث ، فدخلت على علي عليه السلام فأخبرته فقال : أوقد فعلوها قلت نعم قال أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا إنها ستكون فتنة » قلت : ما هو المخرج منها يا رسول الله ﷺ فقال : « كتاب الله فيه نبؤ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله هو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس الألسن ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنسه الجن إذ سمعته حتى قالوا (إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدي إلى الرشد فآمنّا به) من قال به صدق ، ومن عمل به أجز ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى طريق مستقيم ، خذها إليك يا أعور » أخرجه الترمذي .

وعن ابن عباس قال : جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين والآخرين وعلم ما كان ، وعلم ما يكون ، والعلم بالخالق جل جلاله ، وأمره وخلقه ، ذكره رزين .

قال علماء الإسلام رحمة الله عليهم ورضوانه ، والدليل على ان القرآن معجز أن النبي ﷺ تحدى به العرب الذين هم النهاية في الفصاحة فعجزوا عن معارضته وكل ما كان كذلك كان معجزاً .

وإنا قلنا انه ﷺ تحداهم بالقرآن لتواتر الآيات الدالة على ذلك
 كقوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل
 هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهرا) . وقال
 تعالى (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) .
 وقال تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من
 مثله) ، ثم قال تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فنفى عنهم القدرة
 على ذلك بقضية قاطعة ، فدللت هذه الآيات على التحدي مرة
 بالقرآن ومرة بعشر سور ، ومرة بسورة واحدة ، وذلك هو النهاية
 في التحدي وإنا قلنا أنهم عجزوا عن معارضته لأن دواعيهم كانت
 متوفرة على الإتيان بالمعارضة وما كان ثمة ما نعيمنعهم من الإتيان بها
 وذلك يدل على عجزهم وإنا قلنا أن دواعيهم كانت متوفرة على
 الإتيان بها لأنه عليه السلام كلف العرب ترك أديانهم ورياستهم ، وأوجب
 عليهم ما يتعب أبدانهم . وينقص أموالهم وطالبهم بعبادة أصدقائهم
 وصداقة أعدائهم لسبب الدين ، ولا شك في أن كل واحد من
 هذه الأمور مما يشق على النفس لا سيما على العرب الذين هم أكثر
 الأمم حمية وأنفة ولا شك أن الإنسان إذا استنزل غيره عن رياسته
 ودعاه إلى طاعته فإن ذلك الغير يحاول إبطال أمره بكل ما يقدر
 عليه ، فلما كانت معارضة القرآن بتقدير وقوعها مبطللة لأمر النبي
 ﷺ علمنا توفر دواعيهم عليها ، وإنا قلنا أنه لم يكن لهم مانع
 يمنعهم من الإتيان بها ، لأن النبي ﷺ ما كان بحيث يخاف كل
 العرب من قهره بل هو الذي كان خائفاً منهم في مبدأ الأمر . وإنا
 قلنا أنهم لم يعارضوا لأنهم لو أتوا بالمعارضة لكان اشتهاها أولى
 من اشتها القرآن ، لأن القرآن حينئذ يصير كالشبهة وتلك المعارضة
 كالحجة ومتى كان كذلك وكانت الدواعي متوفرة على إسقاط أبهة

المدعي وإبطال أمره ورونقه ، كان اشتهاار المعارضة أولى من اشتهاار الأصل ، فلما لم تشتهر علمنا عدمها وإنما قلنا أن من توفرت دواعيه الى الشيء ولم يكن له مانع ثم لم يفعله ، فهو عاجز لأنه لامعنى للعجز إلا ذلك وبهذه الطريقة نعرف عجزنا عن كل ما نعجز عنه ولأنهم عدلوا عن المعارضة الى تعريض النفوس للقتل مع أن المعارضة أسهل ، والعدول عن الأسهل الى الأصعب لا يكون إلا لتعذر الأسهل .

فثبت بها ذكرنا أن القرآن معجز .

ووجوه إعجازه كثيرة ، أعظمها وأنجزها ما تضمنه من البلاغة الخارقة للعادة التي حيرت الألباب ، الباب البلغاء ، وأخرست ألسنة الفصحاء . وما يعقلها الا العالمون ، وفيها النظم البديع المخالف لكل نظم ونثر في أسلوبه ، وتأليفه ، وترتيبه ، وتصريفه .

ومنها .. سلامته من الاختلاف والتناقض الذين لا يسلم منها غيره ، لا سيما مع تنوعه وطوله ، وقد أشار تبارك وتعالى الى ذلك بقوله : (ولو كان من عندغير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وأما الصرفة عن معارضته فداخلة فيما ذكر إذ الإتيان بمثله غير مقدور للمخلوقين على الأصح .

ومنها .. اشتماله على الأخبار عن الغيوب الماضية والمستقبله كما أشار اليه الإمام عليه السلام اما الماضية فنحو قصص الأنبياء عليهم السلام مع أمهم كقصه موسى مع فرعون وما جرى عليه معه من الولادة الى أن بلغ مبلغ النبوة ، وكيفية بعثه ودعوته لفرعون الى أن أغرقه الله وقومه ، وكقصه يوسف وإخوته ، وقصة آدم ونوح وإبراهيم ، ولوط وزكريا ، وعيسى ويحيى ، وسليمان وداود ، وكقصه أصحاب الكهف . وذي القرنين ، وعاد وثمود وأصحاب

الأبيكة ، وغير ذلك من القصص الطويلة المفصلة مع ان المعلوم من حال النبي ﷺ أنه ما كان يعرف الكتابة ولا القراءة ، ولا تتلمذ لأحد من أهل الكتاب ، ثم إنه ذكر تلك التفاصيل الطويلة ، وكان أعداؤه ومخالفوه من أهل الكتاب يسمعونها ويعونها ، فلم ينقل عنهم أنهم خطؤوه في شيء منها ، ومعلوم أن مثل هذه التفاصيل الطويلة لا يمكن الإصابة في نقلها بالتحث والحفظ وقد نبه تعالى على ذلك حيث قال بعد تمام قصة يوسف (تلك من أبناء الغيب نوحيه اليك) وقال تعالى بعد تمام قصة نوح (ذلك من أبناء الغيب نوحيه اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ونحوه .

وأما الإخبار عن الغيوب المستقبلية ، فنحو قوله (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) فانه إخبار عن غيب بأنهم لم يأتوا بمثل القرآن وكان كما قال ، وكقوله (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين) الى أن قال : (وعد الله لا يخلف الله وعده) وكان الأمر كما قال الله تعالى ، وكقوله في يوم بدر (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) ففعل تعالى ؛ وكقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام لإنشاء الله آمنين محلفين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) فكان ذلك . وكقوله تعالى في يوم بدر (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان ذلك ، وكقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) الآية . وكان كما قال تعالى ، وكقوله تعالى (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم) الآية وكان ذلك ، وقوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الى غير ذلك وإذا ثبت كون القرآن العظيم معجزاً فلا شك ولا شبهة

في أنه أبلغ وأظهر وأقطع وأبهر من معجزات سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . لبقائه على مر الأدوار وتغاقب الأعصار ، وتمكن كل مكلف من مشاهدته ومعرفة إعجازه بخلاف سائر معجزات الأنبياء عليهم السلام ، والى هذا أشار البوصيري رحمه الله حيث قال :

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبين إذ جاءت ولم تدم

قال الإمام عليه السلام : وقوله كلام ربي البيت ، إشارة الى ما روي عن عكرمة بن ابي جهل وغيره من السلف ، انهم كانوا لعظمة موقع القرآن الكريم من قلوبهم ، اذا سمع أحدهم شيئاً منه أو عرض ذكره ، قال: كلام ربي كلام ربي .

قال عليه السلام : وفيه نور كلا الكونين ، البيت ، وصفه الله في أحاديث ، عن عكرمة « عليكم بالقرآن فانه فهم القلوب . ونور الحكمة » وقال تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمتقين)

وقال عليه السلام : في قوله وغير ذلك ، البيت .
منها أن كل ثلاث آيات معجزة ، وفي أوائل وأثناء السور معجزات ، وأسرار خارقات ، وكذلك فواتحها وخواتمها ، وفصولها ، ومواضع وقوفها ، ووصولها ، وفي الحروف وأنواعها ، ومواقع أنواعها ، وحذف ما يحذف منها جوازاً أو وجوباً ، وندباً وكراهة ، وأسرار الخط والتوقيف فيه ، وهذا نوع واحد ،

وكل نوع فيه أنواع لا تنحصر مما يرجع الى اللفظ والمعنى ، والبسط والقبض ، والأحكام والأقاصيص ، والأمثال ، وعلوم الدنيا والآخرة وما لا يحيط به ويحصيه ، إلا عالمه ، محدثه ومنشئه سبحانه وتعالى (١) .

٥١ * (كَذَلِكَ السَّنَةُ الْغَرَاءُ تُشَبِّهُهُ

فِي الْبَعْضِ إِذْ هِيَ مِنْ إِيحَاءٍ مُوَحِّهِ) *

٥٢ * (فَقَرَّ قَلْبُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْتَهَجَتْ

بِهِ الْمَنَاهِجُ وَاسْتَعَلَّتْ مَسَاعِيهِ) *

أما البيت الأول ففيه إشارة الى معنى قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) والى نحو ما رواه المقدم بن معدي كرب قال : قال رسول الله ﷺ « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته ؛ فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى ، فما وجدناه فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله » هذه رواية الترمذي ؛ وفي رواية أبي داود قال : قال رسول الله ﷺ « ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته

(١) قلت : وقد كشف علماء العصر الحديث ما قد ظهر بوضوح في تفسير آيات كثيرة أن القرآن الكريم عني بها هذه الإكتشافات الحديثة وهي واضحة جداً مصداق قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) طالع كتاب « تنبيه العقول الانسانية » للاستاذ محمد بنجيت . وغيره من المؤلفات والتفاير الحديثة .

يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » الحديث .

وعن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال : « لأعرفن الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري أنا أمرت به أو نهيت عنه وهو متكئ على أريكته ، فيقول ما ندري ما هذا ، عندنا كتاب الله وليس هذا فيه ، وما لرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن وبالقرآن هداة الله » أخرجه أبو داود والترمذي . ولفظها أخصر من هذا وهو أن الرسول ﷺ قال : « لألفين أحدهم متكأ على أريكته يأتيه أمري مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري . ما وجدناه في كتاب الله تعالى اتبعناه » واللفظ الأول ذكره رزين .

وأما البيت الثاني فهو إشارة الى ما أنجزه الله عز وجل لرسول الله من الوعد ومنحه من النصر وكثرة الأتباع والظهور على الأعداء واستقرار قواعد الدين الحنيف وابتهاج مناهج الشرع الشريف .

* (وَكَانَ سَبْقُ أَخِيهِ نَفْسِهِ وَأَخِي

يَحْيَى وَعِيسَى لِحِزْبِ اللَّهِ بِأَدْيِهِ) * ٥٣

* (وَبَعْدَهُ اتَّسَقَ الْأَقْوَامُ فِي سَبْقِي

هَذَا مُصَلٍّ وَهَذَا لَاحِقٌ فِيهِ) * ٥٤

* (وَتَابَعَ اللَّهُ آيَاتَ لَهُ طَفَقَتْ

تَتَرَى كِفَاءً ^(١) تَحَدُّ مِنْ مُنَاوِنِهِ) * ٥٥

اختلف في من كان أول الناس إسلاماً ، فالذي عليه إجماع أهل البيت ، وبه قال المحققون من أهل النقل أن أول الناس إسلاماً

(١) كِفَاءً : جمع كفاء والمعنى أن الآيات التي توالى على رسول الله كانت كِفَاءً للتحديات التي تحداه بها مُنَاوِنُهُ ونظير تحديهم ، وطفقت أي جعلت .

مولانا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة ، قال
 بن إسحق : ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ
 وصدق بها جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب بن عبد المطلب
 بن هاشم ، وهو ابن عشر سنين يومئذ فكان مما أنعم الله به على
 علي بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله قبل الإسلام ، قال
 ابن اسحق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيع عن مجاهد بن جبير
 بن الحجاج قال : كان من نعمة الله تعالى على علي بن أبي طالب
 وما صنع الله له من الخير ، وأراد به ، أن قريشاً أصابتهم أزمة
 شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال النبي ﷺ
 للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم : « يا عباس إن أخاك أبا
 طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ،
 فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ
 رجلاً ، قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا
 نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم
 فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما ،
 قال ابن هشام : ويقال ، عقيلاً وطالباً ، فأخذ رسول الله ﷺ
 علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه فلم يزل علي
 رضي الله عنه مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علي وآمن به
 وصدقه ، ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه . »

قال ابن اسحق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله كان إذا
 حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي
 طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه
 فيصليان الصلاة فيها ، فاذا أمسيا رجعا ، فمكثا على ذلك ما شاء
 الله أن يمكثا .

ثم إن أبا طالب عشر عليها يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله

يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال « أي عم ^(١) »
هذا دين الله ودين ملائكته ، ودين رسله ودين أنبياء إبراهيم . أو
كما قال ﷺ : بعثني الله به رسولا الى العباد ، وأنت أي عم
أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى ، وأحق من أجابني
اليه وأعاني عليه » أو كما قال ﷺ .

فقال له أبو طالب : أي ابن أخي إني والله لا أستطيع ان أفارق
دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص إليك شيء مما
نكرهه . ما بقيت ، وذكروا أنه قال لعلي رضي الله عنه أي بني
ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت برسول الله
وصدقته بها جاء به وصليت معه واتبعته ، فزعموا انه قال له : أما
إنه لم يدعك إلا الى خير .

وفي جامع الأصول .. عن أنس بن مالك قال : بعث رسول
الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء ، أخرجه الترمذي ،
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول من صلى علي ، أخرجه
الترمذي .

وعن زيد ابن أرقم ، قال : أول من أسلم علي رضي الله عنه ،
أخرجه الترمذي مع زيادة ، ورواه الحاكم في المستدرک ، وفيه
أيضاً عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « أو لكم وروداً
علي الخوض أو لكم إسلاماً علي ابن ابي طالب » .

وإشارة الإمام عليه السلام .. في قوله أخيه نفسه ، إشارة
الى نحو ما رواه بن عمر قال : « لما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه

(١) أي حرف ندا بمعنى يا .

جاءه علي رضي الله عنه تدمع عيناه « فقال له : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخي بيني وبين أحد ، قال : فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « انت أخي في الدنيا والآخرة » أخرجه الترمذي .

وفي المستدرک ، عن علي رضي الله عنه قال : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها إلا كاذب صليت قبل فلان ^(١) بسبع سنين .

وفي قول الامام عليه السلام نفسه إشارة الى آية المباهلة قوله تعالى (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم) الآية ، عن سعد بن أبي وقاص قال : « لما نزلت هذه الآية ، دعى رسول الله ﷺ عليا وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي » أخرجه الترمذي . قال الشعبي : أبناءنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة ، وأنفسنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال بعض العلماء : انظر كيف قال أنفسنا وهو يريد نفس علي رضي الله عنه ، والمعلوم ضرورة أنه ليس نفسه إذ هما غيران فلا بد أن يكون أراد أنه كنفسه إلى آخر كلامه .

والصواب أن المراد بأنفسنا نفس الرسول ﷺ ونفس علي عليه السلام وجعل الرسول ﷺ نفس علي عليه السلام كنفسه ، فكان للرسول ﷺ نفسين ، وجمعه على قاعدة صيغت قلوبكما أو جعل نفسه الكريمة ونفس من نفسه كنفسه قائمتين مقام

(١) هكلنا في الأصل .

أنفس أهل دين الإسلام ، ويكون الجمع على حقيقته في مقابلة
أنفس أهل دين النصرانية ، ويمكن ان يكون مراد بعض العلماء
المذكور مثل ما ذكرناه ، لكن ظاهر عبارته لا يعطيه ، والله
سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله عليه السلام .. وأخي يحيى وعيسى ، قال الامام عليه
السلام : هذه إشارة الى أن الله سبحانه منح علياً عليه السلام السابق
والهداية والتوفيق بحسن الاختيار في التكليف العقلي ، بل والشرعي
في حال صباه كما كان في حق ابني الخالة يحيى وعيسى عليهم السلام .

قال الإمام يحيى شرف الدين عليه السلام

وقد اطلعت على مثل هذا المعنى بعد إنشاء هذه القصيدة المباركة
في حديث رواه علي عليه السلام ، عن رسول الله ﷺ بمحضر
من الصحابة وشهدوا به .

قال الإمام يحيى شرف الدين عليه السلام

وقوله لحزب الله باديه ، إشارة الى أن علياً عليه السلام ، أول
من سبق الى الإتصاف بأوصاف حزب الله ، الذين قال فيهم
(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر) الى قوله : (أولئك حزب
الله) الآية (١) ، فانه عليه السلام فارق أباه في صباه واخوته
وعشيرته ، على جلال أقدارهم ، وعظم أحوالهم ، إيثاراً من الله
له بالسبق الى الفلاح الجامع لأنواع الخير والفضل والصلاح . اهـ .
وقوله عليه السلام : وبعده اتسق الأقوام في سبق ، البيت . قال
في الإمتاع ثم استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان حائز
قصب السبق أبو بكر بن ابي قحافة ، وعثمان بن عفان ، وطلحة

(١) الآية هي آخر سورة المجادلة .

بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، إلى آخر كلامه .

وقوله عليه السلام : هذا مصل الخ ... استعارة من أسماء خيل الحلبة وهي عشر - «المجلي ، والمصلي ، والمسلي ، والتالي والمرتاح والعاطف ، والحظي والمؤمل ، واللطيم ، والسكيت »
وفي قوله عليه السلام : وتابع الله آيات ، البيت ؛ فأراد بذلك ما أجراه الله على يده ﷺ من الآيات الظاهرة ، والمعجزات الباهرة ، وسنشير عن قريب الى ذكر شيء منها ، إذ لا سبيل إلى الإحاطة بها .

٥٦ * (فكلُّ مُعْجَزَةٍ لِلْأَنْبِيَاءِ أَتَتْ

فَضَعُفُهَا لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَأْتِيهِ) *

٥٧ * (إِمَامَةٌ وَحَيَاةٌ ثُمَّ نَطَقُ جَمَا

دَاتٍ وَطَوْعٌ ^(١) لَهُ مِنْهَا يُؤَاتِيهِ) *

هذه إشارة الى بعض معجزات النبي ﷺ . أما الإمامة فالمراد بها هلاك من هلك بدعائه ﷺ كما ورد في الصحيحين عن أنس قال : كان رجل نصراني أسلم ، فقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ فعاد نصرانياً ، فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فقال له رسول الله ﷺ : اللهم اجعله آية فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فالقوه ،

(١) كذا في الأصل .

فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا مثل الأول ، فحفروا له وأعمقوا فلفظته الثالثة ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه بين حجرين ، ورضموا عليه الحجارة .

وكما ورد فيها ، عن ابن مسعود ان النبي ﷺ قال : اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، عتبة ابن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأممية ابن حلف ، وعقبة بن معيط ، قيل وعمارة بن الوليد ، قال : فوالذي بعث محمداً بالحق ، لقد أريت الذين ساهم صرعى ثم سحبوا الى القليب - قليب بدر - .

وكما روي انه ﷺ دعى على عتبة بن أبي لهب لما آذاه ، فقال : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ، فأكله الأسد ، القصة .

وأما الحياة (١) ، فلعله أراد الشاة المسمومة التي كلمه الذراع منها ، وقد ترجم له الدارمي في سنده بقوله : في مسنده . ما لفظه باب ما أكرم الله نبيه ﷺ من كلام الموتى .

أخبرنا جعفر بن عون ، أنبأنا مجدر بن عمرو الليثي عن أبي سلمة قال : كان رسول الله ﷺ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فأهدت له امرأة من يهود خيبر شاة مصلية فتناول منها وتناول بشرين البراء ، ثم رفع النبي ﷺ يده ثم قال : إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة ، فمات بشرين البراء ، فأرسل اليها النبي

(١) أما لإحياء الموتى : فما رواه أهل الحديث أن امرأة من الأنصار مات لها ولد بعد دخولها في الاسلام فجاءت الى النبي ﷺ وهي تقول : اللهم إني أسلمت وآمنت بنبيك وبما جاء به ، فلا تجعل موت ولدي جزائي ، فدعا النبي ﷺ بدعوات قال الراوي : فوالله لم يبرح حتى قام وطعم من طعامنا ما وما رواه بعض أهل البيت من إحياء أبيه حتى آمنوا به ما نقلناه من حاشية على الأم لصاحبها القاضي العلامة أحمد بن حسن تقي رحمه الله .

ﷺ وقال لها : ما حملك على ما صنعت ؛ قالت : ان كنت نبياً لم يضرك شيء ، وان كنت ملكاً أرحمت للناس منك ، الحديث :

ورواه عن طريق آخر قال فيها : فأخذ النبي ﷺ الذراع فأكل منها وأكل الرهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم النبي ﷺ : ارفعوا أيديكم .

وأرسل النبي ﷺ الى اليهودية فدعاها ، فقال لها : أسممت هذه الشاة ؟ فقالت : نعم ، ومن أخبرك ؟ فقال النبي ﷺ : أخبرتني هذه ، في يدي ، للذراع ، قالت : نعم ، قال : فما أردت الى ذلك ؟ قالت : قلت ان كان نبياً لم يضره ، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه . فعفا عنها النبي ﷺ ولم يعاقبها . الحديث .

وقد أخرج هذه الرواية الثانية ، أبو داود وأصل الحديث ثابت في الصحيحين .

قال الإمام عليه السلام : وفيه إشارة الى ما روي عن الحسن البصري قال : أتى رجل النبي ﷺ فذكر انه طرح بنية له بوادي كذا ، فانطلق معه رسول الله ﷺ الى الوادي وناداه باسمها ، يا فلانة أجيبني بإذن الله ، فخرجت وهي تقول : لبيك وسعديك ، فقال لها : ان أبويك قد أسلما ، فان أحببت أن أردك عليها فعات ، فقالت : لا حاجة لي فيهما ، وجدت الله خير لي منهما . ذكره القاضي عياض في الشفاء ، وإلى غير ذلك كما سيأتي في شرح قوله (كذاك إحياء اموات تناديه) اهـ .

وأما تكليم الجمادات له . . وطوعها له ﷺ ففي ذلك أحاديث كثيرة ، فعن علي رضي الله عنه ، قال : كنت مع رسول

الله ﷺ في مكة فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله ، أخرجه الترمذي وعن جابر ابن سمرة : أن رسول الله ﷺ قال : ان بمكة حجراً كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن ؛ أخرجه مسلم والترمذي .

وعن ابن عباس قال : جاء اعرابي الى رسول الله ﷺ قال : بها أعرف أنك رسول الله ؟ قال : ان دعوت هذا العذق من النخلة فشهد أتشهد لي أي رسول الله ؟ فدعاه رسول الله ﷺ فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط الى رسول الله ﷺ فسلم عليه فقال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم قال له النبي ﷺ : ارجع الى موضعك ، فعاد الى موضعه والتأم ، وأسلم الأعرابي عند ذلك ، أخرجه الترمذي ، ولم يذكر سلام العذق على النبي ﷺ .

وفي سيرة ابن هشام قال بن اسحق : وحدثني عبد الملك ، عن عبد الله الثقفي ، عن بعض أهل العلم ، ان رسول الله ﷺ حين اراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، وكان اذا خرج لحاجته ، أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضي الى شعاب مكة ، وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله ﷺ على حجر ولا شجر ، إلا قال للسلام عليك يا رسول الله ، قال : فيلتفت رسول الله ﷺ حوله عن يمينه وشماله ، وخلفه فلا يرى شيئاً الا الشجر والحجارة ، وفي حديث أخرجه مسلم ، عن جابر قال : «سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته ، فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير

شيئاً يستتر به ، وإذا شجرتان على شاطئ الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ الى حدها فأخذ بغصن من أغصانها وقال : انقادي علي باذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش ^(١) الذي يتابع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي علي باذن الله ، فانقادت معه كذلك ، حتى اذا كان المنصف منها ^(٢) ، لأم بينهما ، يعني جمعها فقال : إلتما علي باذن الله فالتمتا ، قال جابر : فخرجت أحفر مخافة أن يحبس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفظة فاذا أنا برسول الله ﷺ واذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة فقال براسه هكذا وأشار الراوي برأسه يمينا وشمالا ، ثم أقبل فلما انتهى الي قال : يا جابر هل رأيت ؟ قلت : نعم يا رسول الله « الحديث . وفي هذا المعنى أحاديث أخر ، اهـ .

٥٨ * (كَالشَّمْسِ وَالْبَدْرِ كَانَا طَائِعِينَ لَهُ

وَالْمَاءِ عَنْ أَمْرِهِ مَا زَالَ يُجْرِيهِ) *

أما الشمس فذكر في الامتاع في حديث الإسراء أن النبي ﷺ لما أخبر قومه بمكة بما أراه الله عز وجل من آياته ، اشتد تكذيبهم له ، وأذاهم إياه ، واستنصروهم عليه وارتد جماعة ممن كان أسلم . وسألوه أماراً فاخبرهم بقدوم غير مكة يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم ولم يقدموا حتى كادت الشمس تغرب ، فدعا الله عز وجل فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ﷺ .

(١) الخشاش بالكسر ما يدخل في عظم أنف البعير من الخشب اه قاموس :

(٢) أي فيما بينهما .

قال بن اسحق : لم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون .

وروي عن أسماء بنت عميس قالت : « كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس » .

فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ان علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد أن غربت . وفي رواية أخرى ، فقام علي فصل العصر فلما قضا صلاته ^(١) غابت الشمس فاذا النجوم مشتبكة » .

قال الامام عليه السلام .. أخرج ذلك الطحاوي ، وغيره ، وذلك بالصهباء من حنين .

وأما البدر فعن .. ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين ، فقال رسول الله (ص) اشهدوا .

وفي رواية أخرى ونحن معه فقال : اشهدوا ، وفي أخرى ، قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا ، أخرجه البخاري ومسلم . وأخرج مسلم والترمذي نحوه من رواية ابن عمر . وفي الصحيحين ، عن ابن عباس قال : إن القمر انشق في زمن رسول الله ﷺ ، وعن أنس « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر ، وفي أخرى ، فأراهم القمر شقتين ، أخرجه البخاري ومسلم ، وزاد

(١) أي فرغ من صلاته هـ :

الترمذي ، فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر) الى قوله (سحر مستمر) يقول ذاهب (١) .

عن جبير ان مطعم قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فلقين ، فقالت قريش : سحر محمد أعيننا ، فقال بعضهم : لئن كان سحرنا ، ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم ، أخرجه الترمذي ، وزاد رزين : وكانوا يتلقون الركبان فيخبروهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم (٢) .

وأما قصة إجراء الماء عن أمره ﷺ فسيأتي ذكر ما ورد في ذلك ، وهي التي احترز عنها الإمام عليه السلام ، بقوله في الترجمة غالباً (٣) لأنها انما كانت بعد الهجرة .

٥٩ * (وَعِنْدَ جَهْلٍ أَبِي جَهْلٍ وَجُرَّاتِهِ

فَاجَاهُ أَمْرٌ لِّتَرْكِ الْجَهْلِ يُلْجِيهِ) *

عن ابي هريرة قال : قال ابو جهل : هل يعفر محمداً وجهه بين أظهركم ؟ قيل : نعم ، قال : والللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك

(١) تفسير لمستم أي ماراً ذاهب .

(٢) أنظر تفصيل هذا البحث في ظلال القرآن للسيد قطب رحمه الله فقد قرر فيه صحة القضية وتواترها عن أهل مكة وعن السفار الذين وردوا عليهم وسألوهم ، لكنه قرر أن ذلك فيه تكريم لرسول الله ﷺ وليس جواباً لسؤال قريش الآية ، وأن رد الرسول لسؤالهم الآيات قد أوضحه القرآن بقوله (قل هل كنت الا بشراً رسولاً) فراجع اه .

(٣) لم نجد غالباً في ترجمة الباب هذا فينظر ما أراد المؤلف بذلك .

لأطان على رقبته ولأعفرن وجهه ، قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليظاً على رقبته قال : فما فجئهم إلا وهو ينكص على عقبه ، ويتقي بيديه ، فقبل له:مالك ، قال : ان بيني وبينه لخذقاً من نار وهو لا وأجنحة فقال ﷺ : لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً الحديث . أخرجه مسلم . وفي سيرة ابن هشام ، قال ابو جهل : يا معشر قريش ان محمداً قد أبى الا ما ترونه من عيب ديننا ، وشم أبائنا ، وسفيه أحلامنا وشم آلهتنا ، واني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله أو كما قال : فاذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره . وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدوا ، وكان رسول الله ﷺ بمكة ، وقبلته الى الشام : فكان اذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام ﷺ يصلي وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد ﷺ واحتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل به نحوه ، حتى إذا دنا منه منهزم منتعماً لونه مرعوباً قد يبست يداه على الحجر حتى إذا قذفه من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه ، عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ، أي رقبته ، ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني . قال ابن اسحق : فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : ذلك جبريل ، لودنا لأخذه ، اهـ .

وكان عاقبته أن قتله الله عز وجل شر قتلة ، مع غيره من صناديد

قريش يوم بدر يأيدي المؤمنين كما هو المشهور ،

٦. * (وفي الصحيفة لما حاصروه بشة

ب الخير جاءت كرامات لأهليه) *

قال ابن اسحق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً يعني الحبشة ، أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، وكان هو وحمزة ابن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا وأتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعون منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا على ذلك ، كتبوا صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، تأكيداً على أنفسهم ؛ وكان كاتب الصحيفة عكرمة من بني عبد الدار وقيل غيره ، فدعى عليه النبي ﷺ فشتل بعض أصابعه .

قال ابن اسحق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم ، وبنو المطلب الى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش وظاهرهم .

قال ابن اسحق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاث حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء إلا سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش .

قال : ثم انه قام في نقض تلك الصحيفة نفر من قريش ولم يبل فيها أحداً حسن من بلاء هشام ابن عمرو من بني عامر ابن لؤي . وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه ، وكان واصلاً لبني هاشم .

ثم انه مشى الى زهير ابن أبي أمية من بني مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا زهير قد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، أما أني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هاشم (١) ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك اليه ، ما أجابك اليه أبداً .

قال : ويحك يا هشام فإذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها حتى أنقضها . قال قد وجدت رجلاً ، قال : من هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : أبغنا ثالثاً . فذهب إلى المطعم ابن عدي فقال له : يا مطعم أقدر رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك لمواقف لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لنجدنهم اليها منكم سراعاً ، قال : ويحك ماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنا ثالثاً ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أمية ، قال : أبغنا رابعاً ، فذهب الى أبي البختري ابن هشام من بني أسد ابن عبد العزي ، فقال له : نحوا ما قال المطعم ابن عدي ، قال :

(١) في سيرة ابن هشام : الحكم بن هشام .

فهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال :
زهير ابن أمية والمطعم ابن عدي وأنا معك ، قال : أبغنا خامساً ،
فذهب الى زمعة بن الأسود ابن المطلب ابن أسد فكلمه فذكر له
قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم ، فقال له : وهل على هذا
الأمر الذي ندعوا اليه من أحد ، قال : نعم ، ثم سما له القوم
فاتعدوا خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا
أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال
زهير أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم .

فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير ابن أبي أمية في
حله وطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة
أنأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى ، لا يباعون
ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة
للظلمة . قال : فقال أبو جهل وكان في ناحية من المسجد : كذبت
والله لا تشق ، فقال ربيعة ابن الأسود : أنت والله أكذب ، ما
رضينا كتابتها حين كتبت ، وقال أبو البختری : صدق زمعة لا
نرض ما كتب فيها ولا نقر به ، قال المطعم ابن عدي : صدقنا
وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها ، وقال
هشام ابن عمرو : نحواً من ذلك ، فقال له أبو جهل : هذا والله
أمر قضي بليل تشور عليه بغير هذا المكان ، قال : وأبو طالب جالس في
ناحية المسجد .

وقام المطعم بن عدي الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد
أكلتها إلا « باسمك اللهم » .

قال ابن هشام : وقد ذكر بعض أهل العلم ان رسول الله ﷺ

قد كان قال لأبي طالب ان الله ربي قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ونفت عنها القطيعة والظلم والبهتان ، فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليه أحد ، ثم خرج الى قريش فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلهم الى صحيفتكم فإن كان كما قال ابن أخي فانتھوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وإن كان كاذباً دفعت اليكم ابن أخي ، فمال القوم : رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً ، فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال الامام عليه السلام : ومن الكرامات انها شلت يد كاتب الصحيفة ، وأن الأرض أكلتها ، غير ما فيه اسم الله تعالى ، وان النبي ﷺ أخبر بذلك عن جبريل عليه السلام كما سبق ذكره .

* (وَكَانَتْ الْهِجْرَةُ الصُّغْرَى مُقَدِّمَةً

لِلْهِجْرَةِ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ الْمُوَالِيَةِ) * ٦١

* (فَازَ النَّجَاشِيُّ ^(١) فِيهَا بِالْفَلَاحِ وَجَا

ثَتَّ عَنْهُ أَنْبَاءُ عِلْمٍ كَانَ يَذَرِيهِ) * ٦٢

قال ابن هشام ، عن البكائي ، عن ابن اسحق قال : فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر أن

(١) النجاشي لقب يطلق على ملك الحبشة كما يطلق اسم قيصر على ملك الروم

ونحوه .

يمنعهم ما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله سبحانه بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الاسلام ، فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ والزبير ابن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة ابن عبد الأسد ، ومعه امرأته أم سلمة وغيرهم ، ثم خرج جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت عميس ، وابن مسعود ، وعثمان بن مطعون ، والمقداد وغيرهم عددهم ابن اسحق وسأهم رضي الله عنهم .

ثم قال : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوا أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً والذين ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر منهم ، قال ابن اسحق : فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمئنوا بأرض الحبشة . وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، إلتئموا بينهم يبعثوا فيهم رجلين من قريش جليدين الى النجاشي ، فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجونهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وجمعوا اليها هدايا للنجاشي ، ولبطارقته ، ثم بعثوا بها إليه معهم وقالوا لها : إدفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم ، ثم قدما الى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم .

فخرجوا حتى قدما على النجاشي ، فلم يبق من بطارقتة بطريق
إلا دفعا اليه هديته قبل أن يكلمها النجاشي ، وقالوا لكل بطريق أنه
قد ضوي الى بلد الملك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم
يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ،
وقد بعثنا فيهم الى الملك أشراف قومهم ليردوهم اليهم ، فإذا
كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه ان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فإن
قومهم أعثرهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لها نعم ؛ ثم
انها قدما هداياها الى النجاشي فقبلها منها ثم كلماه فيهم بنحو ما
كلم بطارقتة ، فقال بطارقتة : صدقا ايها الملك ، ردهم اليها
ليردوهم الى بلادهم وقومهم ؛ فغضب النجاشي وقال : لا ها الله
ذا (١) ، لا أسلمهم اليها ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا
بلادني ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما
يقول هذان في أمرهم ، فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما
ورددتهم الى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك ، منعتهم منهم
واحسنت جوارهم ، ثم أرسل الى أصحاب رسول الله ﷺ
فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض :
ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما
أمرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا وقد دعى
الملك أسأفتة ، فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم ما هذا الذي
فارقتم به قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه
الملل ؟ فكان الذي تكلم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ،
فقال : ايها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل

(١) معناها لا والله ما أرضى هذا .

الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ،
ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا
منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله تعالى
لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من
الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة
الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا
عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ،
وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة
والصيام - وعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه
على ما جاء به عن الله تعالى ، فعدى علينا قوم فعذبونا وفتنونا عن
ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل ، وأن نستحل
ما كنا نستحله من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا
وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ،
ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي .. هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟
فقال له جعفر : رضي الله عنه ، نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه
علينا ... فقرأ صدرأ من سورة (كهيعص) فبكى النجاشي حتى
اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين
سمعوا ما تلى عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به
موسى يخرج من مشكاة واحدة ، فانطلقا فلا والله لا أسلمهم
إليكما ولا يكادون فلما خرجا من عنده .

قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به
خضرائهم ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ، لا تفعل فان لهم

أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، ثم غدا عليه الغد . فقال أيها الملك ، انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل اليهم فاسألهم عما يقولون فيه ، فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول ما قال الله . وما جاءنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن ؛ فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول .

فضرب النجاشي بيده الى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا (١) عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله (٢) ، اذهبوا فانتم سيوم بارضي والسيوم الآمنون ، من سبكم غرم ، ثم قال : ومن سبكم غرم ، ثم قال : ومن سبكم غرم ، ما أحب لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم .

والدبر بلسان الحبشة : الجبل ، ردوا عليها هداياها فلا حاجة لي بها ، الى آخر القصة ، سيوم صح بالسين المهملة وكذا دبراً بالبدال المهملة المفتوحة ثم ياء موحدة سأله .

ثم حكى عن عائشة أنها قالت : لما مات النجاشي ، كان يحدث انه لا يزال يرى على قبره نور ، وقد تقدم حديث إيمان النجاشي

(١) أي ما تعدى .

(٢) يعني أظهروا صوت استنكار من نخرهم أي آناهم .

برسول الله ﷺ . وفي يوم وفاته قال ﷺ : قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش ، وفي رواية : ان أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه ، فقام فصّف بنا كما يصف على الجنّازة وصلى عليه وفيه روايات آخر ، والمراد بهجرة الفتح ؛ هجرة النبي ﷺ الى المدينة ، وسيأتي ذكرها .

٦٣ * (وَبَعْدُ ذَا جَاءَ مِنْ أَنْبَاءِ قَيْلَةٍ مَنْ

بِالطُّوْعِ وَالنَّصْرِ وَالْإِيوَاءِ يُنْبِئُهُ) *

٦٤ * (وَفِي ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ مَتَابَعَةٌ

قَدْ بَايَعُوهُ بِمَا يَشْفِي وَيَرْضِيهِ) *

٦٥ * (وَلَمْ يَزَلْ وَافِدُ الْإِسْلَامِ يَطْرُقُهُمْ

وَكُلُّهُمْ لِحَمِيلِ النَّزْلِ يُسَدِّيهِ) *

أبناء قيلة : هم الأوس والخزرج ، وقيلة أم لهم ينسبون اليها ، وهي قيلة بنت كاهل ؛ قال في الإمتاع ، وكان مما صنع الله تعالى للأنصار ، وهم الأوس والخزرج أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من بني قريظة والنضير : اليهود في المدينة ، أن نبياً مبعوثاً في هذا الزمان ، ويتوعدون الأوس والخزرج به ، اذا حاربوهم فيقولون انا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكانت الأوس والخزرج تحج البيت فيمن يحججه من العرب ، فلما رأوا رسول الله ﷺ يدعو الناس الى الله رأوا أمارات الصدق لائحة ، فقالوا : والله هذا الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه الى أن قال :

ثم إن رسول الله ﷺ لقي عند العقبة من (منى) في الموسم ستة

نفر كلهم من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله وللرسول ، وآمنوا وصدقوا . قال : ثم رجعوا الى قومهم بالمدينة ، فذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعاهم الى الإسلام ففشى فيهم حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

(بيعة العقبة الاولى)

فلما كان العام المقبل .. وافا الموسم من الأنصار إثني عشر رجلا منهم تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس فأسلموا ؛ وقد كان معه يومئذ علي وأبو بكر رضي الله عنهما ، فبايعوه عند العقبة على الإسلام ، كبيعة النساء ، وذلك قبل أن يؤمر بالقتال .

فبعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير ؛ ويقال : وابن أم كلثوم .. ليعلما من أسلم القرآن ويدعوا الى الله تعالى ، فتزلا بالمدينة على أبي أمامة أسعد ابن زرارة فخرج بهما الى دار بني ظفر ، واجتمع عليهما رجال ممن أسلم .

فأتاهم : أسعد بن جعفر وسعد بن معاذ، وهما سيدا بني عبد الأشهل ، فدعاهما مصعب الى الإسلام فهداهما الله وأسلما ، ودعوا قومهما الى الله تعالى ، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة الا وقد أسلموا ، إلا الأصرم عمرو بن ثابت فانه تأخر إسلامه الى يوم أحد ، ولم يزل مصعب بن عمير يدعوا الى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها عدة مسلمون ؛ إلا بني أمية بن يزيد ، ووائل ، وواقف ، فانه تأخر إسلامهم ^(١) ، وهم

(١) وذلك انه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وكان شاعراً وقائداً لهم يستمعون منه فوقف بهم على الإسلام حتى هاجر رسول الله (ص) .

بطون من أهل المدينة ، وكان مصعب ابن عمير يؤم بمن أسلم
وجمع بهم بومأوهم أربعون، في «هزم»^(١) بحرة بني بياضة في بقيع
الخضبات .

ثم عاد الى مكة واخبر رسول الله ﷺ بمن أسلم فسرّه
ذلك .

(بيعة العقبة الثانية)

ثم كانت بيعة العقبة الثانية إذ توافد في الموسم خلق
من الأنصار ما بين مشرك ومسلم وزعيمهم البراء بن مغرور ،
فتسلل منهم جماعة مستخفون لا يشعر بهم أحد ، واجتمعوا
برسول الله ﷺ في ذي الحجة وواعدوه أوسط أيام التشريق
بالعقبة ، فلما كان الليل : خرجوا بعد مضي ثلاثة أيام مستخفين
يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة وهم ثلاثة وسبعون رجلاً ، وامرأتان
هما : أم عمارة نسيبة بنت عمرو بن كعب وأسما بنت عمرو بن عدي ،
وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس رضي الله عنه وهو
على دين قومه ، وعلي وأبو بكر رضي الله عنهما فأوقف العباس
عليماً على فم الشعب عيناً له وأوقف أبا بكر على فم الطريق عيناً له
وتكلم العباس أولاً يتوثق لرسول الله ﷺ ثم تلى عليهم رسول
الله ﷺ القرآن ورغبهم في الإسلام ، وشرط عليهم أن يمنعوهم
مما يمنعون منه نساءهم فأخذ البراء بن مغرور بيده^(٢) وقال : والذي

(١) هزم بني النبيت على بريد من المدينة .

(٢) أي بيد رسول الله ﷺ .

بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه . أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب .

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن النبهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبلا ونحن قاطعوها فهل عسيت إن أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا .

فتبسم رسول الله ﷺ فقال : أنتم مني وأنا منكم ، أسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم .

وفي كلام آخر : فقالوا : أبسط يدك ، فبايعوه ، وكان أولهم مبايعة أبو أمامه أسعد^(١) بن زرارة ، وكانت بيعتهم على أن بمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونسائهم وأزهرهم ، وأقام ﷺ اثني عشر نقيباً منهم . كما في الامتاع وغيره ،

فلما تمت بيعتهم استأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل «منى» بأسيا فهم ، فقال : لم أؤمر بذلك ، فعادوا الى المدينة .

واشتد الأذى بمكة على من بمكة من المسلمين ، فاذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة الى المدينة ، فبادروا الى ذلك ، وتجهزوا الى المدينة في خفي وستر وتسللوا ، فيقال : انه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة ، وجعلوا يتوافدون بالمال والظهر ويتواقفون .

و (الترل) ما يعد للظيف و (الإسداء) الإعطاء وذلك أنه كان ينزل كل وافد من المهاجرين على بيت من الأنصار فيكرمونه نزلهم . ويشاطرونهم أموالهم ويبالغون في تأهيلهم ولا يحرامهم .

(١) في بعض المراجع التي كانت المقابلة عليها انه سعد بن زرارة بحذف الألف

فصل

في ابتداء الهجرة الكبرى وما كان فيها من المعجزات

- ٦٦ * (وَحِينَمَا أَذِنَ الرَّحْمَنُ بِالسَّفَرِ الْـ
مَيْمُونِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ يَنْوِيهِ) *
- ٦٧ * (فَغَارَ فِي الْغَارِ مَقْرُونًا بِصَاحِبِهِ
وَالسَّابِقُ الْأَوَّلُ الضَّرْغَامُ يَفْدِيهِ) *
- ٦٨ * (فَسَلَّمَ اللَّهُ كَلَاءً فِي مُعَرَّسِهِ
وَعَزَّ مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ يَحْمِيهِ) *
- ٦٩ * (وَآيَةُ الْعَنْكَبُوتِ وَالْحَمَامِ جَرَتْ
كَذَا تَرَابٌ لِحَرْبِ الشُّرْكِ يُعْمِيهِ) *

قال في الإمتاع : تلاحق المسلمون بالمدينة يخرجون من مكة
أرسالا حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وعلي وأبو بكر -
رضي الله عنهما - أقاما بأمن لهما وإلا من اعتقله المشركون كرهاً ،
فحذرت قريش خروج رسول الله ﷺ واشتوروا بدار الندوة
يحبسونه في الحديد ويغلزون عليه باباً ، أو يخرجونه من مكة ، أو
يقتلونه ثم اتفقوا على قتله .

فأعلمه الله عز وجل بذلك ، فلما كان العتمة ، اجتمعوا على
باب رسول الله ﷺ يرصدونه متى ينام فيشون عليه ، فلما رأهم
ﷺ أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام على

فراشه ، ويتسبح ببرده الأخضر ، وأن يؤدي ما عنده من الودائع والأمانات ، ونحو ذلك ، فنام على فراشه ﷺ وتغطى ببرده الأخضر ، فكان أول من شرى نفسه ، وفيه نزلت الآية الكريمة : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) وخرج ﷺ وأخذ حفنة من تراب وجعله على رؤوسهم وهو يتلو الآيات : من أول (يس * والقرآن الحكيم) الى قوله (فهم لا يبصرون) فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه ، وانصرف رسول الله ﷺ وهم ينظرون علياً رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيقولون : ان محمداً

لنائم ، حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فعرفوه ، وأنزل الله تعالى في ذلك : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير لما كرين) .

وسألوا أولئك الرهط علياً رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال : لا أدري ، أمرتموه بالخروج فخرج ، فضربوه وأخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثم خلوا عنه ، فأدى أمانة رسول الله ﷺ .

ولما خرج ﷺ أتى أبا بكر رضي الله عنه فأعلن أنه يريد الهجرة ، وقد جاء انه ﷺ اتى أبا بكر رضي الله عنه بالهجرة وأمره ان يخرج من عنده وأعلمه ان الله عز وجل قد أذن له في الخروج ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : الصحبة يا رسول الله ، قال الصحبة فبكي من الفرح فاستأجرا عبد الله بن أريقط الليبي من بني الدليل ليدلها على الطريق ، وخرجا من خوخة في دار ابي بكر رضي الله عنه ومضيا الى غار في جبل ثور فلم يصعدا الغار حتى قطرت قدما رسول الله ﷺ دمأ ، لأنه لم

يتعود الحفية ، ولا الرعية ، ولا السفر وعادت قد ماأبي بكر كأنها صفوان وعمى الله عز وجل على قريش خبرها فلم يدروا أين ذهب ، وكان عامر ابن فهيرة يريح عليهما غنيمة وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تحمل لهما الزاد الى الغار وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه يستمع لهما ما يقال فيها بمكة ثم يأتيها بذلك ، وجاء قريش في طلبها الى ثور وما حوله ، ومروا على باب الغار وحاذت أقدامهم رسول الله ﷺ وأبا بكر .

وقد نسج العنكبوت وعششت حمامتان على باب الغار وذلك قوله تعالى : (إلا ننصرون فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) الآية .

وبكى أبو بكر وقال : يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى موضع قدمه لرآنا . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأعمى الله على قريش .

وقد قفى كرز بن علقمة أثر رسول الله ﷺ حتى انتهى الى الغار فرأى عليه نسج العنكبوت ، فقال : ها هنا انقطع الأثر فلم يهتدوا اليها ورجعوا هـ .

فنودي بأعلى مكة واسفلها من قتل محمداً فله مائة من الإبل ، ويقال جعلوا لمن جاء بأحدهما أو قتله ديته .

وقد اشتملت هذه الجملة على المعاني التي أشار اليها الإمام عليه السلام في الأبيات الأربعة وان اختلف الترتيب في بعضها ، والمراد بصاحبه أبو بكر رضي الله عنه وبالسابق الأول مولانا

امير المؤمنين علي كرم الله وجهه في الجنة .
(المعرس في) الأصل موضع التعريس ، وهو حيث ينزل
المسافر آخر الليل للاستراحة ، ثم اتسع فيه .

وقال الإمام عليه السلام في قوله : قام رسول الله ينويه ،
هو من قولهم : قام فلان بالأمر اذ انهض به واحتفل له ، وقد
جاء من افعال المقاربة ذكره كثير من النحويين وهو أنسب بهذا
الموضع .

وقال عليه السلام في قوله الضرغام يفديه ، جاء في حديث
أخرجه ابن عساكر في الأربعين الطوال له أنه لما خرج النبي
ﷺ مهاجراً بات علي على فراشه يفديه بنفسه ، وذكر الغزالي :
ان الله باهى بذلك جبريل وميكائيل - عليهما السلام - وقال - عليه
السلام - في قوله وآية العنكبوت : أخرج ابن عساكر عن أنس
وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة : أن الله تعالى أمر شجرة فنبتت
تجاه رسول الله ﷺ ليلة الغار فسترته ، وأمر حمامتين فوقفتا
بفم الغار .

وروى احمد باسناد حسن ، أن العنكبوت نسجت على باب
الغار ، فلما أتى الطالبون ، قالوا : لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان
ببابه والنبي ﷺ يسمع كلامهم فانصرفوا .

* (وَتَمَّ يَعدُ ثَلاثِ قَصدِ هِجرَتِهِ اَلْ

كَبَرى وَحِفظِ الرُّؤوفِ البَرِّكَالِيهِ) * ٧٠

* (وَحينَ عَادَ رَوِيعِهِم لِيَعْلَمِهِم

إِذا بِهِ حِيسَةٌ في اللِّسَنِ تَلَوِيهِ) * ٧١

٦٢ * (كذا سراقَة قَد كَاد التُّرَابُ لَهُ

لَوْلَا التَّدَارُكُ فِي الْأَرْضِينَ يَخْفِيهِ) *

قال في الإمتاع : فلما مضت ثلاث لرسول الله ﷺ وابي بكر وهما في الغار ، أتاها دليلهما وقد سكن الطلب عنهما ومعه بعيراهما فأخذ أحدهما رسول الله ﷺ من أبي بكر بالثمن ، وقد كان أبو بكر أعدهما قبل ذلك ، وأعد جهازه وجهاز رسول الله ﷺ منتظراً متى يأذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالخروج وعلف ناقته أربعة أشهر فركب رسول الله ﷺ على الجداء .

وخرجا من الغار سحر ليلة الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاول على الصحيح ومعهما سفرة أتت بها أسماء بنت أبي بكر وساروا .

وقد أُرْدِف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار عبد الله ابن الأريقط أمامهما على راحلته حتى قالوا يوم الثلاثاء - هو من القيلولة - وذلك بعد العقبة لشهرين وليال على الصحيح ، وحكى الإمام عن القاضي عياض وغيره أن راعياً عرف خبر النبي ﷺ وابي بكر فخرج يشتد فلما وصل مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع ونسي ما جاء لأجله حتى رجع الى موضعه وفي بعض الروايات أنه انعقد لسانه ، فلم يستطع نطقاً هـ .

وقال في الإمتاع : «ومروا ببني مدلج فبصر بهم سراقَة بن مالك بن جشم المدلجي فركب جواده ليأخذهم حتى اذا قرب من رسول الله ﷺ وسمع قراءته ساخت يدا فرسه في الأرض الى بطنها وكانت صلبة وثار من تحتها مثل الدخان فقال سراقَة : ادع

يا محمد ليخلصني الله ولك علي أن أرد عنك الطلب ، فدعا له فتخلص ، فعاد يتبعه . فدعا عليه ثانية فساخت قوائم فرسه في الأرض أشد من الأولى فقال : يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك علي فادع الله لي ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب ، فدعا له فخلص وقرب من النبي ﷺ وقال : يا رسول الله خذ سهماً من كنانتي فإن إبلي بمكان كذا فيخذ منها ما أحببت فقال ﷺ لا حاجة لي في ذلك .

فلما أراد أن يعود عنه قال ﷺ : كيف بك يا سراقه اذا سورت بسواري كسرى ، قال : كسرى ابن هرمز ؟ قال ﷺ : نعم ، وسأل سراقه رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً فكتب له أبو بكر ويقال بل كتب له عامر بن فهيرة (١) ، ورجع يقول للناس كفيتم ما ها هنا ويرد عنهم الطلب .

ولقي رسول الله ﷺ بريده ابن الخضيب الأسلمي في ركب في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة وهم يريدون موقع سحابة فأسلموا بعدما دعاهم الى الله واعتذروا بقلة اللبن عندهم وقالوا : مواشينا عاجفة . وجاءه أبو بكر بلبن فشربه وشرب أبو بكر ودعا لهم بالبركة .

ولقي أيضاً أوس بن حجر رسول الله ﷺ فاعاره جملًا وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود ليرده اليه من المدينة .

ومر رسول الله ﷺ .. بخيمتي أم معبد عاتكة بنت خويلد فقال عندها - من القيلولة ؟ وأراها الله تعالى من أمارات نبوته ﷺ في الشاة وخبليها لبناً وهي حامل في سنة مجدبة فابهر

(١) وقد صدق الوعد في عهد عمر بن الخطاب ولبس سراقه السوارين بعد أن جانت في غنائم المسلمين .

عقلها ، ويقال انها ذبحت لهم شاة وطبختها واكلوا منها وسفرتهم منها ما وسعته سفرتهم وبقي عندها أكثر لحمها ، وقالت أم معبد : لقد بقيت الشاة التي مسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرعها الى العام الرمادة ، وهي سنة ثمانية عشر من الهجرة ، وكنا نحلبها صبحاً وغبوقاً وما في الأرض قليل ولا كثير .

وكان المهاجرون قد استبطئوا قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبلغ الأنصار مخرجه من مكة وقصده إياهم فكانوا كل يوم يخرجون الى الحرة ينتظرونه فاذا اشتد الحر عليهم رجعوا .

فصل

في استخلاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ووصيته اليه .

٧٣ * (وكان أول ما استكفى خليفته

تاريخها ليُقضي ما يُقضى) *

٧٤ * (وجرد العزم منه بعد ثالثة

من بعد إنفاذ ما قد كان يُوصيه) *

٧٥ * (وحينَ وافي رسولَ الله أنزله

معه بمنزله واختصه فيه) *

قال في الإمتاع : وقدم علي رضي الله عنه وكرم وجهه من مكة بعدما أدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الودائع التي كانت عنده بعدما كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه ، فاعتنقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه

وأمرها على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك حتى قتل رضي الله عنه
وقيل : نزل على كلثوم ابن الهدم وقيل على امرأة .

والراجح أنه نزل مع النبي ﷺ ^(١) .

* (ثم اغتدى يتباري بعدهم طبقاً لـ .

مهاجرين لبر في تباريه) * ٧٦

قد تقدم ذكر المهاجرين والأنصار الى المدينة قبل خروج النبي ﷺ من مكة وانه لم يبق فيها إلا رسول الله ﷺ وعلي و ابو بكر او من جلس كرهاً .

قال الإمام يحيى شرف الدين علياً السلام

والمراد بقوله ثم اغتدى بتباري الخ ... من تأخرت هجرته
عن رسول الله ﷺ وعلي كرم الله وجهه من غير مكة وغيرهم
من القبائل ، وأهل الحبشة وغيرهم وكذا من كان محبوساً أو
تأخر إسلامه .

وقد قال ابن هشام : بعدما كان أبو أيوب وزوجته يفعلانه في
عشاء رسول الله ﷺ : قال ابن اسحق : وتلاحق المهاجرون الى
رسول الله فلم يبق أحد منهم بمكة الى آخر ما ذكر فالذي في
القصيدة هو على نحو ما في السيرة من ذكر المهاجرين السابقين
واللاحقين بل على ما في القرآن الكريم في سورة الحشر . يعني في
قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) على أحد التأويلين
وهو الأقوى اهـ .

قال في الإمتاع : وبعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة وأبا

(١) كما هو في رواية الإمتاع المذكورة :

رافع الى مكة ودفع اليها بغيرين وخمس مائة درهم أخذها من أبي بكر يشريان بها ما يحتاجان اليه ، وبعث أبو بكر عبد الله ابن أريقط الديلي بغيرين أو ثلاثة وكتب الى عبد الله ابن أبي بكر ان يحمل أهله أم رومان وعائشة وأسماء ، فاشترى زيد بالخمس مائة ثلاثة أبعرة لحديد وقدم مكة فاذا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة فقدم المدينة على رسول الله ﷺ بابنته فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهما وزوجته سودة بنت رفعة ، وأسامة بن زيد ، وأم أيمن ، وكانت رقية قد هاجر بها عثمان (رض) قبل ذلك وجلس أبو العاص بن الربيع وزوجته (زينب) بنت رسول الله ﷺ وخرج مع زيد وأبي رافع عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر .

٧٧ * (وكان من خير أنصارٍ مُناقِسةٌ

في مُستَقَرِّ رَسولِ اللهِ تَبْغِيهِ) *

٧٨ * (وكان من ناقة المختار آيتها

في موضع المسجد الميمونِ تُثْوِيهِ) *

٧٩ * (وتمَّ حظُّ أبي ايوب فاحتمل الـ

رَحَلَ الكَريمِ إلى ماواه يُؤويهِ) *

قال في الإمتاع وغيره : فلما كان يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول على الصحيح على رأس ثلاث عشرة سنة من المبعث وافى رسول الله ﷺ المدينة حين اشتد الضحى ، ونزل الى جانب الحرة وقد عاد المهاجرون والأنصار بعد ما انتصروا على

عادتهم ، الى أن قال : فكان أول من بصر برسول الله ﷺ رجل من يهود كان على سطح إطم له فنادى بأعلى صوته : يا بني قيلة هذا جدكم (١) الذي تنتظرون ، فخرج الأنصار مع المهاجرين في سلاحهم فوافوه مع أبي بكر في ظل نخلة ، وحيوا رسول الله ﷺ بتحية النبوة وقالوا : اركبوا آمين ، فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح .

وقيل بالمدينة (٢) جاء رسول الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ينظرون اليه ، وأقبل يسير حتى نزل على أبي قيس كلثوم بن الهدم من بني عمر ابن عوف عن الصحيح .

قال وأقام ﷺ في بني عمر بن عوف الإثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء ، والخميس ؛ ثم خرج يوم الجمعة على الصحيح وأسس حينئذ مسجد « قبا » وآتاه عبدالله بن سلوم وأسلم مخيريق اليهودي .

ثم ركب ﷺ بأمر الله تعالى له وسار على ناقته والناس عن يمينه وشماله قد حشدوا ولبسوا السلاح وذلك ارتفاع النهار من يوم الجمعة فجعل كلما مر بقوم من الأنصار قالوا : هلم يا رسول الله الى القوة والمنعة والثروة فيقول لهم خيراً ، ويقول رسول الله ﷺ : دعوها (٣) فانها مأمورة ، وفي حديث إنها مأمورة خلوا سبيلها .

(١) أي حظكم :

(٢) أي شاع خبر وصوله ﷺ وقال القائل في المدينة جاء رسول الله ﷺ :

(٣) الضمير عائذ إلى الناقة .

فلما أتى مسجد بني سالم جمع بمن معه من المسلمين وهم آن ذاك
مائة رجل وخطبهم رسول الله ﷺ وهي أول جمعة أقامها رسول
الله ﷺ في الإسلام وأول خطبة خطبها .

قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بها هو أهله ثم قال : «أما بعد أيها
الناس تقدموا لأنفسكم لتعلمن والله ليضعفن أحدكم ثم ليدعن
عنه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب
يحميه دونه ألم يأتك رسولي فيبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك
فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن
قدامه فلا يرى غير جهنم ، من استطاع أن يقي وجهه من النار ولو
بشق من تمره فليفعل ومن لم يجد فكلمة طيبة ، فإن بها يجزى
الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله
ورحمة الله وبركاته» .

ثم ركب ناقته فلم تزل سائرة به وقد أرخى زمامها حتى
جاءت دار بني النجار ، موضع مسجده الآن ، فبركت ثم
نهضت وسارت قليلا ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها
الأول .

وقيل : ان جبار بن صمخر من بني سلمة وكان من صالحى
المؤمنين جعل ينخسها لتقوم منافسة لبني النجار أن ينزل رسول الله
ﷺ عندهم ، فلم تقم ، فنزل رسول الله ﷺ عنها .

وحمل أبو أيوب خالد بن النجار رضي الله عنه رحل
رسول الله ﷺ الى منزله ، وجاء أسعد ابن زرارة رضي الله
عنه فأخذ بزمام راحلة رسول الله ﷺ فكانت عنده .

وأول هدية أهدبت لرسول الله ﷺ قصعة مثرودة خبزاً
وسمناً ولبناً جاء بها زيد بن ثابت رضي الله عنه من عند
أمه ، فأكل رسول الله ﷺ منها وأصحابه .

ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة وفيها عراق لحم فأقام رسول
الله ﷺ في بيت أبي أيوب رضي الله عنه سبعة أشهر .

وما كانت تخطيه جفنة سعد بن عبادة وجفنة سعد بن زرارة كل
ليلة ، وجعل بنو النجار يتناوبون في حمل الطعام اليه ﷺ مدة
مقامه في منزل أبي أيوب .

ثم اشترى رسول الله ﷺ موضع مسجده وكان مربداً لسهل
وسهيل ابني عمر وكانا يتيمين في حجر أسعد ابن زرارة ، فبنى
رسول الله ﷺ مسجده المعروف الآن بالمدينة .

وبنى رسول الله ﷺ الحجر لأزواجه بجانب المسجد ، وجعلها
تسعاً بعضها مبني بحجار قد رصت ، وسقفها من جريد مطين
بطين ولكل بيت حجرة .

وكانت حجرته ﷺ أكسية من شعر مربوطة في خشب
عرعر وإلى ذلك أشار عليه السلام بقوله : ثم ابني الطهر
والأصحاب البيتين .

فصل

في بناء المسجد ومسكن الرسول (ص) وما كان فيه من المعجزات والكرامات

* (ثم ابني الطهرُ والأصحابُ مسجدهُ

كُلُّ لِقَصْدِ رِضَا الرَّحْمَنِ يَبْنِيهِ) * ٨١

٨١ * (كذا مساكنه من حوله بُنيت
وُضُمَّتْ لِأَخِيهِ أَي تَنْوِيهِ *)

وفي جامع الأصول عن أنس قال : «قدم رسول الله ﷺ المدينة
فتزل في علو المدينة في حي يقال لهم عمرو بن عوف فأقام فيهم
أربع عشرة ليلة ، ثم انه أرسل الى ملأ^(١) من بني النجار فجاءوا
متقلدين سيوفهم ، قال : فكأنني أنظر الى رسول الله ﷺ على
راحلته وأبو بكر ردفه ، وملؤ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء
أبي أيوب قال : فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي على
مرايض الغم » .

ثم انه أمر بالمسجد قال : فأرسل الى بني النجار فجاءوا فقال :
يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا ، قالوا : لا والله لا نطلب
ثمنه إلا الى الله عز وجل قال أنس : فكان فيه ما أقول ، فان فيه
نخل وقبور المشركين وخرب فأمر رسول الله ﷺ بالنخل
فقطع ؛ وقبور المشركين نبشت ، والخرب فسويت ، قال : وصفوا النخل
قبلة . وجعلوا عضادتيه حجارة ، قال : فكانوا يريحون ورسول
الله ﷺ معهم وهو يقول لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار
والمهاجرة » أخرجه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي .

قال الإمام يحيى شرف الدين غفر له السلام

(وضمنت لأخيه أي تنوية) أي الإرتفاع إشارة الى حديث أمر النبي ﷺ
بسد الأبواب الشارعة الى المسجد وترك باب علي كرم الله وجهه ، فان
الحديث قوي صحيح أخرجه أهل البيت وأشياعهم لا يعرفون سواه ،

(١) الملأ : الجماعة .

وأخرجه النسائي والحاكم من حديث ابن عباس، وسعد ابن ابي وقاص، وزيد ابن أرقم . وجابر بن سمرة . وفي بعضها أن النبي ﷺ قال : «ما أنا أمرت بسدها ولكن الله أمر بسدها»، حين تكلم أناس في ذلك . وفي رواية : «إني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته» اهـ .

عن زيد ابن أرقم قال : كانت لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد ، فقال يوماً «سدوا هذه الأبواب الا باب علي» قال : فتكلم في ذلك أناس ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله واثنى عليه . ثم قال : «أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب . فقال فيه قائلكم : والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته» ، رواه الحاكم في المستدرک .

* (وَأَظْهَرَتْ لِأَبِي الْيَقْظَانَ مَنْقِبَةً

وَأَيَّةٌ مِنْ عُلُومِ الْغَيْبِ تَعْلِيهِ) * ٨٢

عن أبي سعيد الخدري قال : كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فمر به ﷺ ومسح عن رأسه وقال : «ويح عمار يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار أعوذ بالله من الفتن» ، وفي رواية قال : « يقول عمار أعوذ بالله من الفتن» أخرجه البخاري . قال الحميدي : وفي هذا الحديث زيادة مشهورة لم يذكرها البخاري أصلاً . من طريق هذا الحديث ولعلها لم تقع إليه فيها ، او وقعت فحذفها ، لغرض قصده في ذلك ، وأخرجها أبو بكر رضي الله عنه وأبو بكر الاسماعيلي قبله ، وفي هذا الحديث عندهما ، ان رسول الله ﷺ قال : « ويح عمار تقتله الفئة

الباغية ، يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار» هكذا في جامع الأصول ، وفيه عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ لعمار «تقتلك الفئة الباغية» ، وفي رواية : تقتل عمار الفئة الباغية ، أخرجه مسلم ، وفيه أحاديث أخر ، وفي سيرة ابن هشام في حديث بناء المسجد ما لفظه : فدخل عمار ابن ياسر وقد اثقلوه باللبن ، فقال : يا رسول الله قتلوني ، يحملون علي ما لا يحملون ، قالت ام سلمة زوج النبي ﷺ : فرأيت النبي ﷺ ينفض وفرته بيده وكان رجلا جهداً ، وهو يقول : «ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ، انما تقتلك الفئة الباغية» وأرتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيه قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها ، فلما أكثر ، ظن رجل ساءه ابن اسحق ^(١) من أصحاب رسول الله ﷺ انه إنما يعرض به ، فقال : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا بن سمية ، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك وبيده عصا فغضب رسول الله ﷺ .

ثم قال « ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي ، فاذا بلغ ذلك من الرجل لم يستبق فاجتنبوه » اهـ .

وروي ان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين كان كافاً عن القتال مع علي كرم الله وجهه فلما قتل عمار بصفين : مل سيفه وقال :

(١) ذكر السهيلي أنه عثمان بن عفان . والله أعلم .

حل لي القتال فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ومثل ذلك روي عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم وقد ذكر كثيراً من علماء الحديث وغيرهم ان قول النبي ﷺ لعمار : تقتلك الفئة الباغية : من الحديث المتواتر . قال المؤلف . الإمام عليه السلام وفيه برهان قاطع أن معاوية وأصحابه وأشكالهم من أهل النار ، خلاف ما عليه الأشعرية وغيرهم من أن أولئك وسائر المتأولين لهم أجر ، فان هذا الحديث يرد عليهم رداً قاطعاً مع غيره من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، مثل قوله تعالى (قاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) (إنا بغيكم على أنفسكم) وأحاديث معوية والخوارج وهم المتأولون حقيقة وأما معاوية وأصحابه فالسالم من عداوة النبي ﷺ وأهل بيته ، بل وغير السالم يعلم ضرورة أنهم غير متأولين بل طالبوا بملك باطل ، وظل حائل لا محالة ، كما نص عليه الإمام الحسن بن علي عليه السلام في خطبته يوم صلح معاوية .

ولقد ذهب عقل الذهبي حين ذكر قول النبي ﷺ بالحديث الصحيح « ويدعونه الى النار » فقال الذهبي هذا أمر معضل ولعل علياً رضي الله عنه ارسل عماراً الى الخوارج (١) ، فانظر كيف ضل عقل هذا الرجل بتصميمه على عقيدته المنحوسة ونحلته المنكوسة حتى قال : لعل علياً أرسله الى الخوارج .

وأين الخوارج من قتل عمار فانهم ظهروا بعد انقضاء صفين .

(١) في حاشية على الأصل قال : حديث « تقتلك الفئة الباغية » متواتر ، وتأويل الذهبي باطل ، تمت .

فيا لله وللمسلمين من هؤلاء المصممين على مصادمة البراهين اهـ .
العجب كل العجب ممن يتولى الفئة القاتلة له . أي لعمار ويرضى
عنهم مع غلمه بذلك نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

فصل

في المؤاخاة بين أعيان لمسلمين

٨٣ * (وَحِينَ آخَى رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْثِ
إِسْلَامَ قَالَ عَلِيٌّ ذُو أَوْأَخِيهِ) *

قد تقدم ذكر حديث المؤاخاة .

عن ابن عمر قال: «لما آخى رسول الله ص بين أصحابه جاءه علي
تدمع عيناه فقال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم توآخي
بيني وبين أحد . قال فسمعت رسول الله ﷺ يقول :
أنت أخي في الدنيا والآخرة » أخرجه الترمذي . قال في الإمتاع
آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار فكانوا يتوارثون هذا
الأخاء في ابتداء الاسلام إراثاً مقدماً على القرابة وكان الذين اخا
بينهم تسعين رجلاً . خمسة واربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين
من الأنصار . ويقال خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء .
ويقال انه لم يبق من المهاجرين أحداً إلا آخى بينه وبين أنصاري .
وكانت المؤاخات بعد مقدمه بخمسة أشهر وقيل بثمانية أشهر ثم
نسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر .

وقوله: علي ذو أو أخيه، مبتدأ وخبر وذو هي الطائفة التي هي
معنى الذي . أي قال رسول الله ﷺ : علي الذي أو أخيه وفي
سيرة ابن هشام في حديث المؤاخاة عن النبي ﷺ ما لفظه قال :
« تأخو في الله اخوين اخوين ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي

الله عنه فقال : هذا أخي « فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين ،
وامام المتقين . ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا
نظير من العباد- ويروى خطر والخطر والخطير^(١) المثل في العلو ،
ذكره في القاموس- وعلي رضي الله عنه^(٢) أخوين بعد الهجرة غالباً^(٣) .

فصل في الوفود

* (وَمَا اطمَآنتُ بخَيْرِ الرُّسُلِ هِجْرَتُهُ)

إِلَّا وَكَّرْتُ وَفُودَ الْخَلْقِ تَأْتِيهِ) * ١٦

* (جَنُّ وَإِنْسُ وَأَهْلُ الْكُتُبِ قَاطِبَةً)

هَذَا يَقُوزُ وَذَا الشَّيْطَانُ يُغْوِيهِ) * ١٧

قال الامام عليه السلام : كان حال إنشاء هذه الوسيلة
المباركة وعلى ذهني انه تكرر وفود الجن على رسول الله ﷺ
بد الهجرة وعزب عني حال وضع التراجم ، فجعلت لفظ غالباً
في الترجمة فوقع البحث فوجدت ما كان علي ذهني في كتاب
شرح الهداية للحنفية ثم في حياة الحيوان ثم في فتح الباري شرح
البخاري ووسع فيه القول فتحتم ترك لفظة «غالباً» وصح العموم
إشارة إلى ما كان من الوفود قبل الهجرة .

وأما وفد الجن فعن علقمة قال : قلت لابن مسعود ، هل صحب
النبي ص ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحب منا أحداً ولكننا كنا

(١) في المختار خطير أي له قدر وخطر .

(٢) قوله وعليّ معطوف على قوله قبل ذلك : فكان رسول الله .

(٣) قوله «غالباً» لعله احتراز من المدة التي قبل المؤاخاة بعد الهجرة .

مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال : فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم : قال : أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم اوفر ما يكون لحماً وكل بكرة علف لدوابكم . فقال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بها فانها طعام اخوالكم ، وفي رواية بعد قوله : وآثار نيرانهم ، قال الشعبي : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة ، الى آخر الحديث هذه رواية مسلم وللترمذي نحوها وفي هذا المعنى روايات وأحاديث أخر^(١) .

(١) في الرواية هذه اضطراب فقد روي عن ابن مسعود روايات مختلفة . وقد سرد السيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن ذكر رواية ابن عباس ثم سرد رواية علقمة هذه وقال : الرواية الأولى أوثق فنضرب عن هذه وأمثالها . قلت والرواية الأولى هي كما نقلها السيد قطب عن البيهقي بسند مرفوع الى ابن عباس أنه قال : ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم : انطلق رسول الله في طائفة عامدين الى سوق عكاظ . وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فقالوا : ما بكم فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا : ما حال عن خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الارض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله (ص) وهو بنحلة عامداً الى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلوة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا اليه فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا الى قومهم قالوا : « يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي الى الرشاد فآمنابه ولن نشرك بربنا أحداً » وأنزل الله على نبيه (قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن) وانما أوحى اليه قول الجن . ورواه البخاري عن مسدد بنحو هذا وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوادة بهذا النص . انتهى من ظلال القرآن .

وكان ممن على رسول الله ﷺ قبل الهجرة (الطفيل بن عمرو الدوسي)

قال ابن هشام وكان طفيل بن عمرو الدوس يتحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً لبيباً شاعراً شريفاً إلى آخر ما ذكر . وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله . ثم وفد عليه بعد الهجرة نصارى نجران ، وقد تقدم ذكر قصتهم .

ثم وفد عليه وفد ثقيف بعد مرجعه من غزوة تبوك ، فضرب لهم قبة في ناحية مسجده فأسلموا ، وكانوا سألوا رسول الله ﷺ ان يترك لهم طاغيتهم سنة فامتنع رسول الله ﷺ من ذلك ، وسألوه أن يعفهم من الصلاة وان لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنغف لكم منه وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا يا محمد فسئؤتيكها وان كانت دنائاً .

ولما أسلموا أمر عليهم رسول الله ﷺ عثمان بن ابي العاص الثقفي وهو من أصغرهم سنّاً لما رأى من حرصه على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن .

وحكى بن هشام .. عن ابن اسحق قال : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، هرعت اليه وفود العرب من كل جهة ثم ذكر وفد بني تميم ، وأنهم لما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن أخرج إلينا يا محمداً ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم إلى آخر القصة .

قال بن اسحق : ونزل فيهم القرآن (إن الذين ينادونك من وراء
الحجرات أكثرهم لا يعقلون) .

وقدم على رسول الله ﷺ .. وفد بني عامر فيهم عامر بن
الطفيل وإربد بن قيس فقدم عامر بن الطفيل عدو الله تعالى على
رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه يا عامر
إن الناس قد أسلموا ؛ قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي
حتى تتبع العرب عقبي أفأنا أتبع عقب هذي الفتى من قريش ، ثم
قال لإربد : إن قدمنا على الرجل فأني سأشغل وجهه عنك فإذا
فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال
عامر بن الطفيل : يا محمد خالني ^(١) قال : لا والله حتى تؤمن بالله
وحده ، قال : يا محمد خالني ، قال : وجعل يكلمه وينتظر من
إربد ما كان أمر به . فجعل إربد لا يحيل شيئاً فلما رأى عامر ما
يصنع إربد قال : يا محمد خالني ، قال : لا حتى تؤمن بالله وحده
لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لا ملأناها
عليك خيلاً ورجالا . قال رسول الله ﷺ اللهم اكفني عامر
ابن الطفيل .

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل
لإربد : ويلك يا إربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان علي
وجه الأرض رجل أخوف عندي على نفسي منك . وأيم الله لا
أخافك بعد اليوم أبداً ، قال : لا أنا لك لا تعجل علي ، والله ما
هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيتي وبين الرجل حتى ما أرى

(١) أراد اجتمع بي منفرداً .

غيرك أفأضربك بالسيف ؟ وخرجوا راجعين الى بلادهم (١) حتى اذا كان ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بني سلول فجعل يقول يا بني عامر أغدة كغدة البعير ؟ وقال البكر في بيت امرأة من بني سلول ويقال (٢) : أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية .

قال ابن اسحق قال ابن هشام : ثم خرج أصحابه حيث واروه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا ما ورائك يا إربد قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فارميه بالنبل حتى أقتله . فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل يتبعه فارسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فاحرقتها .

وقال ابن اسحق : وبعثت بنو سعد بن بكر رجلا يقال له ضمام بن ثعلبة الى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بغيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلا (جعداً) ذا غديرتين (٣) فاقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال ﷺ : أنا بن عبد المطلب ؛ قال : أمحمد ؟ قال : نعم ، قال : يا ابن عبد المطلب إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجدن علي في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي فاسأل عما بدا لك ، قال :

أنشدك إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ^{الله} الله أمرك

٧ بعثك البارئ
٧ قال اللهم نعم قال
٧ فأنشدك الله إلهك
٧ والله ما كان قبلك والله ما هو
٧ كائن بعدك والله ما هم السيرة

(١) أي وفد بني عامر وهم عامر بن الطفيل وجماعته .

(٢) أي وفي رواية أنه قال :

(٣) الغديرة واحدة الغدير وهي الذوائب .

أن تأمرنا ان نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وان نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه قال : اللهم نعم ؛ قال : فانشدك الله الهلك واله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : نعم ؛ ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة فريضة ، الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام ينشده عن كل فريضة كما ينشده في التي قبلها حتى إذا فرغ قال : فاني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ وسأودي هذه الفرائض واجتنب ما نهى عنه ثم لا أزيد ولا أنقص ثم انصرف الى بعيه راجعاً .

قال رسول الله ﷺ ان صدق ذو العقيصتين ^(١) دخل الجنة ، قال : فاتى بعيه فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بثست اللات والعزى ، قالوا له : يا ضمام إيتق البرص ، اتق الجدام ، إيتق الجنون ، قال : ويلكم انهما لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً استنقذكم فيه مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ؛ قال فوالله ما امسى ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة الا مسلماً قال : يقول ابن عباس فما سمعنا بوافد كان أفضل من ضمام بن ثعلبة قال ابن اسحق :

وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو أخو عبد القيس وكان نصرانياً فلما انتهى الى رسول الله ﷺ كلمة ؛ فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه ورغبه فيه ، فقال : يا محمد إني كنت على

(١) العقيصه هي الضفيرة .

دين وإني تارك ديني ، افتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ
نعم أنا ضامن أن قد هدأك الله الى ما هو خير منه ، قال : فأسلم
وأسلم أصحابه .

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن
حبیب الكذاب . قال ابن اسحق : فحدثني بعض علمائنا ان بني
حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ورسول الله ﷺ
جالس في أصحابه معه عسيب من سعف النخل في رأسه خوصات
فلما انتهى الى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله ،
فقال له رسول الله ﷺ لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك ،
قال ابن اسحق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة ان
حديثه كان على غير هدى ، وزعم أن وفد بني حنيفة اتوا رسول
الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحاهم فلما اسلموا ذكروا مكانه
فقالوا يا رسول الله إنا قد خلفنا لنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا
يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر للقوم ،
وقال : أما إنه ليس بشركم مكاناً أي لحفظه صنعة أصحابه ذلك
للذي يريد رسول الله ﷺ .

قال : ثم أنصرفوا من عند رسول الله ﷺ وجاءوا بها أعطاه
فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدعدو الله ، وتنبأ وتكذب لهم وقال : إني
قد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده الذي كان معه : ألم يقل
لكم حين ذكرتوني له أما أنه ليس بشركم مكاناً ما ذاك إلا لما
كان يعلمه أني قد أشركت في الأمر معه ثم جعل يسجع لهم السجعات
ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : لقد أنعم الله على الحبلى

أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشا ، واحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة .

وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي فأصفت معه (١) بنو حنيفة على ذلك والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن اسحق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طي فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما انتهوا إليه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام ، فأسلموا فحسن إسلامهم وقال ﷺ : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما يقال إلا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل الذي فيه ، ثم سمى رسول الله زيد الخير وقطع له فيدا أرض أو أرضين معه وكتب له بذلك ، الخير .

ووفد عليه ﷺ بعد ذلك عدي بن حاتم الطائي وكان فيما قال له رسول الله ﷺ لعلك يا عدي إن ما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم . فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك أن ما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم . وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة من القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ولعلك أنها يمنعك من الدخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم . وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أهل بابل فقد فتحت عليهم ، قال عدي فأسلمت ، فكان عدي يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة . والله لتكونن قد رأيت

(١) التصفيق هو الضرب باليد على اليد لسمع له صوت ، أراد أن بني حنيفة وافقوه على إدعائه النبوة وصدقوا كذبه .

القصور البيض من أرض بابل قد فتحت وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، والله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه . قال ابن هشام :

وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ الى أن قال : فاستعمله النبي ﷺ على مراد وزبيد ومذحج ^(١) كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ .

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معدي كرب الزبيدي في أناس من بني زبيد فأسلم الى ان قال : فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معدي كرب .

قلت : ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكانت له مواقف مشكورة مشهورة في قتال الفرس .

قال ابن اسحق : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كنده ^(٢) في ثمانين راكباً فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده قد رحلوا حممهم ، وتكحلوا ، عليهم جبب الحيرة قد كففوها بالحرير ، الخبر .

قلت : ثم ارتد الأشعث لما توفي رسول الله ﷺ فجيء به أسيراً الى أبي بكر رضي الله عنه فأسلم وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة .

(١) مراد وزبيد ومذحج ثلاث قبائل يمنية معروفة .

(٢) كنده قبيلة من قبائل اليمن المشهورة .

قال ابن اسحق : وقدم على رسول الله ﷺ صرّاد ابن عبد الله الأزدي في وفد من الأزد (١) فحسن إسلامه فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش وهي يومئذ مينة مغلقة ، فحاصرها قريباً من شهر فامتنعوا منه فرجع عنهم قافلاً حتى انتهى الى جبل لهم يقال له شكر (٢) فظنوا انه ولي منهم منهزماً فخرجوا في طلبه فعطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً ، وقد كانوا ارسلوا رجلين منهم يرتادان لهم وينظران ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر اذ قال رسول الله ﷺ : بأي بلاد الله شكر ؟ فقام الجرشيان : فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال : انه ليس بكشر ولكنه شكر ، قالا : فما شأنه يا رسول الله فقال : ان بدن الله لتنحر عنده الآن فجلس الرجلان الى أبي بكر أو الى عثمان فقال لهما : ويحكمنا إن رسول الله ﷺ لينع قومكما فقوموا الى رسول الله ﷺ فأسألاه أن يدعو الله تعالى أن يرفع عن قومكما . فقاما اليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنها فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد اصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ والساعة التي ذكر فيها ما ذكر . فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ .

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير : مرجعه من تبوك مع رسولهم اليه بإسلامهم الخبر .

(١) الأزد قبيلة من قبائل اليمن .

(٢) سيأتي تفسيره انه كثر جبل من جبال اليمن ويقع في الجنوب الغربي منه .

قال ابن اسحق : وبعث فروة بن عمر الحدائي الى رسول الله ﷺ باسلامه واهدى إليه بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب فلما بلغ ذلك الى الروم طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم ثم ضربوا عنقه وصلبوه ، الخبر .

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب بنجران فأسلموا ووفد معه وفدهم الى رسول الله ﷺ الخبر .

وقدم على رسول الله ﷺ وفد من مخلاف خارف ، ويام ، وشاكر ،^(١) الخبر .

هذه نبذة مختصرة من أخبار الوفود اه .

فصل

في المغازي والبعوث وذكر بعض ما اشتملت عليه من المعجزات

* (وَكَانَ مِنْهُ الْمَغَازِي وَالْبُعُوثُ إِلَى

نَيْفٍ وَسَبْعِينَ مِمَّا النَّقْلُ يُنْمِيهِ) * ٨٦

* فِي كُلِّ ذَلِكَ آيَاتٌ مُبَيَّنَّةٌ

إِلَى الْأَلُوفِ كَمَا يَرَوِيهِ رَاوِيهِ) * ٨٧

قال الإمام عليه السلام : النيف بتشديد الياء وتخفيفها الزيادة وما زاد على للعقد ، وقوله الى نيف وسبعين هو قول (١) خارف . ويام . وشاكر . قبائل في اليمن معروفة بهذه الأسماء حتى اليوم .

الليث بن سعد ومحمد بن نصر المروزي قالاً : عددنا غزواته وسرياته ﷺ اثنتان وسبعون ، وقال ابن مسعود ثلاث وثمانون ا.هـ. (١) .

لما استقر رسول الله ﷺ في المدينة وكان الله عز وجل قد أذن للمسلمين في الجهاد ، بقوله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) فلما صاروا الى المدينة وصارت لهم شوكة وعضد ، كتب عليهم الجهاد بقوله تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) الآية .

وكان أول لواء عقده .. رسول الله ﷺ لواءاً أيضاً على رأس سبعة أشهر من مقدمه المدينة لعمه حمزة رضي الله عنه على رأس ثلاثين ركباً شطرهم من المهاجرين وشطرهم من الأنصار ، وقيل كلهم من المهاجرين الى ساحل البحرين ، ناحية العيص يعترضون عيرات جاءت من الشام لقريش فيها أبو جهل في ثلاثمائة ركب ، فالتقوا وصفوا للقتال ، فمشى بينهم مجدي بن عمرو حتى انصرفوا من غير قتال .

بجدي

ثم عقد .. رسول الله ﷺ لواءاً أيضاً لعبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب في شهر شوال على رأس ثمانية أشهر فخرج في

(١) تروى في حصر الغزوات هذه الأبيات للسيد محمد بن اسماعيل الامير ، رحمه الله غزى المصطفى سبعاً وعشرين غزوة وقاتل في تسع فأولها (بدر) و (أحد) (حنين) و (المريسيع) (خيبر) (قريظة) و (الاحزاب) (فتح) به النصر وذو (قرد) قد جاء في النظم تاسعاً وليس على الترتيب كان لها الذكر وقد قتل المختار فيها بنفسه أياً بأحد حين أودى به الكفر

ستين راکباً من المهاجرين فلقى مائتي راکب من قريش على ما يقال له «أحياء» في بطن رابغ وكان أول من رمى بسهم في الإسلام سعد ابن أبي وقاص ترس عنه أصحابه حتى رمى المشركين بجميع ما في كنانته ، ما منها سهم إلا يعرج إنساناً أو دابة .

ولم يكن بينهم قتال غير ذلك ، ثم انصرف الفريقان .

ثم عقد ﷺ .. لواءاً لسعد بن أبي وقاص في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين أو أحد وعشرين رجلاً من المهاجرين على أقدامهم ، فكانوا يكمنون النهار ويسرون الليل حتى بلغوا الحراد من الجحفة من خم يريدون عيراً لقريش ففاتتهم .

ثم غزا رسول الله ﷺ .. غزوة ودان وهو جبل بين مكة والمدينة وبينه وبين الأبواء ستة أميال ، فلذلك قد يقال غزوة الأبواء وذلك في شهر صفر على رأس أحد عشر شهراً للهجرة . يعترض عيراً لقريش فلم يلق كيداً .

ثم كانت غزوة بواط .. من ناحية رضواء في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً يعترض عيراً لقريش وخرج معه مئتان من أصحابه ، فلم يلق كيداً .

ثم خرج ﷺ في هذا الشهر في طلب كرز بن جابر الفهري وقد أغار على شرج المدينة حتى بلغ سقوان من ناحية بدر ولم يدرك وهذه غزوة بدر الأولى .

ثم كانت غزوة العُشيرة ... في جمادى الآخرة وقيل الأولى على رأس ستة عشر شهراً خرج ﷺ يعترض عيراً لقريش حين أبدت إلى الشام ومعه خمسون ومائة رجل وقيل مئتان يتعقبون

ثلاثين بغيراً فبلغ العشيرة من بطن بنبع ، فأقام بقية الشهر وليالي بعده ولم يلق كيداً ، وهذه العير هي التي خرج في طلبها ﷺ لما عادت من الشام فكانت وقعة بدر الكبرى .

وفي هذه الغزوة كنى الرسول ﷺ علياً بن أبي طالب عليه السلام «أبا تراب» حين مر عليه وهونائهم وقد سفت عليه الريح التراب ، فجعل ﷺ يمسحه عن جنبه ويقول : « قم أبا تراب ، قم أبا تراب ، الا أخبرك بأشقى الناس أجمعين ، عاقر الناقة والذي يضربك على هذا فيخضب هذه» يعني على رأسك فيخضب لحيتك بدمك . الخبر .

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن جحش الأسدي في ثمانية أنفار من المهاجرين وقيل اثني عشر ، وكتب له كتاباً وقال له : اذا سرت ليلتين ، فانشر كتابي ثم امض لما فيه ، قال : الى أين يا رسول الله ؟ قال : أسلك النجدية تؤم بكة فانطلق عبد الله وسار ليلتين ثم نشر الكتاب ، فاذا فيه «سرحتي تأتي بطن نخلة على اسم الله تعالى ولا تكرهن احداً من أصحابك على المسير معك ، وامض فيمن يتبعك» (١) ، فلما قرأ الكتاب عليهم ، قالوا نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ، فسار حتى جاء بطن نخله عليهم ، فوجد عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ونفر معه وذلك آخر يوم من شهر رجب وأول يوم من شعبان ، فقتلوا ابن الحضرمي واستاقوا العير وأسروا رجلين من قريش .

(١) وفي رواية أخرى ان نص الكتاب هو : « اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة (بين مكة والطائف) فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارها » ٥١ .

فقلت قر يش لقد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ،
فأوقف ﷺ العير ولم يأخذ منها شيئاً وحبس الأسيرين وقال :
ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام حتى نزل قوله تعالى : (يسألونك
عن الشهر الحرام قتال فيه) الآية . فقسمها رسول الله ﷺ
بينهم . وكان عبد الله بن جحش قد عزل الخمس لرسول الله
ﷺ فكان أول خمس خمس . وأول غنيمة . وأول قتيل ،
وأول أسير أسر في الإسلام .

ثم كانت غزوة بدر الكبرى (١) . . في شهر رمضان
بعد تسعة عشر شهراً من مهاجرة الرسول ﷺ وهي الواقعة العظيمة
التي فرق الله بها بين الحق والباطل . وأعز الإسلام ، ووضع
الكفر ، وظهرت فيها الآيات الكثيرة . والبراهين الكبيرة كتحقيق
الله سبحانه وتعالى ما وعدهم من إحدى الطائفتين ، وما أخبرهم
به من ميلهم الى العير دون الجيش . وحصول المطر عند الالتقاء ،
وكان على المسلمين نعمة وقوة وعلى الكفار بلاءً ونقمة من
السما حتى سمعوا أصواتهم ورأوا من رأوه منهم ، ورمى ﷺ
المشركين بالحصى والتراب حتى اعمت رميته الجميع ، وتقليل
الله المشركين في عيون المسلمين ، ليزيل عنهم الخوف ،
وليشجعهم على القتال ، وأشار ﷺ الى مصارع المشركين بقوله :
هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فكان كما قال ﷺ .

(١) يقال بدر : اسم رجل كان حفر بيراً فيها فسميت المنطقة باسمه .
ويروى ان سورة (الأنفال) بأسرها نزلت في غزوة (بدر) والأنفال هي الغنائم
ومن ذلك قول أوس بن حجر .

نكصم على أعقابكم يوم جنتم وترجون أنفال الخميس العرمم

واخبر ﷺ العباس بما استودع أم الفضل من الذهب وتحقيق الله وعده لمن أسلم من الأسرى بقوله (ان يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً) الآية . فأعطى العباس مكان عشرين أوقية افتدى بها نفسه ، وعقيلاً عشرين غلاماً يتجرون في ماله ، واطلاعه ﷺ على إثممار عمير بن وهب وصفوان ابن أمية على العمل به ﷺ وكان ذلك سبب اسلام عمير إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات .

وكان من حديث غزوة بدر .. أن رسول الله ﷺ لما تحين انصراف العير التي خرج من أجلها إلى العشيرة . وإقبالها من الشام ، ندب أصحابه للخروج إلى العير وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض . ولم يحتفل لها احتفالاً كثيراً فخرج ﷺ في ستة وثمانين رجلاً من المهاجرين ومائتين وسبعة وعشرين من الأنصار ؛ وقيل غير ذلك وكانت إبلهم سبعين بعيراً يعتقبونها وكان معهم فرسان احدهما للمقداد بن الأسود والاخرى لمرثد بن أبي مرثد الغنوي وقيل للزبير بن العوام .

وكانت العير التي خرجوا لها ألف بعير فيها أموال عظيمة لقريش يقال ان فيها خمسين الف مثقال وكان فيها ثلاثون رجلاً من قريش منهم أبو سفيان ابن حرب وعمرو بن العاصي ، فلما بلغهم خروج رسول الله ﷺ بعثوا رجلاً يقال له ضمضم ليخبر قريشاً ويستفزهم فلم يرع أهل مكة الا هجوم ضمضم عليهم يقول : يا معشر قريش يا آل لؤي ابن غالب . اللطيمة ، قد اعترض لها محمد في أصحابه الغوث الغوث والله ما أرى أن تدركوها . وقد جذع أذني بعيره ، وشق قميصه ، وحول رحله .

فلم تملك قريش من أمرها شيئاً حتى نفروا على النصب والذلول
وتجهزوا في ثلاثة أيام ، وقيل في يومين وأعان قوتهم ضعيفهم .
ورأى ضمضم أن وادي مكة يسيل دماً من أسفله وأعلاه .

ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم بثلاث أن
راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح فصرخ بأعلى صوته :
ألا انفذوا يا غدر لمصارعكم في ثلاث قال فاري الناس اجتمعوا
إليه ، ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس (١) ،
فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا
كانت أسفل الجبل ارفضت . فما بقي بيت من بيوت مكة ولا
دار إلا دخله منها فلقة فبلغت رؤياها أبو جهل فقال للعباس : يا بني
عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية . أما رضيتم أن تتنبأ
رجالكم حتى تنبأ لنسائكم : سنتربص بكم هذه الثلاث فإن كان
حقاً ما تقول فسيكون . وإن تمض الثلاث ولم يكن شيء من
ذلك نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب بيت في العرب .
فقدم ضمضم في اليوم الثالث فصرخ في بطن الوادي وهو
واقف على بعيره قد جدع بعيراً له وحول رحله وشق قميصه وهو
يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد
عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث اه
من سيرة ابن هشام .

وأقبل أبو سفيان بالبعير وهو خائف من الرصد ، فترك بدرأ
يساراً وانطلق سريعاً وأقبلت قريش وهم تسعمائة وخمسون مقاتلاً
معهم مائة فرس عليها مائة دراع سوى درع المشاة وابلهم سبعمائة

(١) اسم للجبل المطل على مكة وقد سمي باسم رجل هلك فيه واسمه قُبَيْس .

بعير فلما بلغوا الجحفة رأى جهيم بن الصلب المطلبي في منامه أن رجلاً أقبل على فرسه معه بعير حتى وقف عليه فقال: قتل عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وربيعة بن الأسود ، وأمية بن خلف ، وأبو البحتري بن هشام ، وأبو الحكم ابن هشام في رجال سماهم : وأسر سهيل بن عمرو وفر الحرث بن هشام . وقائل يقول : والله اني لأضنكم تخرجون الى مصارعكم ، ثم رأى كأنه ضرب لبة بعيره فأرسله في العسكر ، فما بقي جنباً من أجنبة العسكر إلا أصابه بعض دمه ، فشاعت هذه الرؤيا في العسكر ، فقال أبو جهل : وهذا نبي آخر من بني عبد المطلب ، سيعلم غداً من المقتول : أنحن أم محمد وأصحابه .

وأرسل أبو سفيان الى قريش بأمرهم بالرجوع ويخبرهم: أن قد نجت عيرهم ، فلا تجزروا أنفسكم أهل يثرب ، فهموا بالرجوع فأبى ذلك أبو جهل ورجعت بنو زهرة ، وأقبل عليه السلام حتى نزل أدنى بدر .

فبعث علياً عليه السلام في نفر يتجسسون على الماء ، فوجدوا روايا قريش ، فأخذوا السقاة وأقبلوا بهم ورسول الله ﷺ يصلي فسألوهم عن العير فقالوا نحن سقاة قريش ، فضربوهم فقالوا نحن لأبي سفيان فأمسكوا عنهم ، فسلم رسول الله ﷺ وقال : ان صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم (١) .

ثم أقبل عليهم يسألهم ليخبروه من خرج من مكة وأخبروه أن قريشاً خلف هذا الكثيب فنهض ﷺ حتى نزل على كثيب بدر

(١) أراد (ص) الانكار عليهم موضحاً أنهم سقاة قريش .

وبعث الله السماء فأصاب ما لبد الأرض ، ولم يمنع من المسير وأصاب قريشاً من ذلك ما لم يقدرو أن يرتحلوا معه وانما بينهم فوز من رمل (١) .

وبني لرسول الله ﷺ على الكثيب عريش من جريد وقام سعد بن معاذ على بابه متوشحاً بالسيف ومشى ﷺ في موضع الوقعة وعرض على أصحابه مصارع رؤوس الكفر مصرعاً مصرعاً ، بقول هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا واحد منهم مصرعه الذي حد له رسول الله ﷺ .

وأصبح ﷺ بديريوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان فطلعت قريش وهو ﷺ يصف أصحابه وهاجت ريح شديدة ، ثم هبت ريح أشد منها ، ثم هبت ريح ثالثة أشد منها ، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في الف من الملائكة مع رسول الله ﷺ والثانية ميكائيل - عليه السلام - في الف ، والثالثة اسرافيل عليه السلام وكان الرجل يرى الملك على صورة الرجل يعرفه وهو يثبته ويقول : ما هم بشيء ، فكر عليهم .

وكان من دعائه ﷺ .. يومئذ أن قال : اللهم إنك أنزلت علي الكتاب وأمرتني بالقتال ووعدتني إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد ، اللهم ان هذه قريش قد أقبلت بخيلائها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم أحفهم الغداة (٢) .

وبعث قريش عمير بن وهب ليحزر المسلمين ، فقال : القوم ثلاثائة إن زادوا قليلا ، وإن نقصوا نقصوا قليلا ، معهم فرسان

(١) الفوز : المستدير من الرمل والكثيب المشرف تمت قاموس .

(٢) الإحفاء الإستقصى في الشيء وهو هنا بمعنى استقصي في أخذهم .

وسبعون راحلة ، ثم قال : يا معاشر قريش ، البلايا ^(١) تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناجع ، قوماً ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، يتلمظون تلمظ الأفاعي ، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجلاً ، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير العيش بعد ذلك .

ثم بعثوا آخر فقال نحو ذلك فمشي حكيم بن حزام في الناس ليرجعوا ، فوافقه عتبة ابن ربيعة ، وأبى أبوجهل ابن هشام . وحرش بين الناس حتى نشبت الحرب ودارت رحى الطعن والضرب ، وأنزل الله تعالى نصره على رسوله والمؤمنين ، فقتل سبعون وأسر سبعون من صناديد قريش ، كما هو مبسوط مفصل في كتب السيرة .

وعن سهيل بن عمرو قال: لقد رأيت يوم بدر رجلاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون وقال أبو أسيد الساعدي: لو كنت معكم ^(٢) الآن لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة .

وكان يحدث عن رجل من بني غفار حدثه ، قال : أقبلت أنا وابن عم لي يوم بدر حتى صعدنا على جبل ننتظر الواقعة على من تكون الدائرة ، إذ رأيت سحابة دنت منا . فسمعت حمحمة

(١) البلايا جمع بلية وهي العقيرة .. كانوا في الجاهلية اذا مات لهم من يعز عليهم أخذوا ناقةً ففعلوها عند قبره ولا تعلق ولا تسقى الى أن تموت وربما حفروا لها حفرة وتركوها فيها الى أن تموت وزعموا ان يوم القيامة يسير الناس ركباً على البلايا اذا عقلت مطاياهم عند قبورهم ، وهذا عند من كان منهم يؤمن بالبعث اهـ . نهاية .

(٢) أي في بدر . قلت : والروايات هذه قد نقلها المؤلف غير ملتزم بصحة ما ينقل كما قال في خطبة الكتاب ، والصحيح أن الملائكة لم تباشر القتال مطلقاً كما سيأتي .

الخبيل . وقعقة الحديد ، وسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم ،
فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات ، وأما أنا فتماسكت وقد
كدت أهلك ، وأتبع البصر حيث تذهب السحابة ، فجاءت الى
النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ثم رجعت وليس فيها شيء
مما كنت أسمع .

وروى أبو رهم الغفاري عن ابن عم له كذلك مع زيادة ،
وعن عبدالرحمن ابن عوف ؛ رأيت يوم بدر رجلين أحدهما عن
يمين النبي ﷺ والآخر عن يساره يقاتلان أشد القتال ، ثم يليهما
ثالث من خلفه ثم رابع أمامه .

وعن صهيب قال : كم يد مقطوعة وضرية جائفة لم تدم كلمها^(١)
يوم بدر قد رأيتها .

وعن أبي بردة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس
فوضعتها بين يدي رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أما
راسان فقتلتها وأما الثالث فأني رأيت رجلاً أبيضاً طويلاً ضربه
فتهداً^(٢) أمامه ، فأخذت رأسه ، فقال ﷺ : ذاك فلان من
الملائكة .

وكان ابن عباس يقول : لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر^(٣) ، ولما

(١) الكلبي لم يجرح .

(٢) تهداً أي انكسر وتضعضع ، أو تهداً من هدة إذا خضع وسكن .

(٣) الصحيح أنه لم يكن من الملائكة قتال في يوم بدر والرواية هذه فيها نظر
وقد ثبت ان الذي وقع من الملائكة هو التشييت بدليل قوله تعالى (إذ يوحى ربك
إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب)
الى آخر الآية في سورة الأنفال وقوله تعالى : (لقد كان لكم آية في فتنتين التقتا فنه
تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) . فتأمل .

التحم القتال كان رسول الله ﷺ رافعاً يديه يسأل الله النصر ، وما وعده ، وأمر ﷺ فأخذ من الحصى كفاً فرماهم بها وقال : شامت الوجوه (١) ، اللهم ارفع قلوبهم ، وزلزل أقدامهم ، فانهزم أعداء الله لا يلوون على شيء وألقوا دروعهم والمسلمون يقتلون ويأسرون ، وما بقي منهم أحد إلا امتلاً وجهه وعينه ، ما يدري أين يكون ، وذلك قول الله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

وانقطع سيف عكاشة بن محصن فأعطاه رسول الله عوداً ، فاذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتل به حتى هزم الله المشركين ، فلم يزل عنده حتى هلك .

وانكسر سيف سلمة بن أسلم فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين بن طاب ، فقال : اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم خيبر .

ولما أسر سهيل بن عمرو . قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله انزع ثنيته ، يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقال رسول الله ﷺ : لا أمثل به ، فيمثل الله بي وان كنت نبياً ، ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه ، فقام سهيل لما أتاه وفاة رسول الله ﷺ وهو بمكة بخطبة أبي بكر في المدينة كأنه كان يسمعها ، فقال عمر : أشهد انك رسول الله ، يريد قول النبي ﷺ لعله يقوم مقاماً لا تكرهه .

وكان علي رضي الله عنه يقول : أتى جبريل الى النبي ﷺ يوم بدر فخيره في الأسرى بين أن يضرب أعناقهم أو يأخذ منهم الفداء ويستشهد من أصحابه في قابل عدتهم ، فدعا رسول

(١) شامت الوجوه : قبحت ، وشوهه الله أي قبح وجهه .

الله أصحابه فقال لهم ما أعلمه جبريل عليه السلام ، فقالوا : بل نأخذ الفدية نستعين بها ويستشهدنا فندخل الجنة ، فقبل منهم الفداء ، وقتل منهم عدتهم بأحد .

وروي أن صفوان ابن أمية ، جعل لعمير بن وهب الجمع ان قتل رسول الله ﷺ ان يتحمل بدينه ، ويقوم بعياله ، وحمله على بعير وجهزه ، فقدم عمير المدينة ، ودخل المسجد متقلداً سيفه ، يريد رسول الله ﷺ فأدخله عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ما أقدمك يا عمير ؟ قال : قدمت في أسير عندكم تفادونا فيه ، فقال ﷺ : ما بال السيف في عنقك ؟ فقال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت من شيء ، إنما نسيت حين نزلت ، فقال ﷺ : أصدقني ، ما أقدمك ؟ قال : ما قدمت الا في أسير .

قال ﷺ : فما شرطت لصفوان ابن أمية في الحجر ففرع عمير وقال : ماذا شرطت له ؟ قال ﷺ : تحملت له تقتلني على أن يقضي دينك ، ويعول عيالك ، والله عز وجل حائل بينك وبين ذلك ، فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، وأنتك صادق ، وأسلم .

فقال رسول الله ﷺ : علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره ، فعاد عمير الى مكة يدعو الناس الى دين الإسلام ، فأسلم معه بشر كثير .

ويروى أن العباس لما أسر يوم بدر ، قال ﷺ : أفد نفسك وإني أخوك عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحرث ، فقال : يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت ، فقال له : أين الذهب

للذي دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها : لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا .

فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ، ولعبيد الله ، والفضل ، فقال العباس : ما يدريك ؟ قال : أخبرني به ربي ، فقال العباس : فانا أشهد أنك صادق ، وأن لا اله الا الله ، وأنت عبده ورسوله ، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ، الخبر ، وهو مشهور .

وكانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد ، تحت يزيد بن زبير بن العبد المذنب وهو يدري
بن زيد الخطمي ، وكانت تؤذي رسول الله ﷺ وتغيب ^{الريدي والي المدينة} الإسلام ، وتحرض على النبي ﷺ ، وقالت في ذلك شعراً ، فنذر عمير بن عوف الخطمي ، لئن رجع رسول الله ﷺ من بدر الى المدينة ليقتلنها ، فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر جاءها عمير ليلاً حتى دخل بيتها ، فوضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها .

وأتى فصلى الصبح مع النبي ﷺ فلما انصرف نظر اليه وقال : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يا رسول الله ، فقال ﷺ : لا ينتطح فيها عنزان وقال ﷺ : اذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله ، بظهر الغيب فانظروا الى عمير بن عوف ، وكان قتلها لخمس بقين من شهر رمضان ، مرجع النبي ، ص " ١١ " .

(١) في رواية الاستاذ محمد حسنين هيكل في (حياة محمد) : تمتة لهذا الحديث وذلك أنه قال : ورجع عمير من عند النبي بعد أن أخبره الخبر فوجد بنيها في جماعة يدفنونها . فاقبلوا عليه فقالوا : يا عمير أنت قتلتها ؟ قال : نعم (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) فوالذي نفسي بيده لو قلم بأجمعكم ما قالت لضربكم بسيفي حتى أموت أو أقتلكم . » وقد كان من أثر جرأة عمير أن ظهر الإسلام في بني خزيمة فأظهر منهم من كان يخفي إسلامه وانضم إلى صف المسلمين وسار معهم ، تمت .

ثم كان قتل ابي عفك في شوال ، على رأس عشرين شهراً من الهجرة . وكان شيخاً من بني عمرو بن عوف ، قد بلغ عشرين ومائة سنة ، وكان يحرض على عداوة رسول الله ﷺ ولم يدخل في الإسلام ، وقال شعراً ، فنذر سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف ليقتله ، أو يموت دونه ، وطلب له غرة حتى كانت ليلة صائفة (١) ، فاقبل سالم فوضع السيف على كبده فقتله .

وفي سيرة ابن هشام ، أن قتل أبي عفك كان قبل قتل عصماء وأن رسول الله ﷺ حين بلغه شعر عصماء نام بالعباء وقال : ألا آخذ لي من ابنة مروان ، فقتلها عمير ليلاً والله أعلم .

ثم كان .. إجلاء بني قينقاع من يهود المدينة ، وهم قوم عبد الله بن سلام ، وكانوا أول من نقض العهد من اليهود الذي كان عاهدهم رسول الله ﷺ .

فلما قدم ﷺ من بدر جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال : يا مغشر اليهود أسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فقالوا : يا محمد لا يغرنك أن لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب ، فانك إن قاتلتنا لتعلمن ، أنا أصحاب الحرب ، وأنتك لم تقاتل مثلنا ، ثم حدثت منهم أحداث ونبذوا العهد الى رسول الله ﷺ وحاربوا وتحصنوا ، فسار اليهم رسول الله يوم السبت ، للنصف من شوال فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه ، فأمر بهم فربطوا ثم خلا عنهم بشفاعة عبد الله بن أبي بن سلول ، وأمرهم أن يجلو

(١) أي حارة وكان أبو عفك نائماً بفناء داره .

عن المدينة فأجلاهم ، وقبض أموالهم ، وخرجوا بعد ثلاثين الى
أذرعات من أرض الشام ، فلم يلبثوا حتى هلكوا وكانوا سبعمائة
مقاتل ، منهم ثلاث مائة دراع .

وقد حصل أمر إجلاء بني قينقاع بعد غزوة ذي قرد وغزوة
السويق ، وغزوة ذي أمر .

ثم .. غزوة السويق ، ذلك ان المشركين لما رجعوا الى مكة عائدين
من بدر ، حرم أبو سفيان بن حرب الدهن حتى يثار من محمد
وأصحابه بمن أصيب من قومه ، فخرج في مائتي راكب ، وقيل
في أربعين راكباً ، فجاء بني النضير في ناحية المدينة ليلاً فدخل
على سلام بن مشكم النضيري فسقاه خمرأً وأخبره من أخبار النبي
ﷺ ، ثم خرج سحرأً فوجد رجلاً من الأنصار في حرث له ،
ومعه أجير له ، فقتلها ، وحرق بيتين بالعريض وحرثأً ، وذهب .

فخرج ﷺ بمن معه في أثره وجعل أبو سفيان وأصحابه
يقولون : حرب السويق ، وهي عامة أزوادهم يتخفون بها خوفاً من
الطلب ، وجعل المسلمون يأخذونها ، فسميت غزوة السويق ،
ولم يدركهم رسول الله ﷺ .

ثم كانت .. غزوة قرارة الكدر على قول الواقدي للنصف
من المحرم على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة ، وقيل غير ذلك ،
وذلك أنه بلغ النبي ﷺ أن في قرارة الكدر جمعاً من غطفان ،
وبني سليم فخرج اليهم فلم يجد من الرجال أحداً . وظفر بنعم
لهم كانت خمسة ، فقدم ﷺ بها المدينة ، وأصاب يساراً غلاماً
وهو غلام من رعائهم فأعتقه ﷺ .

ثم كان قتل كعب ابن الأشرف اليهودي وهو قرظي .. وكان حليفاً لبني قريظة ، وأمه من بني النضير . وكان عدواً لله ورسوله يهجو النبي ﷺ وأصحابه ويحرض عليهم المشركين ، فقال رسول الله ﷺ : من لي بابن الأشرف فقال محمد بن مسلمة الأنصاري : أنا له يا رسول الله . ثم انتدب لذلك معه نفر من الأوس ، منهم أبو نائلة وكان أخا كعب من الرضاعة ، فأتاه وشكى إليه واحتال عليه حتى قتلوه ليلاً . الخبر .

ثم كانت غزوة ذي أمر بنجد ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان ومحارب بذي أمر يريدون أن يصيبوا من أطرافه ﷺ فخرج في أربعمائة وخمسين رجلاً معهم عدة افراس ، فسار اليهم فهربوا الى رؤوس الجبال .

وفي هذه الغزوة كانت قصة دعثور المحاربي ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان مضطجعا في هذه الغزوة تحت شجرة ، وأصحابه متفرقون عنه . فقام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال : يا محمد من يمنعك مني ؟ فقال : الله ؛ فوقع السيف من يده فأخذه النبي ﷺ . وروي أنه أسلم يومئذ . وقد رويت قصته هذه بعبارات تزيد وتنقص والله أعلم بالصواب .

ثم كانت غزوة .. بني سليم ^(١) ابن منصور يبجران بضمة الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة من ناحية الفرع بضمه الفا ، خرج ﷺ في ثلاث مائة رجل ولم يظهر وجهاً وأعد السير حتى بلغ بحران فلم يجد به أحداً ورجع ﷺ ولم يجد كيداً .

ثم كانت سرية زيد بن حارثة .. الى الفروة بالفاء وقيل

(١) بني سليم في نجران .

بالقاف ، وهي من مياه نجد ، وذلك أن صفوان بن أمية خرج يريد الشام بتجارة فيها أموال لقريش فنكب عن الطريق ، وسلك طريق العراق ، خوفاً من رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث زيد بن حارثة في مائة راكب ، فأصابوا العير ، وأفلت أعيان القوم ، فقدموا بالعير على رسول الله ﷺ فخمس الغنيمة رسول الله ﷺ وقسم ما بقي بين الغانمين ، فبلغ الخمس عشرين ألف درهم .

ثم كانت غزوة أحد^(١) .. في شوال على رأس اثنين وثلاثين من الهجرة ، امتحن الله فيها عباده المؤمنين ، وميز بها بين المنافقين والمخلصين .

وكان فيها من دلائل النبوة تحقيق قول النبي ﷺ لأبي بن خلف « أنا اقتلك إن شاء الله » ورد عين قتادة ابن النعمان الى موضعها ، بعد سقوطها ، واخباره ﷺ بغسل الملائكة لحنظلة ابن أبي عامر بعد قتله ، فأخبرت امرأته انه خرج الى الحرب جنبا لما سمع الهيعة^(٢) وما اعتري المؤمنين من النعاس في حال الخوف ، وقرب العدو ، وذلك خلاف ما جرت به العادة : الى غير ذلك من الآيات ، وكان من حديثها ان قريشاً ألبت العرب وجمعتها

(١) سمي (أحد) بهذا الاسم لانقطاعه وتوحده عن الجبال هنالك ، وفي الحديث الشريف (هذا الجبل يحبنا ونحبه) وللعلماء في معنى هذا الحديث أقوال منها أنه أراد أهل أحد وهم الأنصار ، ومنها أنه كان يبشره عند رويته اذا قدم من سفر بقربه من أهله وذلك فعل المحب ، ومنها أن المراد بذلك الحب الحقيقي وأنه وضع فيه الحب كما وضع التسييح في الجبال المسيحة مع داود وكما وضعت الخشية للحجارة ، وللسهيلي في أحد كلام كثير لا يسعه هذا المكان فالمراد الاختصار ، والله أعلم .

(٢) أي هبة القتال .

لحرب رسول الله ﷺ وخرجوا من مكة ومعهم الظعن وخمس عشرة امرأة يضربن الدفوف ويندبن قتلى بدر ، وساروا من مكة لخمس مضين من شوال في ثلاثة آلاف رجل ومائتي فرس ، وثلاثة آلاف بعير ومعهم سبعمائة درع . والنسوة المذكورات ، حتى نزلوا بظاهر المدينة يوم الاربعاء . فرعت إبلهم الزروع يوم الخميس ويوم الجمعة حتى لم يتركوا خضراء .

ورأى النبي ﷺ رؤيا : فقال : أيها الناس اني رأيت في منامي رؤيا ، رأيت كأنني في درع حصينة ، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقضم من عند ظبته ورأيت بقرأ تذبج ، ورأيت اني مردف كبشاً ، فقالوا : يا رسول الله : أولتها ؟ قال ﷺ : اما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، واما اقضام سيفي ، فرجل من أهل بيتي ، وأما البقر المذبحة ، فقتلى من أصحابي ، وأما أني مردف كبشاً فكبش الكتيبة ، نقتله إن شاء الله .

ثم استشار ﷺ الناس فأشار جمهورهم بالوقوف في المدينة ، وكان ذلك رأيهم ﷺ وقالت طائفة أخرج بنا يا رسول الله الى عدونا لئلا يظنوا أنا جبننا عنهم فيجربهم ذلك علينا ، ولم يزالوا رسول الله ﷺ حتى خرج بهم .

وكان المسلمون ألفاً ، فيهم مائة دراع ، ومعهم فرسان أحدها للنبي ﷺ والآخرى لأبي بردة ابن نيار . ومعهم مائة درع . ثم اعتزل عنه عبد الله ابن أبي سلول في ثلث العسكر .

ثم إنه صف أصحابه وجعل أحداً خلف ظهره وزحف المشركون ، وقد عهد ﷺ الى الرماة ألا يبرحوا من مكانهم ، ليحموا ظهور المسلمين بالنبل ، وشد المسلمون على كتائب المشركين فجعلوا يضربونهم حتى ولوا منهزمين لا يلوون على شيء ، وجعل المسلمون ينهبون عسكرهم .

فلما رأى الرماة ذلك ، انطلقوا للغنيمة ، وأخلوا بالمركز .
فخالت خيل المشركين من خلف المسلمين ^(١) ، فوضعوا السلاح
فيهم فاستشهد منهم من استشهد وتفرقوا في كل وجه ، وثبت مع
النبي ﷺ حماة الحقائق من المهاجرين والأنصار .

وقصد ابن قمية لعنه الله . رسول الله ﷺ ليقته ، فاعترض
دونه مصعب بن عمير رضي الله عنه فقتله .

وقصده غيره من المشركين فحماه الله عنهم ، وأعمى عنه
أبصارهم .

وأصابت عين قتادة ابن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فردها
ﷺ فعادت كما كانت .

وقاتل يومئذ بنفسه أشد القتال حتى كسرت رباعيته ،
وشجت وجنته ، فدخلت فيها حلق المغفر وضربه ابن قمية لعنه
الله على عاتقه .

ووقع في حفرة وعليه درعان ، فأخذ علي - عليه السلام - بيده
ورفعه طلحة من خلفه حتى استوى وجعل الدم يسيل حتى اخضلت
لحيته وهو يقول ﷺ كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبينهم . وهو
يدعوهم الى الله عز وجل . ونزع أبو عبيدة رضي الله عنه
بـحلقتين من وجه رسول الله ﷺ بشنيته . فوقعتا وسقط على
ظهره ^(٢) .

(١) وكانت حيلة دبرها خالد بن الوليد قبل إسلامه وكان معه جماعة من
المشركين .

(٢) قال في حياة محمد (ص) : وصاح صائح بالناس : أن محمداً قد قتل ،
فازدادت الفوضى وعظمت البلية واختلف المسلمون وكان هم كل مسلم أن ينجو
بنفسه إلا من عصم الله من أمثال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال : فأما =

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد « لا سيف إلا ذو الفقار . ولا فتى إلا علي » وأقبل يومئذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى دنا من رسول الله . وهو يقول : يا محمد لا نجوت ان نجوت . فتناول عليه السلام الحربة من الحرث ابن الصمة ، فطعنه بها في عنقه ، وهو على فرسه . فجعل يخور كما يخور الثور فاحتمله أصحابه وشغلهم ذلك عن طلب النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان علي كرم الله وجهه يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية وطلحة من ناحية ، وأبو دجاجة من ناحية ، وأعيان غيرهم وانفرد علي عليه السلام بفرقة فيهم عكرمة بن أبي جهل ، فدخل وسطهم بالسيف فجعل يضرب به وقد اشتملوا عليه حتى افضى إلى آخرهم ، ثم كر عليهم حتى رجع من حيث بدء ، وقتل حنظلة ابن أبي عامر الأنصاري رضي الله عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت الملائكة تغسله . قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا إليه . فإذا رأسه يقطر ماءً ، وأخبرت امرأته بعد ذلك أنه خرج وهو جنب لما سمع هبة القتال رضي الله عنه .

وقتل حمزة ابن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، رماه العبد ، وحشى ابن حرث بحربته ، فصلى عليه النبي اثنتين وسبعين

صلاة رضي الله عنه

وكان الذين قتلوا يومئذ من المسلمين ، اثنين وسبعين منهم أربعة

= الذين ظنوا أن محمداً قد مات ومن بينهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فانتحوا الجبل وألقوا بأيديهم حتى رآهم أنس بن النضر فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل القوم فقاتل قتالاً شديداً حتى إنه لم يقتل إلا بعد أن ضرب سبعين ضربة ولم يعرفه أحد إلا أخته عرفته من بنانه رضي الله عنه .

أو خمسة من قریش ، وسائرهم من الأنصار ، وقتل من المشركين أربعة وعشرون ، منهم أصحاب اللواء تسعة من بني عبد الدار ، ولما تحاجز الفريقان ، انصرف المشركون ، ورجع النبي ﷺ بأصحابه .

وأنزل الله تعالى في هذه الواقعة الآيات الكريمة ، من سورة آل عمران ، من قوله : (واذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) الآية ، وقص فيها عز وجل أحسن القصص وخير الكلام كلامه ولا معقب لحكمه .

ثم كانت .. غزوة حمراء الأسد ، وكان من حديثها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن المشركين يريدون الرجوع الى المدينة ، ليستأصلوا من بقي من المسلمين ، فأمر ﷺ بلالا فنادى في المسلمين أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس ، فخرجوا وبهم جراح عظيمة حتى بلغوا حمراء الأسد ، وهو موضع على ثمانية أميال ، أو تسعة أميال من المدينة . فعسكروا هنالك ، وبلغوا بذلك المشركين ، فقذف الله في قلوبهم الرعب . فرجعوا عما هموا به ، وانصرفوا خائبين ، وكفى الله المؤمنين ، وأنزل الله في ذلك : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) الآيات .

وعاد النبي ﷺ بأصحابه إلى المدينة بعد ثلاث . ثم كانت سرية أبي سلمة ابن عبد الأسد رضي الله عنه الى قطن من أرض نجد . وذلك في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة . وكان سببها انه بلغ النبي ﷺ أن طليحة الأسدي . قاصداً لرسول الله ﷺ في قومه ومن أطاعه فبعث رسول الله ﷺ أبا سلمة في خمسين ومائة رجل ، فساروا

حتى انتهوا الى قطن وهو جبل ، وقيل ماء فنذر بهم القوم فتفرقوا
وأصاب المسلمون نعماً وشاءاً فأخذوه وعادوا الى المدينة ^(١) .

ثم كانت غزوة بئر معونة .. وهي ماء لبني عامر ابن
صعصعة ، وقيل لبني سليم . وذلك في صفر على رأس ستة
وثلاثين شهراً ، وسببها أن أبا براء عامر بن مالك ملاعب الأُسنة
قدم على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام ، فلم يسلم ولم
يبعد وقال يا محمد اني أرى أمرك هذا حسناً فلو بعثت معي من
أصحابك نفرأ الى قومي رجوت أن يجيبوا دعوتك ، فقال النبي
ﷺ اني أخاف عليهم أهل نجد ، فقال عامر لا تخف عليهم
فأنا جار لهم .

فبعث ﷺ سبعين أو ثمانين رجلاً من أصحابه يقال لهم القراء
فساروا حتى يلغوا بئر معونة فقدموا أمامهم حرام بن ملحان
الأنصاري ، وكتاب رسول الله ﷺ الى عامر ابن الطفيل ورجال
من أصحابه ، فلم يقرأوا الكتاب ، ووثب اليه رجل منهم فقتلوه
واستصرخ عامر ابن الطفيل عليهم قومه فأبوا ^(٢) ، فاستصرخ ،
عليهم رغلا وعصبة من قبائل بني سليم فنفروا معه الى القراء
فقاتلوه حتى قتلوه عن آخرهم الا عمر ابن أمية الضمري فعجز
عامر ناصبته ومن عليه .

فدعا النبي ﷺ عليهم ولعنهم في قنوت الصلاة شهراً .
وقدم عمر بن أمية الضمري ، فلقي رجلين من بني عامر

(١) عاد أبو سلمة رضي الله عنه . وقد أجهد نفسه حتى نغر الدم من الجرح
الذي وقع فيه في أحد لأنه لم يكن قد التئم الا ظاهراً فلم يعيش بعد السرية الا يسيراً
حتى قضى عليه شهيداً رحمه الله .

(٢) لأنهم لم يريدوا خفر ذمة أبي براء .

منصرفين من عند رسول الله ﷺ وقد كساهما وامنهما ، فقتلها
عمر ولم يشعر بهما كان ، فوداهما رسول الله ﷺ .

ثم كانت غزوة الرجيع .. وهو ماء لهذيل بين مكة
وعسفان ، بناحية الحجاز ، وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين
شهرأ من الهجرة وذلك أن نفرأ من عضل والقارة وهم من بني
خزيمة ، بن مدركة ، قدموا على رسول الله ﷺ وأظهروا
الإسلام وسألوه أن يبعث معهم نفرأ من أصحابه ، يقرؤنهم القرآن
ويفقهونهم في الدين ، فبعث معهم ﷺ ستة ، وقيل عشرة .

فخرجوا حتى إذا كانوا بالرجيع غدروا بهم ولقيهم مائة من
هذيل بأيديهم السيوف ، فقتلوا بعضهم ، واسروا بعضهم ،
فباعوهم في مكة من قریش فقتلوهم .

وكان من المقتولين عاصم بن أبي الأفلح الأنصاري الذي
حمت جسده الدبر^(١) بعد قتله لأنه كان حلف في حياته ان لا يمس
مشرکاً ولا يمسه ، فأبر الله قسمه رضي الله عنه . .

ومن الأسرى خبيب ابن عدي الأنصاري رضي الله عنه
الذي رؤي وهو في الأسر يأكل عنباً ولا يعلم يومئذ في الارض
عنّب ، وهو أول من صلى ركعتين قبل القتل حين عزموا على
قتله .

وروي أن المشركين قالوا له حينئذ : أتحب أن محمدأ مكانك
وأنتك جالس في بيتك؟ قال : والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة
واني جالس في بيتي . وقد روي أن القائل لذلك غيره ، ثم قتلوه

(١) الدَّبرُ : الزناير والنحل . ويروي أن المشركين تركوا المثلة بقطع رأسه الى
أن يدخل الليل وتذهب الدَّبر . فبعث الله على الوادي سيلأ عظيماً فذهب به الخ ...
الحديث .

ورفعوه على خشبة ووجهه لغير القبلة فاضطرب على الخشبة فصار وجهه الى الكعبة رحمه الله تعالى .

وقد روي أن غزوة الرجيع كانت قبل بئر معونة والله أعلم وأحكم .

ثم كانت غزوة بني النضير .. في ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة ، وسببها أن عمرو بن أمية الضمري لما قتل الرجلين من بني عامر كما تقدم ذكره . خرج رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه الى بني النضير يستعينهم لديتهما او يستقرض منهم فجلس ﷺ مستنداً الى بيت فأرادوا أن يطرحوا عليه حجراً من فوق البيت فيقتلوه ، فجاءه الوحي بذلك فنهض ﷺ سريعاً كانه يريد حاجة ومضى الى المدينة ، فلما ابطأ لحق به أصحابه فأخبرهم بما هممت به اليهود وقال ﷺ لمحمد بن مسلمة أذهب الى بني النضر فقل لهم : اخرجوا من بلادنا فانكم قد نقضتم العهد يا هممتم به من القتل ، هذا وقد أجلتكم عشراً فمن رؤي منكم بعدها ضربت عنقه ، فأخذوا يتجهزون ، ثم أرسلوا الى رسول الله ﷺ ان يخرج فليصنع ما بدا له ؛ وكان قد وعدهم عبد الله بن أبي ان يقاتل معهم في قومه . فسار اليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم ، وقاموا على جدر حصونهم يرمون بالنبل والحجارة ، ولم يأتهم ابن أبي ، وأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطعت وأحرقت ، ثم نزلت اليهود على أن لهم ما حملت الأبل الا الحلقة (١) . فأجلاهم رسول الله ﷺ ، فذهب بعضهم الى الشام ، ولحق بعضهم بخيبر ، وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن وقبض رسول الله ﷺ الحلقة خمسين درعاً ، وخمسين

(١) الحلقة : السلاح كله أو الدروع وما يتبعها يدخل ضمناً .

بيضة ، وثلاثمائة سيف ، وأربعين رحماً الى غير ذلك ، واصطفى أموالهم فجعلها لنوائبه ، واعطى منها المهاجرين ، لما لم يكن لهم مال ولم يعط أحداً من الأنصار منها شيئاً إلا رجلين لم يكن لهما مال ، وقد قص الله سبحانه هذه الغزوة في سورة الحشر أحسن القصص .

ثم كانت غزوة بدر .. الموعد لهلال ذي القعدة ، على رأس خمسة وأربعين شهراً ، وسببها أن أبا سفيان بن حرب كان نادى عند انصرافه من أحد: موعد بيننا وبينكم بدر رأس الحول ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمر رسول الله : نعم إن شاء الله تعالى ، فلما دنا الموعد خرج رسول الله ﷺ في ألف وخمسمائة معهم عشرة أفراس فأنتهى الى بدر ليلة هلال ذي القعدة. وخرج أبو سفيان من مكة في ألفين معهم خمسون فرساً ثم رجع من مجنة^(١) وقيل من عسفان واعتذر بأنه عام جذب .

فأقام رسول الله ﷺ ثمانية أيام . وكان مع المسلمين تجارات فربحوا فيها ربحاً عظيماً ثم عادوا الى المدينة ، وقيل أن هذه الغزوة كانت بعد غزوة ذات الرقاع والله أعلم .

ثم كانت غزوة عبد الله .. بن عتيك رضي الله تعالى عنه لقتل أبي رافع سلام ابن أبي الحقيق اليهودي بخير لأربع خلون من ذي القعدة . على رأس ستة وأربعين شهراً . وقيل في جهادى الأولى سنة ثلاث وكان سببها أن أبا رافع كان قد أجلب في غطفان وغيرهم من مشركي العرب لحرب رسول الله ﷺ . وجعل

(١) مَجَنَّة : محل من ناحية الظهران . قال في تاج العروس مجنة بفتح الميم وقد تكسرت يمينها والفتح أكثر وهي موضع قرب مكة على أميال . وقال ابن عباس : كانت مجنة . وذو المجاز . وعكاظ ... اسواقاً في الجاهلية . تمت بتصرف .

لهم الجعل العظيم فبعث رسول الله ﷺ إليه عبد الله بن عتيك الأنصاري الخزرجي ومعه أربعة انفار من الخزرج فانتھوا الى حصنه ، ودخلوا عليه ليلاً فقتلوه وعادوا الى المدينة ، وطلبتهم اليهود في جمع فنجاهم الله تعالى منهم . وقيل ان هذه الغزوة كانت في شهر رمضان سنة ست والله أعلم وأحكم .

ثم كانت غزوة ذات الرقاع .. وقد اختلف في تسميتها بذلك ، الذي في صحيح البخاري عن أبي موسى انها نقتب أقدامهم ، فجعلوا يلقون عليها الحرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، وكان سببها انه بلغ النبي ﷺ أن بني نزار بن معيض ، وبني سعد ابن ثعلبة قد جمعوا لحرب المسلمين فخرج اليهم رسول الله ﷺ لعشر خلون من المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً حتى بلغ محالهم فوجدهم قد هربوا الى رؤوس الجبال ، واطلعوا على المسلمين ، فلما حضرت الصلاة خاف النبي ﷺ أن يغيروا عليه فصلى بأصحابه صلاة الخوف ، وهي أول صلاة صلاها كذلك هكذا ، حكاه أهل السيرة والله أعلم .

ثم كانت غزوة دومة الجندل^(١) .. وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة ست عشرة ليلة ، خرج اليها رسول الله ﷺ في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول على رأس تسع وأربعين شهراً في ألف من المسلمين ، ونكب عن الطريق وأعد السير ، وكان يسير الليل ، ويكمن النهار ، فلما كان بينه وبينها ليلة هجم على ماشيتهم فأصاب ، منها وفرباقيهم ، ففترق أهل دومة الجندل لما بلغهم ذلك ونزل النبي ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحداً فأقام بها أياماً وبث سراياه فعادت بائلاً ولم يلق

(١) قيل سميت دومة الجندل باسم دومي بن اسماعيل وكان نزل بها .

أحداً ، فعاد النبي ﷺ الى المدينة لعشرين خلون من شهر ربيع الآخر ، والله أعلم .

ثم كانت غزوة المريسيع .. وهي غزوة (بني المصطلق) من خزاعة والمريسيع ماء لهم بينه وبين الفرع نحو يوم وبين الفرع والمدينة ثمانية برد ، وكان سببها أن الحرث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق جمع لحرب النبي ﷺ من قومه جمعاً ومن سائر العرب ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج النبي اليهم لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس حتى انتهى الى المريسيع وقد كان بلغ القوم سيره فتفرق عن الحرث من كان قد اجتمع اليه من أفناء العرب فتهياً الحرث للحرب وصف رسول الله ﷺ أصحابه فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون على المشركين حملة رجل واحد . فما افلت منهم لإنسان ، وقتل منهم عشرة واسر الباقون ، وسبيت النساء والذرية وغنمت الإبل والشاء وغيرها ، وكان السبي أهل مائتي بيت والابل الفين والشاء خمسة آلاف . وسبيت جويرة بنت الحرث بن أبي ضرار فوقع في سهم ثابت ابن قيس بن شماس فكاتبها وجاءت تستعين رسول الله ﷺ فقال لها أو خير من ذلك .. أؤدي عنك^(١) وأتزوجك . قالت : نعم . فادى عنها كتابتها وتزوجها ، وخرج الخبر بذلك الى المسلمين فاطلقوا ما كان بأيديهم من السبي وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ^(٢) ..

(١) أي أقضي عنك .

(٢) الحديث في سيرة بن هشام عن عائشة وتمامه : وأرسلوا بأيديهم . قالت : فقد أعتق بتزويجها مئة أهل بيت من بني المصطلق . فمأ أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

وفي هذه الغزوة .. وقعت بين بعض سقاة المهاجرين وبعض سقاة الأنصار منافسة على السقي وضاح كل منها بأصحابه حتى كاد الفريقان يقتتلان ، فقال عبد الله بن أبي سلول في جملة كلام له : والله ما مثلنا ومثل جلايب قريش هذه الا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأنزل الله في ذلك سورة المنافقين .

وفيهما فقدت ناقة رسول الله ﷺ القصوى فتطلبها المسلمون في كل وجه ، فقال بعض المنافقين : أفلا يخبره الله بمكان ناقته ؟ وجاء رسول الله ﷺ الوحي بما قال ، فقال ﷺ : والمنافق يسمع : إن رجلا من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله ﷺ وقال : ألا يخبره الله بمكانها ؟ فلعمري ان محمداً ليخبر بأعظم من شأن الناقة ، ولا يعلم الغيب الا الله تعالى وان الله قد أخبرني بمكانها . وانها في هذه الشعبة المقابل لكم وقد تعلق زمامها بشجرة فذهبوا فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ فأتوا بها .

وفيهما مر النبي ﷺ في رجوعه بالنقيع بالمتون فرأى فيه كلاً كثيراً فامر أن يحمى لخييل المسلمين وابلهم التي يغزون عليها .

وفيهما سابق رسول الله ﷺ بين الخيل والابل وفيها نزلت آية التيمم .

وفيهما كان حديث الإفك كما ذلك مبسوط في كتب الحديث والسير .

وفيهما نهى رسول الله ﷺ عن طروق النساء ليلا لما تقدم عبد الله بن رواحة الى أهله فرأى مع امرأته انساناً طويلاً نائماً ، فهم بقتلها ، ثم ثبت فغمز امرأته برجله ففزعت و صاحت فقال :

أنا عبد الله ، فمن هذا معك ؟ فقالت : فلانة الماشطة ، سمعنا
بقدومكم فدعوتها لتمشطني ، فباتت عندي ، فكان سبب قول
رسول الله ﷺ لا تطرقوا النساء ليلاً .

ثم كانت غزوة الخندق .. وهي غزوة الأحزاب وكانت
في شوال سنة خمس على الصحيح ، وكان سببها ، أن رسول الله
ﷺ لما أجلى بني النضير سار بعضهم الى خيبر ، ومنهم حيي
بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهما فخرجوا الى قريش
فحالفوهم على حرب رسول الله ﷺ واتعدوا لوقت وقتوه ثم
خرجوا الى غطفان وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة ، وأتوا بني سليم ،
فوعدوهم بالخروج معهم فخرجت قريش ومن تبعها في
أربعة آلاف ومعهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير ، ولقيهم
بنو سليم في سبعمائة ، وخرجت بنو أسد وخرجت فزارة في
الف . وأشجع في أربعمائة ، وبنو مرة في أربعمائة ، فكانوا جميعاً
عشرة آلاف (١) .

فبلغ الخبر رسول الله ﷺ فبدت الناس . وأخبرهم خبر
عدوهم وأمرهم بحفر الخندق وحضر رسول الله ﷺ معهم
فتبادر المسلمون في العمل . وكان سلمان الفارسي يعمل كعمل عشرة
فتنافس فيه المسلمون . فقال المهاجرون هو منا وقال الأنصار هو
منا ، فقال رسول الله ﷺ « سلمان منا أهل البيت » واعترض

(١) هكذا في الأم والعدد الإجمالي يبلغ « ٦٥٠٠ » . ولم يذكر في الاصل عدد
بني أسد .

والذي في سيرة ابن هشام : أن قريشاً ومن تابعها خرجوا في عشرة آلاف ولم
يفصل عدد كل قبيلة على حدة كما هنا فالاجمال متفق عليه هنا وفي سيرة ابن
هشام فتأمل .

لهم في الخندق حجر صلد فضربه رسول الله ﷺ بالمعول ثلاث ضربات يبرق في كل ضربة برق ، وانكسر الحجر في الثالثة ، قال ﷺ : اني رأيت في الضربة الأولى قصور اليمن ، ورأيت في الثانية قصور الشام . ورأيت في الثالثة قصر كسرى الأبيض ، واخبر ﷺ انه سيفتح على أمته جميع ذلك .

ولما كمل الخندق صارت المدينة كالحصن ورفع المسلمون النساء والصبيان الى الآطام ، وعسكر رسول الله ﷺ بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف ، وقيل وتسعمائة . وجعل ظهره الى سلع والخندق أمامه ، ورأى جابر بن عبد الله الأنصاري برسول الله خمصاً شديداً وهو يحفر الخندق . فأخبر امرأته بذلك فطحنت صاعاً من شعير وذبح هو شاة ثم طبخت وخبزت ودعى رسول الله ﷺ فدعى أهل الخندق فجعلوا يدخلون على الطعام عشرة عشرة فأكلوا جميعهم حتى شبعوا ، ببركة رسول الله سيد المرسلين ﷺ .

ثم ان بني قريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ فظاهروا المشركين عليه فاشتد الخوف والحزن على المسلمين وعظم البلاء وزلزلوا زلزالاً شديداً ، كما حكى الله تعالى ذلك في سورة الأحزاب ، ونجم النفاق حينئذ ، وجعل المسلمون يحرسون الخندق بالليل وجعل المشركون يطيفون في الخندق حتى أتوا مكاناً ضيقاً أغفله المسلمون ، فعبر جماعة ، فيهم عمرو ود العامري ، وقام سائرهم من وراء الخندق فدعى عمرو بن ود الى البراز^(١)

(١) قال ابن هشام : عن ابن اسحاق : وكان عمرو بن عبدود قد قاتل وجرح يوم بدر ولم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج مُعلماً ليرى مكانه ، قلت وقد أعز الله الاسلام بأن برز اليه علي كرم الله وجهه فقتله ولقي في الخندق ما أفلت منه يوم بدر ، ورجعت خيل المشركين منهزمة واقتحمت الخندق هاربة .

وكان قد بلغ تسعين سنة ولم يجرء أحد على مبارزته .

فدعى رسول الله ﷺ علياً عليه السلام . . فأعطاه سيفه وعممه بيده وقال : اللهم أعنه عليه فخرج اليه وهو راجل فلم يكن بأسرع من أن قتله ، فولى أصحابه الأدبار ، ووقع أحدهم في الخندق ، فرماه المسلمون بالحجارة حتى قتلوه . ثم وافى المشركون سحراً وصف رسول الله أصحابه الى هوي ^(١) من الليل وما زالوا يطلبون غرة المسلمين ويناضونهم القتال فلا يظفرون بطائل ، وأصاب المسلمون مجاعة شديدة ، وكان أهلهم يبعثون اليهم بما يقدرون عليه من الزاد ، فأرسلت غمرة بنت رواحة ابنتها بحفنة من تمر الى زوجها بشير بن سعد واخيها عبد الله ابن رواحة ، فمرت برسول الله ﷺ فقال : الي يا بنية ما هذا معك ؟ فأخبرته فأخذها في كفيه ونثرها على ثوب وأمر من صرخ بالخندق ان هلموا الى الغداء فاجتمعوا عليه يأكلون حتى صدروا وانه ليفيض من أطراف الثوب ^(٢) .

ثم أرسلت أم معتب الأشهلية بقعة فيها حيسة ^(٣) الى النبي ﷺ فدعى إليها أهل الخندق . فأكلوا منها حتى انتهوا وهي كما هي . وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه بضعة عشرة ليلة محصورين فأراد رسول الله ﷺ أن يصالح غطفان بثلاث ثمار المدينة ليرجعوا . فقال رؤساء الأنصار يا رسول الله إن كان هذا أمراً

(١) هوي : بفتح الهاء وضمها وكسر الواو أي قطعة من الليل .

(٢) الحديث في سيرة بن هشام ، عن ابن اسحاق عن سعيد بن سينا .

(٣) الحَيْسُ : تمر يخلط بسمن وإقط . والإقط : هو اللبن المعقد المجفّف .

من السماء فامض له ، وإن كان إنما هو اللأوى (١) فما لهم عندنا إلا السيف . فقال ﷺ : بيننا السيف ، رافعاً بها صوته ، ثم ان رسول الله ﷺ دعى على الأحزاب فتخاذلوا ورعبوا ، وأرسل الله عليهم الريح حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رجله . ولا يقر لهم قرار ولا بناء فارتحلوا خائبين كما قال الله سبحانه في سورة الأحزاب (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً) الآية وأصبح رسول الله ﷺ بعد رحيل الأحزاب ، فأذن للمسلمين بالانصراف فلحقوا بمنازلهم .

ثم كانت « غزوة بني قريظة » وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الخندق ، دخل بيت عائشة فاغتسل وصلى الظهر ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، إن الله عز وجل يأمرك أن تسير إلى بني قريظة ، فأني عامد إليهم فمززل حصونهم .

فدعى النبي ﷺ علياً عليه السلام فدفع إليه اللواء وكان على حاله لم يحل ، وأمر بلالا فأذن في الناس أن رسول الله ﷺ « يأمركم أن لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة » (٢) وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة على الاصح ، يناديهم القتال حتى نزلوا على حكمه ، فجعل

(١) اللأوى : الشدة .

(٢) يقال إنه اتفق أن غربت عليهم الشمس قبل أن يصلوا العصر وإنما صلوه عشاء ، لظاهر الحديث ، وصلى جماعة في الطريق قبل غروب الشمس ، وقالوا : لم يرد رسول الله (ص) اخراج الصلوة عن وقتها .

أمرهم إلى سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري رضي الله عنه ، وكان جريحاً أصابه سهم يوم الخندق فأتي به على حمار إلى رسول الله ﷺ ، فحكم بقتل المقاتلة ، وسبي النساء ، والذرية ، وقسمة الأموال ، فقال ﷺ « قد حكمت بحكم الله عز وجل من فوق سبعة أرقعة » .

فأمر رسول الله ﷺ بالسبي فسيقوا إلى المدينة ، وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع فحمل ، وبالأبل والغنم فتركت ترعى في الشجر ، وأمر بالأسرى فكتفوا ، ثم عاد إلى المدينة ، فأتى إلى السيوف فأمر بأخاديد فخذت ، وأمر بضرب أعناقهم فأخرجوا أرسالا تضرب أعناقهم ، وكانوا حول ستمائة أو سبع مائة ، وقسم السبي من النساء والصبيان ، وكانوا نحو ألف ، ووجد في حصونهم ألف وخمسمائة سيف ، وثلاثمائة درع وألف رمح وألف وخمسمائة ترس ، وتحف ، وأثاث كثير ، فخمس الغنائم والسبي ، وقسم باقيها بين المسلمين على السهمان ، ورضخ لمن شهد الوقعة من النساء .

ثم كانت « سرية عبد الله بن أنيس » إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي اللحياني (١) . وكان بلغ النبي ﷺ أنه يجمع لحربه وقد ضوى إليه بشر كثير وكان ينزل «عرنة» وما حولها ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس ليقبله . فخرج إليه لخمس خلون من المحرم على رأس أربعة وخمسين شهراً ، وروي أنه

(١) في سيرة بن هشام وفي كتاب « حياة محمد » أنه خالد بن سفيان بن نبيح ، ولعله أصح

قال لست أعرفه . فقال : إنك إذا رأيته هبته و فرقت منه ، وذكر
الشيطان وآية ذلك أن تجد له قشعريرة إذا رأيته .

وفي سنن أبي داود . عن عبد الله بن أنيس ما لفظه : فلما
دنوت منه قال : من أنت ؟ قلت : رجل من العرب . بلغني إنك تجمع
لحرب هذا الرجل . فجئتك في ذلك . فقال : إني لفي ذلك ،
فمشيت معه ساعة حتى إذا أمكنني علوته بسيفي حتى تردى .
وروي أنه لما رجع كان يكمن النهار ويسير في الليل ، حتى قدم
المدينة برأسه ، والله أعلم وأحكم .

ثم كانت « غزوة القرطاء »^(١) إلى بني أبي بكر ابن كلاب ،
خرج فيها محمد بن مسلمة في ثلاثين رجلاً فكان يسير الليل ،
ويكمن النهار ، حتى شن الغارة عليهم وقتل منهم عشرة واستاق
النعم والشاء ، وعاد إلى المدينة . وكان ذلك في شهر المحرم من
السنة المذكورة . ثم كانت غزوة بني لحيان بن مدركة بناحية عسفان ،
خرج فيها رسول الله ﷺ لـهلال ربيع الأول ، سنة ست ، على
المختار وكان في مائتي رجل فيهم^(٢) فارساً يريد بني لحيان ليأخذ
بثأر أهل الرجيع ، حتى انتهى إلى حيث أصيبوا . وهرب بنو
لحيان ، فأقام يوماً أو يومين ، وبث السرايا فلم يقدر على أحد ،
فأتى عسفان ، ثم بعث فارسين حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا ،
وقال ﷺ : إن هذا يبلغ قريشاً فيذعرهم ، ثم عاد إلى المدينة
ثم كانت غزوة الغابة ، ويقال « غزوة ذي قرد » ، وهو ماء

(١) القرطاء : من هوازن كما جاء في سيرة بن هشام .

(٢) كذا في الأصل ولم نجد عدد الفرسان في سيرة بن هشام فينظر .

على بريد من المدينة ، وذلك في شهر ربيع الأول على الصحيح ،
وسببها أن عيينة بن حصن الفزاري ، أغار على لقاح لرسول
الله ﷺ بالغابة في أربعين فارساً ، فأغار رسول الله ﷺ في
آثارهم حتى انتهوا إلى ذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح ، وقتل نفرًا
من المشركين من خيارهم .

وفي هذه الغزوة دعا رسول الله ﷺ لأبي قتاده وبصق على
سهم وقع في وجهه فما ضرب عليه قط ولا قاح ومات أبو قتاده !
وقد بلغ سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة . وأعطاه رسول
الله ﷺ فرس القتل الذي قتله وسلاحه ، ودعا له فيه بالبركة .
ثم كانت سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر وهو ماء
لبنى أسد ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست فخرج في أربعين
رجلاً يعد السير . فنذر به القوم ، فهربوا ، وبث سراياه في بلاد
بني أسد ، فظفروا بنعم فاستاقوها وعادوا إلى المدينة .

ثم كانت سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة . وهو موضع
بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً . يريد بني ثعلبة فخرج محمد
ابن مسلمة في عشرة ، حتى وردوا ليلاً . فناموا ليلاً فأحاط بهم
بنو ثعلبة فقتلوهم ، وسقط محمد بن مسلمة جريحاً ، فحمل بعد
ذلك إلى المدينة .

ثم كانت سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر
ربيع الآخر سنة ست ، في أربعين رجلاً ، فأغار على القوم عمية
الصبح فأعجزوهم هرباً ، فأسر المسلمون رجلاً واستاقوا نعماً
وشاءاً وعادوا .

ثم كانت «سرية زيد بن حارثة» إلى العيص على أربعة أميال من المدينة ، في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ومعه سبعون ومائة راكب يطلبون عيراً لقريش ، قد أخذت طريق العراق فظفروا بها وقدموا بها المدينة ، وكان فيها أبو العاصي بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ فأجارت زينب زوجها فأقر الرسول والمسلمون جوارها ورد على أبي العاصي ما كان أخذ منه من المال ، فعاد إلى مكة . وأدى إلى كل ذي حق حقه وأسلم ، ثم قدم المدينة مهاجراً . فرد إليه رسول الله ﷺ زينب رضي الله عنها .

ثم كانت «سرية زيد بن حارثة» إلى الطرف ، وهو ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة بناحية نخل من طريق العراق في جمادى الآخرة ، ومعه خمسة عشر رجلاً من بني ثعلبة فأصاب لهم نعماً وشاء وقدم من غير قتال .

ثم كانت «سرية زيد بن حارثة أيضاً» إلى جذام وراء وادي القرى في جمادى المذكورة ، وكان سببها أن دحية الكلبي أقبل من عند قيصر ملك الروم . بجائزة وكسوة فلقيته جذام بشنار^(١) فأخذوا ما معه^(٢) فبعث رسول الله ﷺ زبداً رضي الله عنه في خمسمائة رجل ، ومعه دحية . وكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً حتى هجم عليهم مع الصبح ، فقتل رئيس القوم وابنه ، واستاق ألف بعير وخمسمائة ألف شاة ومئة ما بين امرأة وصبي ، وكانت

(١) جذام : اسم قبيلة وشنار : اسم واد من أوديتهم .

(٢) في سيرة بن هشام : أن قوماً من جذام وهم من القبيب أغاروا واسترجعوا ما أخذ على دحية وسلموه إليه .

طائفة يقال لهم بنو الحبيب قد أسلموا ، فتقدموا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له ما فعل زيد ، ورضوا برد المال والذرية ، واغضوا عن القتل ، فبعث معهم ﷺ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ومعه سيف رسول الله ﷺ أمانة إلى زيد ليرد ما أخذ عليهم ، فرد عليهم جميع ذلك .

ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف ، إلى «دومة الجندل» في شعبان ، ليدعوا كلباً إلى الاسلام في سبعمئة رجل ، فأقعه رسول الله ﷺ بين يديه ، ونقض عما متهيبه الكريمة ثم عممه بعمامة سوداء ، وأرخى بين كتفيه منها ثم قال هكذا فاعتم يا بن عوف . فسار عبد الرحمن بمن معه حتى قدم دومة الجندل فدعى أهلها إلى الاسلام . ثلاثة أيام وهم يأبون إلا— محاربته ، ثم أسلم الأصبع بن عمر الكلبي وكان نصرانياً وهو رأس القوم ، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ وتزوج تماضر بنت الأصبع . وفرض الجزية على من اقام على دينه ثم أقبل .

ثم كانت «سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه» إلى بني عبد الله بن سعد بفدك في شعبان منها ومعه مائة رجل وقد جمعوا على أن يمدوا يهود خيبر فسار ليلاً وكن نهاراً . حتى أغار على إبلهم فضمها ، وفرت رعاتها . فأنذروا القوم ففرقوا ، فأنشئ علي رضي الله عنه بالنعم . وهي خمسمائة بعير وألف شاة ، فأخرج منها الخمس والصفي وقسم باقيها ثم أقبل .

ثم كانت «سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ، إلى أم قرفة» (١)

(١) في السيرة : غزوة زيد بن حارثة بني فُزارة ومصاب أم قرفة .

فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية . بناحية وادي القرى . على
سبع ليال من المدينة في شهر رمضان سنة ست .

وسببها أن زيدا رضي الله عنه خرج في تجارة إلى الشام ،
فخرج عليه من فزارة وادي القرى ناس من بني بدر من مزاح
فضربوه ومن معه حتى ظنوا أنهم قتلوه . وأخذوا ما كان معه ثم
إنه تحامل حتى قدم المدينة فبعثه رسول الله ﷺ في سرية كان
يكن من نهاره ويسير ليله . ونذرت بهم بنو بدر ، فاستعدوا لهم
فلما كان زيد ومن معه على مسيرة ليلة ، أحاط بهم دليلهم الطريق
حتى أصبحوا القوم . فقتل سلمه بن الأكوع . رجلا منهم وأخذ
أم قرفة وابنتها ، ثم قتلت أم قرفة ، وقدموا بالغنيمة إلى المدينة .

ثم كانت «سرية أميرها عبد الله بن رواحه» إلى اليسير بن رزام (١)
بخيبر ، في شوال . سنة ست ، وكان اليسير قد تأمر على رأس
يهود بعد قتل أبي رافع ، فقام فيهم يريد حرب رسول الله ﷺ
وسار في غطفان يجمعها ليسير إلى المدينة ، فباغ ذلك النبي ﷺ
فندب الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلا ، واستعمل عليهم عبد الله
بن رواحه رضي الله عنه ، فقدموا خيبر على اليسير فقالوا له : إن
رسول الله ﷺ بعثنا إليك أن تخرج معنا إليه ليستعملك على
خيبر ، ويحسن إليك ، فطمع في ذلك ، وخرج في ثلاثين من
يهود ، ثم ندم في الطريق ، وهم بعبد الله ابن أنيس ليقتله ، فبدره
عبد الله فقتله ، ومالوا على أصحابه فقتلوهم كلهم ، إلا رجلا

(١) في الأصل المخطوط : أسير ، والذي في سيرة بن هشام : اليسير فأثبتناه
كما في السيرة .

واحداً فر منهم ، ولم يصب أحد من المسلمين ، ثم قدموا المدينة ،
الخبر .

ثم كانت « سرية كرز بن جابر الفهري » وذلك أن نفرا من قيس
كبه ^(١) قدموا على النبي ﷺ فأسلموا ، ثم استوبوا المدينة ،
فأمرهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى لقاحه بذي الجدر على
ثمانية أميال من المدينة ، ليشربوا من ألبانها وأبوالها .

حتى إذا صحوا وسمنوا ، قتلوا الراعي ^(٢) ومثلوا به ، وذهبوا
بالمرح فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فبعث في آثارهم عشرين فارساً
واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري ، فأدركهم وأسروهم
فأمر بهم رسول الله ﷺ فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت
أعينهم وصلبوا ؛ فنزل قوله عز وجل : (إنما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله) الآية ؛ فكان النبي ﷺ بعدها ينهي عن المثلة .

ثم كانت « عمرة الحديبية » ذلك أن رسول الله ﷺ رأى في
منامه أنه دخل البيت وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح البيت وعرف مع
المعرفين ، فاستنفر الصحابة رضي الله عنهم إلى العمرة ، فأسرعوا
فخرج بهم لهلال ذي القعدة سنة ست . لا يشكون في الافتح للرؤيا
المذكورة ، وليس معهم سلاح إلا السيوف في القرب ، وساق
رسول الله ﷺ سبعين بدنه ، ولما بلغ ذي الحليفة أشعرها
وقلدها وأحرم ، وأحرم المسلمون بإحرامه ، وكان معه من المسلمين
ألف وستمائة وأكثر على ما قيل ، وبلغ أهل مكة خروج رسول

(١) كبة : قبيلة من بجيلة .

(٢) إسمه : يسار . ذبحوه وغرزوا الشوك في عَيْنَيْهِ ، وكان يرعى اللقاح .

الله ﷺ ، فراعهم ذلك ، وتشاوروا وقدموا الطلائع ، ووضعوا
العيون ، وخرجوا إلى بلدح ، فضربوا بها القباب والأبنية ، ومعهم
النساء والصبيان ، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش ، وأجمعوا
أمرهم على منع رسول الله ﷺ من دخول مكة ومحاربته ، ودنت
طلائع المشركين وخيلهم ، حتى نظروا إلى المسلمين ،

وحانت الصلاة ، فصلى النبي ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف .
ثم سار بهم ﷺ حتى دنا من الحديبية ، فبركت ناقته القصوى ،
فقال الناس خلأت القصوى . فقال ﷺ : إنها ما خلأت ولا هو
لها بعادة (١) ولكن حبسها حابس الفيل ، أما والله لا يسألوني
اليوم خطة يعظمون فيها حرمان الله ، إلا أعطيتهم إياها .

ثم زجرها فقامت فتزل النبي ﷺ بالناس على ثمد (٢) من
ثمد الحديبية قليل الماء ، فاشتكى الناس قلة الماء فانترع ﷺ
سهماً من كنانته فأمر به فغرز في الثمد ، فجاش لهم الرواء حتى
ضربوا بعطن . وبلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً قد أقسموا أن لا
يخلو بينه وبين البيت حتى يبید خضرأهم ، فقال ﷺ : إنا لم
نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه
قاتلناه ، ثم عرض ﷺ عليهم الهدنة وسفر بهم في ذلك عروة
ابن مسعود الثقفي ، وبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان إلى
مكة ، فبلغه أنه قتل فدعى المسلمين إلى البيعة فبايعوه بيعة الرضوان
تحت الشجرة على أن لا يفروا ، وقيل على الموت ، ثم أشار أهل
الرأي من المشركين بالصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ ثم

(١) في السيرة : وما هو لها بخلّة ، وخلأت بمعنى بركت .

(٢) الثمد : بفتح الميم وإسكانها : القليل من الماء الذي لا مادة له .

يعود من قابل فيقيم بمكة ثلاثاً . فصالحهم النبي ﷺ على ذلك .
وأمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه ، أن يكتب : بسم الله الرحمن
الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف الرحمن ، أكتب
باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ أكتب باسمك اللهم ،
هذا ما اصطلاح عليه محمد رسول الله ، وسهيل بن عمرو ، فقال
سهيل : لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك : فضج المسلمون وارتفعت
الأصوات ، وقالوا : لا تكتب إلا محمد رسول الله . فقال النبي ﷺ
هذا ما اصطلاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو إلى آخر
ما كتب ، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده
ودخلت بنو بكر بن عبد مناف في عهد قريش وعقدتهم وكانت
مدة الهدنة عشر سنين على الأصح .

فلما تم ذلك ، أمر النبي ﷺ أن ينحروا الهدي ويحلقوا
ويحلوا من أحرامهم فشق ذلك عليهم ، فانطلق النبي ﷺ إلى
هديه فنحره ثم دعى الحلاق . فحلق رأسه ﷺ وأقام بالحديبية
بضعة عشر يوماً . وقيل عشرين يوماً .

ثم انصرف فلما بلغ عسفان أرمل المسلمون من الزاد فأمرهم ﷺ
بجمع ما بقي معهم فكان منهم من يأتي بالكف من السويق والدقيق ،
ومنهم من يأتي بالقبضة من التمر ، أو بالتمرة الواحدة ، ومنهم
من لا يأتي بشيء . فاجتمع من ذلك شيء قليل . فدعا رسول
الله ﷺ فيه بالبركة ثم قال : هاتوا أوعيتكم . فكان الرجل
يأخذ حتى يملأ وعاءه . ثم أذن رسول الله ﷺ على الناس
بكراع موضع الغميم ثم سار حتى بلغ المدينة .
وكان المسلمون قد كرهوا الصلح وداخلهم منه أمر عظيم ،

حتى كادوا يهلكون لأنهم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لأجل رؤيا النبي ﷺ فجعل الله عاقبة القضية خيراً ، فأسلم في الهدنة أكثر ممن كان قد أسلم . من يوم أن دعى رسول الله ﷺ إلى يوم الحديبية . وما كان في الإسلام فتح أعظم من الحديبية ، فإن الحديبية كانت قد حجزت بين الناس . فلما كانت الهدنة ، أمن الناس ، واختلطوا وأسلم فيها صناديد قريش ، الذين كانوا يقومون بنصر الشرك وأمر الحرب ، كخالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، واشباههما وتفشى الاسلام في جميع العرب .

وكانت الهدنة إلى أن نقض المشركون العهد ، إثنين وعشرين شهراً .

ثم كانت غزوة خيبر : بينها وبين المدينة ثمانية برد وخرج إليها النبي ﷺ في صفر وقيل لھلال ربيع الأول سنة سبع على الأصح ، وكانت يهود خيبر يظنون أن رسول الله ﷺ لا يغزوهم لمنعتهم . وحصونهم ، وسلاحهم ، وعددهم ، وكانوا يخرجون عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ، ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيهات ! هيهات ! فعصى الله عليهم ، فخرج النبي ﷺ حتى نزل بساحتهم ليلاً . فلما طلعت الشمس خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ^(١) فلما نظروا إلى المسلمين قالوا : محمد والخميس ^(٢) وولوا مدبرين هاربين إلى حصونهم ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر . إنا إذا نزلنا على قوم فساء صباح المنذرين .

ثم لم يزل النبي ﷺ يغاديهم بالقتال كل يوم حتى افتتح جميع

(١) المسحاة : المجرفة من الحديد ، والمكتل قفة كبيرة .

(٢) الخميس : الجيش .

حصولهم ، بعضها عنوة ، وبعضها صلحاً :

وروى ابن هشام في سيرته ، عن ابن إسحق ، عن مسلمة بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر برأيته ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح . وقد جهد ، ثم بعث الغداة عمر بن الخطاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، فقال رسول الله : « لأعطين الراية غداً ، رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، ليس بفرار » قال : يقول مسلمه ، فدعى رسول الله ﷺ علياً وهو أرمذ ، فقبله بين عينيه ، ثم قال « خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك » قال : يقول مسلمه ، فخرج بها يأنح : يهرول هرولة ، وأنا خلفه أتبعه أثره ، حتى ركز رأيته في رضم من حجارة تحت الحصن . فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن . فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، فقال اليهودي : علوتم وما أنزل علي موسى ، أو كما قال ، فما رجع حتى فتح الله على يديه .

قال ابن اسحق : وحدثني عبد الله بن حسن عن بعض أهله ، عن أبي رافع ، مولى النبي ﷺ قال : خرجنا مع علي رضي الله عنه حين أعطاه رسول الله ﷺ برأيته فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده ، فتناول باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل . حتى فتح الله تعالى عليه . ثم القاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر مع سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقلبه .

وحكى في الإمتاع عن الحاكم باسناد إلى جابر « أن علياً حمل

الباب يوم خيبر ، وإنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً هـ .
ثم أمر رسول الله ﷺ بجمع الغنائم والسبي ، واصطفى
لنفسه صفية بنت حيي بن أخطب فاعتقها وتزوجها ، وخمس
الغنائم ، ثم قسم أربعة الأخماس بين الغانمين .

وقال ابن عبد البر أجمع العلماء من أهل الفقه والأثر ، وجماعة
من أهل السير ، على أن بعض خيبر كان أخذ بعضها عنوة ، وبعضها
صلحاً أو أخذ بغير قتال ، كالذي أجلى عنه أهله ، عمل في ذلك
كله بسنة الغزو وما كان منها عنوة عمل فيه بسنة الغنائم ، إلا أن ما
فتح الله عليه منها عنوة ، قسمها لأهل الحديبية ولمن شهد الواقعة ١ هـ

وفي هذه الغزوة كان حديث الشاة المسمومة ، كما تقدم ذكره ،
وكان النبي ﷺ حاصر أهل خيبر في حصنهم الوطيح ،
والسلام ، حتى نزلوا على أن تحقن دماؤهم ويسيرهم ويتركوا له الأموال ،
وسمع بذلك أهل فدك فرغبوا في مثله . فصارت فدك
خالصة لرسول الله ﷺ لأنه لم يوجف عليها المسلمون بخيل
ولا ركاب ، ثم توجه رسول الله ﷺ إلى وادي القري ، فحاصر
أهلها ، قال في الامتاع : فأخذها عنوة ، وغنم ما فيها .
وطلبت يهود تيماء الصلح فصولحوا على الجزية . وأقاموا
على أموالهم .

ثم كانت «سرية عمر بن الخطاب» إلى تربة من أرض بني
عامر ، على أربعة أميال ، في شعبان سنة سبع ، في ثلاثين رجلاً
فلم يلقوا أحداً .

ثم كانت «سرية أبي بكر الصديق» إلى بني كلاب ، وقيل إلى

فزاره ، في شعبان المذكور ، بناحية صربه ، فبيت ناساً من هوازن وقتل منهم .

ثم كانت « سرية بشر بن سعد » إلى فذك في شعبان أيضاً ، في ثلاثين رجلاً ، إلى بني مرة فأصيبوا .

وبعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي ، ومعه أسامه بن زيد ، في مائتي رجل إلى مضارب القوم ، فغنموا الماشية وسبوا الذرية وقتلوا المقاتلة .

وفي هذه الغزوة « قتل أسامة بن زيد رجلاً منهم يقال له نهيك بن مروان ، بعد أن قال : لا إله إلا الله ، فعنفه رسول الله ﷺ على ذلك وقال : أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ فقال : إنما قالها تعوذاً من القتل فقال ﷺ : أفلا شققت عن قلبه » الخبر .

ثم كانت « سرية غالب بن عبد الله » أيضاً إلى إلى الميعة في مائة وثلاثين رجلاً فقتلوا وغنموا .

ثم كانت « سرية بشير بن سعيد » إلى الحباب في سنة سبع ومعه ثلاث مائة رجل فأصابوا نعماً كثيراً بغطفان ، فحووه وفر الرعاة ، فابتدروا أصحابهم . وأسروا منهم رجلين فأسلموا .

ثم كانت عمرة القضاء ، وقد يقال عمرة القضية .

في ذي القعدة سنة سبع . أمر رسول الله ﷺ أصحاب الحديبية أن يخرجوا لقضاء عمرتهم ، فخرجوا ، وأخرج معهم غيرهم . فكان المسلمون ألفين وساق ﷺ ستين بدنه ، وأحرم من باب مسجد ذي الحليفة وسار ملياً حتى دخل مكة . وقضى عمرته هو ومن معه ونحروا هديهم وأقام بمكة ثلاثاً . ثم أرسلت

إليه قريش أن قد انقضى أجلك ، فأخرج عنا . وكانوا قد اشترطوا ذلك في صلح الحديبية ، فأمر ﷺ بالرحيل حتى قدم المدينة في ذي الحجة .

ثم كانت « سرية ابن أبي العوجا السلمي » في ذي الحجة المذكورة في خمسين رجلا . إلى بني سليم . فنذروا به وجمعوا له ، فقاتلهم حتى قتل عامة أصحابه ، واثخنوه بالجراح ، ثم تحامل حتى قدم المدينة .

وفي صفر سنة ثمانى قدم خالد بن الوليد . وعمر بن و العاص ، وعمر بن طلحة على رسول الله .

وفي صفر هذا كانت سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد ليغير على بني الملوح من بني ليث في ربيع الأول سنة ثمانى ، فخرج في بضعة عشر رجلا . فبيتهم ليلا فقتل المقاتلة وسبي الذرية ، واستاق الماشية ، وانحدروا إلى المدينة . فلحقهم من المشركين ما لا قبل لهم به ، فلما كان بينهم وبين المشركين الوادي ، أرسل الله سيلا فملأه ، فلم يستطع المشركون أن يجتازوه فوقفوا ينظرون إليهم حتى فاتوهم فقدموا المدينة .

ثم كانت « سرية كعب بن عمير الغفاري » إلى ذات الطلاح وراء وادي القرى في خمسة عشر رجلا ، فقاتلوا حتى قتلوا ، وأفلت منهم رجل جريح ، حتى أتى المدينة ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ .

وكانت « سرية شجاع بن وهب » إلى النساء وهو ماء بناحية ذات عرق إلى وجره يريد بني عامر موكبه في ربيع الأول ومعه أربعة وعشرون رجلا ، فخرج حتى أغار على القوم وهم غادون ،

فأصاب نِعْماً ، وشاء ، وسبايا ، فقدم وفدهم مسلمين ، فرد عليهم رسول الله ﷺ السبايا .

ثم بعث النبي ﷺ قطبة بن عامر في عشرين رجلاً إلى حي بن خثعم بناحية تبالة ، فقاتله القوم قتالاً شديداً فانصر عليهم فحاز الماشية ، والذرية .

ثم كانت «غزوة مؤته» وهي قرية دون دمشق ، في جمادى الأولى وسببها أن الحرث بن عمير ، لما قدم إلى صاحب بصرى بكتاب رسول الله ﷺ ، أخذه شرحبيل بن عمر الغساني ، فضرب عنقه فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وندب الناس .

وقال زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد ، فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر ، فعبد الله بن رواحة ، وزاد في رواية فإن أصيب عبد الله بن رواحة ، فليتربص المسلمون رجلاً يجعلونه عليهم ، وعقد لواء أبيضاً ، ودفعه إلى زيد بن حارثة ، فخرج إلى مؤته في ثلاثة آلاف .

وسمي هذا الجيش جيش الأمراء ، وسمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم ثم التقوا فاخذ اللواء زيد بن حارثة ، فقاتل حتى قتل طعنا بالرمح ، ثم اخذه جعفر ونزل عن فرسه ففقرها ثم قاتل حتى قتل ، وروي أنه وجد فيما أقبل من يديه اثنتان وسبعون من ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، وقاتل حتى قتل ، وسقط اللواء ، فاختلط المسلمون والمشركون .

فأخذ اللواء ثابت بن أقرم وصاح بالمسلمين ، فانضموا إليه ،

فدفع اللواء إلى «خالد بن الوليد» فثبت للمشركين وانحاش-----
بالمسلمين .

وروي أن النبي ﷺ لما التقى الناس بمؤتة . جلس على المنبر
وكشف له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى معتركهم فقال « أخذ
الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة . وكره إليه
الموت . فقال : الآن حيث استحکم الايمان في قلوب المؤمنين
يجب إلي الدنيا ، فمضى قدماً حتى استشهد فدخل الجنة وهو
يسعى ، ثم أخذ الراية جعفر عليه السلام ، فجاءه الشيطان فذكر
له نحو ما تقدم . ثم قال : فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت
حيث شاء منها . ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحه فاستشهد ،
فدخل معرضاً ، فقيل : يا رسول الله ما لإعراضه ؟ قال : لما أصابته
الجراح نكل فعابت نفسه ، فشجع فاستشهد فدخل الجنة » ذكر
ذلك في الامتاع مع زيادات .

وفي سيرة ابن هشام « أن جعفرأ أخذ الراية بيمينه فقطعت ،
وأخذها بشماله فقطعت . فاحتضنه بعضديه حتى قتل ، فأثابه الله
تعالى بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء » .

ثم كانت «غزوة ذات السلاسل» وهو ماء وراء وادي القرى ،
على عشرة أميال من المدينة . وسببها أن جمعاً من بلى وقضاعة ،
تجمعوا ليدنوا من أطراف المدينة ، فعقد ﷺ لعمر بن العاص
لواء أبيضاً . وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في جمادى الآخرة
سنة ثمانى ، على ثلاث مائة من المهاجرين والأنصار ، وأمره
أن يستعين بمن مر به من قبيلة بلى وعذره وبلقين وذلك أن عمرو
كان ذا رحم فيهم ، كانت أم العاص بن وائل بلوية ، فأراد

النبي ﷺ أن يتالفهم بعمره ، فسار يكمن النهار ويسيرا لليل ، ثم بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين كأبي بكر وعمر وعدة من الأنصار في مائتين ، وأمره أن يكونا جميعاً ولا يختلفا فسارا حتى بلغا أقصى بلاد بلى ، ولقيا في آخر ذلك جمعاً فقاتلوهم فانهزموا ، وأقاموا أياماً ييثون السرايا ، فتعود بالشاء والنعم ولم يكن أكثر من ذلك والله أعلم .

وكانت «سرية الخبط» أميرها أبو عبيدة بن الجراح ، بعثه رسول الله ﷺ في شهر رجب ، ومعه ثلاثمائة رجل إلى حي من جهينة بساحل البحر يسرون ، فنفذت أزوادهم وأصابهم جوع شديد حتى كادوا يأكلون الخبط ، ثم وجدوا حوتاً بساحل البحر فأكلوا منه إثنتي عشرة ليلة ، وأمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصبت ومر تحتها بغير برحله وراكبه ، وكان يجلس في وقب عينه جماعة من الناس .

ثم كانت «سرية خضره» من أرض محارب بنجد ، أميرها أبو قتادة الأنصاري في شعبان سنة ثمان في خمسة عشر رجلاً ، إلى غطفان فساروا ليلاً وكنوا نهاراً حتى أتوا ناحيتهم فهجموا على حاضر منهم عظيم ، وجردوا سيوفهم وكروا فقتلوا رجلاً واستاقوا النعم ، وحملوا الذرية حتى قدموا المدينة بمائتي بغير وألف شاة وسبي كثير .

ثم كانت سرية «أبي قتاده» ، إلى بطن ذي إضم . وهي ذي خشب وذي مروة على ثلاثة برد من المدينة ، في رمضان ، ومعه ثمانية رجال ، وذلك حين هم النبي ﷺ بغزوة الفتح ليوم أنه يريد تلك الناحية .

ثم كانت «غزوة الفتح» وسببها أن أنس بن ريم الديلي هجا رسول الله ﷺ فسمه غلام من خزاعة . فضربه فشجه فهاج الشر بين بني بكر . حلف قريش . وبين خزاعة حلف رسول الله ﷺ . فسألت بنو بكر قريشاً أن يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك . وخرج معهم نفر منهم . فبيتوا بني كعب من خزاعة على ماء يقال له الوثير قريب من مكة وهم آمنون فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلاً وحملوهم إلى الحرم ، ثم ندمت قريش . وعلموا أن الذي فعلوه نقض للعهد الذي بينهم وبين النبي .

وقدم عمر بن سالم الخزاعي على رسول الله ﷺ فأنشده رجزاً واستصرخه وأخبره الخبر ، فقام رسول الله ﷺ وهو يجر ثوبه ويقول : « لا نصرت إن لم أنصر بني كعب » الخبر . ثم تجهز رسول الله ﷺ وأخفى أمره ، وأمر الناس بالجهاز ، وطوى عنهم الوجه الذي يريد وقال ﷺ : اللهم أعم الأخبار عن قريش . حتى تأتيهم بغتة ، أو كما قال . وأمر النبي بحفظ الطرق .

وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ليتخذ بذلك عندهم يداً يحفظون بها أهله بمكة ؛ فجاء الوحي إلى النبي ﷺ بذلك .

فبعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام والزبير فأدركا المرأة التي حملت الكتاب ، وأخذاه منها وإتيا به إلى النبي ﷺ ، فعنف حاطباً على ذلك ثم عفى عنه لما كان من أهل بدر ، الخبر . وأنزل الله تعالى في ذلك أول سورة الممتحنة .

ثم أذن رسول الله بالرحيل لليلتين خلتا من شهر رمضان ، واستنفر أعراب المسلمين وسار حتى انتهى إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين ، فأخذها عنوة على الصحيح ، فمن على أهلها وسماهم الطلقاء كما ذلك مبسوط في مواضعه من كتب الحديث والسير .
ثم بث سراياه إلى من لم يسلم حول مكة .

وبعث « خالد بن الوليد إلى بني جذيمة » يدعوهم إلى الاسلام ونهاه عن القتال ، فلما انتهى إليهم قالوا : نحن مسلمون ، قال فاستأسروا ففعلوا ثم أمر بضرب أعناقهم فقتل بعضهم ، وبلغ ذلك النبي ﷺ فكره ذلك ورفع يديه حتى روي بياض إبطيه وهو يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ».

ثم بعث علياً عليه السلام فودى لهم كل ما أصيب منهم حتى أنه ليدى لهم ميلغة الكلب (١) وبقي معه بقية من المال فقال هذه البقية لكم عن رسول الله ﷺ مما أصاب خالد مما لا يعلمه ولا تعلمونه . ثم عاد إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فقال : أصبت . الخبر .

ثم كانت « غزوة حنين » وهو واد بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف ، وذلك أن أشراف هوازن وثقيف حشدوا وجعلوا أمرهم إلى مالك بن عوف النضري وهو ابن ثلاثين سنة فجاءوا بأموالهم ، ونسائهم . وأبنائهم . يريدون حرب النبي ﷺ فخرج إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت لست خلون من شوال سنة ثمانى . وخرج معه إثنا عشر ألفاً . منهم ألفان من أهل

(١) الميلغة : إناء من خشب يُحفر ويُجعل فيه ماءٌ ليبلغ فيه الكلب .

مكة ، حتى لقي المشركين بحنين ، وكان راكباً بغلته (دلدل)
فحمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد .

فانكشف المسلمون حتى بلغ أولهم مكة فيما يقال .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وثبت رسول الله ﷺ يركض بغلته نحو العدو ويقول : أنا
النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب (١) .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

وكان عمه العباس أخذ بحنكة البغلة ، وعمه أبو سفيان بن
الحارث بن عبد المطلب ، أخذ بركابه .

ومولانا علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه في الجنة يقاتل بين
يديه ، وأمر ﷺ عمه العباس فنادى : يا معشر الأنصار ، يا
أصحاب الشجرة وكان رجلاً صيتاً ، فأقبلوا كأنهم الإبل
يقولون : لبيك ، لبيك وأخذ ﷺ بيده كفاً من الحصى فرمى
العدو بها وقال : « شأهت للوجه » ثم قال : « إنهمزوا ورب الكعبة »
فما زال أمرهم مدبراً ولم يبق أحد منهم إلا وهو يشكو القذى
في عينيه من رمية رسول الله ﷺ وقذف الله الرعب في قلوبهم
وأيد الله رسوله بملائكته فرآهم المشركون على خيل باق ، عليهم
يومئذ عمائم حمراء فانهمز المشركون وأتبعهم المسلمون يقتلونهم
وحازوا جميع الأموال والذرية .

ثم كانت « غزوة الطائف » وذلك أن المشركين لما انهزموا من
حنين لحقوا بالطائف ، فبعث النبي ﷺ بالسبي والغنائم إلى
الجعرانة وتوجه نحو الطائف ، وقد تحصن فيه المشركون واستعدوا
للحرب ، فنزل النبي ﷺ قريباً من حصن الطائف وعسكر

(١) الحملة هذه لم تذكر في سيرة بن هشام ، وإن صحت فهي ليست شعراً بل
نوع من السجع ، تمت .

هناك ، فرموا بنبل كثيرة أصيب به جماعة من المسلمين فتحول عليه السلام بعسكره إلى حيث لا يصيبهم النبل ، وثار المسلمون إلى القتال وحاصروا المشركين في الحصن ثمانية عشر يوماً ، وقيل أربعين يوماً .

ونصب عليهم النبي عليه السلام المنجنيق ، واستشهد جماعة من المسلمين ، ثم أمر عليه السلام بالرحيل ، ولما ارتحل عنهم قيل له يا رسول الله أدع على ثقيف ، فقال عليه السلام : « اللهم أهد ثقيفاً وأئت بهم » وسار النبي عليه السلام إلى الجعرانة وبها السبي والغنائم محبوسة ، وقد اتخذ للسبي حظائر يستظل بها من الشمس ، فأنتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس خلون من ذي القعدة ، وبعث إلى مكة من يشتري ثياباً فكساها .

وكان السبي ستة آلاف نسمة ، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أربعين ألفاً ، وقيل أكثر ، والفضة أربعة آلاف أوقية وغير ذلك ، ثم بدأ عليه السلام بالأموال فخمسها . وأعطى المؤلفلة قلوبهم ، وقسم بين الناس على السهمان .

وقدم وفد هوازن ، وهم أربعة عشر رجلاً فقالوا يا رسول الله إنا أهلك وعشيرتك ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، وإن في هذه الحظائر عماتك ، وخالاتك . وحواضنك . إلى آخر كلامهم . فقال رسول الله عليه السلام : إن أحسن الحديث صدقه ، وعندي من ترون فأبناؤكم ونساؤكم . أحب إليكم أم الأموال ؟ فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، وما كنا لنعدل بالأحساب شيئاً فرد علينا أبناؤنا ونساؤنا . فرد عليهم رسول الله عليه السلام أبنائهم ونسائهم برضاء المسلمين . فأقام رسول الله

بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة . ثم اعتمر منها . واستخلف على مكة عتاب بن أسيد ، وهو ابن عشرين سنة ورجع ﷺ إلى المدينة . فقدم إليها لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ثمانى .

ثم كانت «بعثة الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق» ليأخذ صدقاتهم ، فخرجوا يتلقونه بالجذور والغنم سروراً به ، فولى راجعاً إلى المدينة ، وأخبر أنهم تلقوه بالسلاح ليحيلوا بينه وبين الصدقة وبلغهم ذلك . فقدم وفدهم على النبي ﷺ فأخبره ، فتزلت الآية للكريمة : (يا أيها الذين آمنوا إن جئكم فاسق نبأ) الآية .

وكانت «سرية قطبة بن عامر الأنصاري» إلى خثعم ببعض مخاليف مكة في عشرين رجلاً في صفر سنة تسع .

ثم كانت سرية الضحاك بن سفيان الكلابي ، إلى بني كلاب المستهل ربيع منها فدعاهم إلى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم .

وكتب رسول الله ﷺ إلى حي من العرب ، يقال لهم بنو حارثة بن عمر يدعوهم إلى الاسلام ، فأخذوا الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها دلوهم وأبوا أن يجيبوا فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : « ما لهم أذهب الله عقولهم » فصاروا أهل رعدة وجلة وكلام مختلط .

ثم كانت «سرية علقمة بن محرز المدلجي» في ربيع الآخر إلى ساحل بناحية مكة ، في ثلاثمائة رجل وكأن أمر على طائفة من جيشة عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعابة فأمر أصحابه أن يتواثبوا في النار إن كانوا مطيعين له ، فهموا بذلك ، فقال : إنما كنت أضحك معكم ، فبلغ ذلك للنبي ﷺ فقال : « من أمركم

بمعصية فلا تطيعوه » وروي أنه قال : « لو دخلوها لما خرجوا منها » أو كما قال .

ثم كانت « سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة » إلى القلص صنم طي ، في شهر ربيع الأول ، في خمسين ومائة رجل ، ووجوه الأنصار معهم مائة بعير وخمسون فرساً فشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي ومن معهم فملأوا أيديهم من السبي وللنعم والشاء .

وهدم علي رضي الله عنه صنمهم القلص .

وكان في السبي سفيانة بنت حاتم الطائي أخت عدي بن حاتم ووجد في بيت حاتم ثلاثة أسياف ، وثلاثة أدرع ، فخمس رضي الله عنه الجميع . وقسم البقية بين الغانمين ، وجعل الأسياف صفايا لرسول الله ﷺ واسم تلك السيوف ، الرسوب ، والمحذم ، واليماني .

وترك آل حاتم لم يقسمهم ، وقدم بهم على رسول الله ﷺ وكان عدي بن حاتم قد فر إلى الشام لما سمع باقبال علي رضي الله عنه فكانت ابنة حاتم إذا مر عليها النبي ﷺ تقول : هلك للوالد وغاب الوافد ، فأمن علينا من الله عليك . فيقول : ومن وافدك ؟ فتقول : عدي بن حاتم ؛ فيقول : الفار من الله تعالى ورسوله حتى يشت ، فلما كان اليوم الرابع مر عليها فلم تكلمه ، فأشار إليها علي رضي الله عنه ، أن تكلمه فكلمته . فمن عليها وحملها مع من يثق به .

فقدمت على أخيها عدي بالشام ، فحسنت له القدوم على رسول الله ﷺ فقدم فأسلم .

هذا حاصل القصة ، وقد رويت بأحاديث متعددة ، بسيطة ومختصرة والله أعلم وأحكم .

ثم كانت « غزوة تبوك » في شهر رجب سنة تسع .
وسببها أنه شاع بالمدينة أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وأجلبت معهم قبائل ممن يليهم من العرب ، وقدموا مقدماتهم إلى اللقاء ولم يكن شيء من ذلك .

وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلا وري بغيرها حتى كانت غزوة تبوك . فانها كانت في حر شديد واستقبل ﷺ -
سفرأ بعيداً وعدداً كبيراً فخلا للناس أمرهم وأخبرهم بالوجه الذي يريده ليتأهبوا لذلك أهبته .

وبعث ﷺ إلى جميع القبائل وإلى مكة يستنفرهم ، وحرص على الجهاد ورغب في الصدقة . فجاء المسلمون حتى النساء منهم بصدقات كثيرة ، وكان عثمان رضي الله عنه ، أكثر الناس نقمة يومئذ ، وعسكر ﷺ بشية الوداع ، فكان العسكر ثلاثين ألفاً ، وقيل أربعين ألفاً ، وقيل سبعين ألفاً ، وكان معهم عشرة آلاف فرس وإثني عشر ألف بعير .

وسار ﷺ وأمر علياً رضي الله عنه أن يخلفه في المدينة ، فشق عليه ذلك ، فقال له : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » ، وتخلف عنه المنافقون أكثرهم والمعذرون من الأعراب وقليل من المؤمنين أبطأت بهم النية وهم الثلاثة الذين ذكرهم الله عز وجل وتاب عليهم ، وكان خرج في العسكر جماعة من المنافقين فكانوا يتكلمون بما فيه طعن

على رسول الله ﷺ وتوهين لأمره ، فأطلعه الله على ذلك ، فلما أنبأهم به أنكروه بعضهم ، وحلفوا : ما قالوا شيئاً قال بعضهم : إنما كنا نخوض ونلعب ، ولما أمسى النبي ﷺ ذات ليلة في طريقه قال : « إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقوم من منكم أحد إلا ومعه صاحبه ، ومن كان له بعير فليوثق عقاله » فهاجت ريح شديدة فلم يقم أحد إلا ومعه صاحبه إلا رجلان من بني ساعدة ، فخرج أحدهما لحاجته فصرع وخرج الآخر في طلب بعير له ، فاحتملته الريح حتى طرحته . بجبلي طي ، فقال النبي ﷺ : « ألم أنهكم » ثم مسح على المصروع فشفي وقدمت طي بالآخر إلى المدينة بعد ذلك وأصبحوا ذات يوم ولا ماء معهم ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة ودعا وما يرى في السماء سحب ، فما زال يدعو حتى تألف السحاب ولم يقم من مقامه حتى سحت السماء بالرواء فسقى الناس وارتووا عن آخرهم ، وقال رسول الله ﷺ يوماً : « إنكم ستأتون غداً إنشاء الله تعالى عين تبوك ، وإنكم لن تأتون حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس شيئاً من مائها حتى آتي » فسبق رجلان من المنافقين والعين تنبض بشيء من ماء ، فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما شيئاً من مائها ؟ قالا نعم ، فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا بأيديهم قليلاً قليلاً حتى اجتمع في إناء ثم غسل فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجاشت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال ﷺ لمعاذ : « يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً » . ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، ولم يجد شيئاً مما كان بلغه عن الروم . فرجع إلى المدينة وكان في هذه الغزوة ظهور آيات باهرة وكرامات لرسول الله ﷺ ظاهرة .

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندول من تبوك في أربعمائة وعشرين ، فارساً وكان أكيدر من ملوك كنده ، وكان نصرانياً . وقال رسول الله ﷺ لخالد : «إنك ستجده يصيد البقر فأتوا به ، وإن أبا فاقتلوه » فسار خالد ، حتى إذا كان بمرأى العين من حصن أكيدر في ليلة مقمرة وهو على سطح له ومعه امرأته ، أقبلت بقر الوحش تحل بقرونها باب الحصن ، فأشرفت امرأته فرأت البقر فقالت : ما رأيت كالليلة من يترك مثل هذا ؟ فقال : لا أحد قال أكيدر بعد ذلك والله ما جئنا البقر قط إلا تلك الليلة ولقد كنت أضمر لها الخيل إذا أردت أخذها شهراً أو أكثر فأمر بفرسه . فأسرج وألجم وركب معه أخوه حسان ، ومعه نفر من أهل بيته ، فخرجوا من الحصن وحملت عليهم خيل المسلمين ، فأسروا أكيدر وقتل أخو حسان وأخذ خالد سلبه ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ .

ثم صالح الأكيدر على ألفين بعير . وأربعمائة درع وأربعمائة رمح على أن ينطلق به وبأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما بحكمه ، فقدم خالد بهما على رسول الله ﷺ فصالحهما- النبي ﷺ على الجزية وكتب لهما كتاباً ، وصالح رسول الله ﷺ في هذه الغزوة أهل تيماء ، وأيلة ، وحربا ، ومقنا ، على الجزية ، وكتب لهما كتاباً يشتمل على شروط لهم وعليهم .

وكانت « غزوة » تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه . وجاءه ﷺ نفر من سعد هذيم وقالوا : يا رسول الله ، إنا قدمنا إليك وتركنا أهلنا على بشر لنا قليل ماؤها فادع الله لنا في في مائنا . فقال ﷺ : إيتوني بحصيات فرفعوا إليه ثلاث حصيات ، فعركهن النبي ﷺ بيده ثم قال : إذهبوا بهذه الحصيات إلى بشركم

فأطرحوها فيها واحدة واحدة ، وسبحوا الله تعالى ، فانصرفوا ففعلوا ذلك فجاشت بثرهم بالرواء ، الخبر .

وكان في أداة أبي قتادة يوماً قليل ماء فقال ﷺ : احتفظ بما في الأداة فان لها شأنًا ، فلما كان حين الزوال عطش الناس عطشاً شديداً فدعا رسول الله ﷺ بما في الأداة فأفرغه في ركوة ووضع أصابعه عليه فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا ، وفاض الماء حتى أرووا خيلهم وركابهم وارتووا عن آخرهم .

ثم كانت حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع . وبعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام على أثره « لينبذ إلى المشركين ويقرأ عليهم براءة ويعهد إلى الناس أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عرياناً » الخبر .

وعن أنس قال : « بعث رسول الله ﷺ البراءة مع أبي بكر ثم دعاه فقال لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي ، فدعى علياً رضي الله عنه ، فأعطاه إياها » أخرجه البخاري . وفي رواية عن ابن عباس ثم أتبعه علياً ، الخبر .

ثم كانت « غزوة علي كرم الله وجهه إلى اليمن » في شهر رمضان سنة عشر ، عقد له رسول الله ﷺ لواءً وعممه بيده ، وخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج . ولقي جمعاً منهم فدعاهم إلى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة ساعة وحمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً وانهزموا فلم يتبعهم ، ودعاهم إلى الاسلام فأجابوا وبايعه نفر منهم من رؤسائهم على الاسلام ، وقالوا : نحن على من وراءنا وهذه صدقاتنا ، الخبر .

وأصاب المسلمون في أثناء ذلك غنائم : وكتب علي كرم الله وجهه إلى رسول الله ﷺ يخبره بما صنع فأجاب عليه السلام بأن يوافيه في الموسم . فقدم علي كرم الله وجهه في الجنة على رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع ، وقد أحرم بما أحرم به رسول الله ﷺ فأشركه في هديه .

فهذا ما بلغنا من المغازي والبعوث التي أشار إليها الامام عليه السلام على وجه الاختصار والله الموفق للصواب . وقد تضمن ذلك ذكر بعض ما أجراه الله تعالى على يد نبيه ﷺ من الآيات التي أشار إليها الامام عليه السلام ، وذلك قطرة من بحر .

وقد ذكر الحاكم أبو سعيد وغيره أن لرسول الله ﷺ ألف معجزة وذلك مبلغهم من العلم ، ولعل ما خفي عنهم أكثر مما انتهى إليهم والله أعلم .

وقال الامام عليه السلام في قوله « في كل ذلك آيات البيت » أي في كل ما تقدم ذكره من أيامه الشريفة . ومغازيه وسائر أحواله المنيرة آيات بينات ، ومعجزات باهرات ، وكرامات ظاهرات قال السهيلي : بلغت معجزات النبي ﷺ ألفاً ، وقال النووي : تزيد على ألف ومائتين ، وقال بعضهم : ثلاثة آلاف .

وقال القاضي عياض في الشفاء لعلم أن معجزات النبي ﷺ مع كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحداً منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر ، لأن النبي قد تحدى بسورة منه ، فعجزوا عنها ، وأقصر السور (إنا أعطيناك الكوثر) فكل آية منه أو آيات بعددها أو قدرها معجزة ، ثم

فيها نفسها معجزة ، وإذا كان هكذا ففي القرآن العظيم من الكلمات نحواً من سبعة وسبعين ألف كلمة . وعدد (إنا أعطيناك الكوثر) عشر كلمات ، فتجزئة القرآن على عددها نحو من سبعة آلاف جزء ، كل جزء منها معجزة في نفسه اهـ .

٨٨ * (مِثْلُ الْحَنِينِ وَنَبْعِ الْمَاءِ بِأَنْمِلِهِ

والكفُّ منه وَتَسْبِيحُ الْحَصِيِّ فِيهِ) *

٨٩ * (وَمَوْتُ جَمْعٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ بِدَعْوَتِهِ

كَذَلِكَ إَحْيَاءُ أَمْوَاتٍ بِنَادِيهِ) *

٩٠ * (وَكَمْ أَعِدُّ وَكَمْ أُحْصِيهِ فِي قِصَصِ

وَهَلْ يَطِيقُ عَدِيدُ الشَّهْبِ نَاوِيَهُ) *

عن جابر قال : « كان في مسجد رسول الله ﷺ جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله في خطبته . فاما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار . حتى نزل رسول الله ﷺ فوضع بيده عليه » هذه إحدى روايات البخاري .

وفي رواية النسائي قال : « كان رسول الله ﷺ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد ، فلما صنع المنبر واستوى عليه اضطربت وحتت تلك السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها النبي ﷺ فاعتنقها » وعن ابن عمر قال : « كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع . فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحن الجذع فأثاه فمسح بيده عليه » أخرجه البخاري ، والترمذي نحوه . .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ خطب إلى لزيق جذع ، واتخذوا له المنبر . فخطب إليه . فحن الجذع حنين الناقة . فنزل النبي إليه فسكن ؛ أخرجه الترمذي .

وأما أحاديث نبع الماء فهي كثيرة . وقد تقدم ذكر شيء منها ، وعن أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صالة العصر فالتمس الناس الوضوء . فلم يجدوه فأتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء وأمر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه . فتوضأ الناس وفي رواية قال : إن النبي ﷺ دعى بماء فأتي بقدر رحراح فجعل القوم يتوضئون فحزرت القوم ما بين الستين إلى الثمانين قال : فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه ، أخرجه البخاري ومسلم .

وفي رواية لهما : قال : أتى النبي ﷺ باناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء . فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضى القوم ، قال قتادة : قلت لأنس كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة ، وفيه روايات أخر .

وعن جابر ، قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضى منها . ثم أقبل الناس نحوه فقال مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضى به أو نشرب إلا ما في ركوتك ، قال : فوضع النبي ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، قال : فشربنا ، وتوضينا ، فقلت لجابر : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا وقد كنا خمس عشرة مائة ؛ هذه رواية البخاري ، وله ولمسلم بمعناه ونحوه .

وعن ابن مسعود ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقل الماء ، فقال : أطلبوا لي فضلة من ماء ، فجاءوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الاناء ، ثم قال : حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل ، أخرجه البخاري والترمذي . وللنسائي نحوه .

قال الامام عليه السلام في نظمه : والكف منه ، إشارة إلى ما رواه أبو نعيم من حديث ابن عباس قال : دعى النبي بلالا بماء فلم يجده ، فأتاه بشي فيه ماء ؛ الحديث وفيه فبسط كفه فيه ، فنبعت تحت يده عين فجعل ابن مسعود يشرب ويكبر ٥١ .

وأما تسبيح الحصى بكفه فقد روي ذلك في يوم بدر وحين أنه لما أخذ الحصى بكفه الطاهرة ليرمي به وجه العدو ، سمع تسبيحه بكفه ، قبل أن يرمي به .

وأما إمامة الأحياء وإحياء الأموات له . فقد تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك . وفي بيت الامامة والاحياء مطابقة بديعة .

وقال الامام عليه السلام في قوله : كذاك إحياء أموات بناديه . روي عن أنس أن شاباً من الأنصار توفي وله أم عجوز ، فسجيناها وعزيناها ، فقالت : أو مات إبني ؟ قلنا نعم ؛ قالت : اللهم إن كنت تعلم أنني هاجرت إليك . وإلى نبيك . رجاء أن تعينني على كل شدة . فلا تحملن علي هذه المصيبة . فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه ، فطعم وطعمنا . حكاه القاضي عياض في الشفاء .

وذكر السهيلي وغيره عن محمد بن أبي الزيد ، عن عروة .

عن عائشة « أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه ، فأجابهما وآمنا به » .

قال ابن كثير وهو غريب منكر مخالف لحديث : إن أبويه في النار ونهيه عن الاستغفار لهما . لكن قواه القرطبي . في تذكرته ، وتكلم عليه كلاماً حسناً والله أعلم وأحكم بالصواب .

- * (وَكَانَ فِي غُرٍّ مِنْهَا مُشَابِهَةً
لِصُنْوِهِ الْمُرتَضَى الْمِقْدَامِ تَالِيهِ) * ٦١
- * (بِخَيْرٍ بَعْدَ بَدْرٍ وَالْمِبَاهِلَةِ الـ
لَسْتِي لِأَهْلِ كِسَاءٍ كَانَ يُؤْلِيهِ) * ٦٢
- * (قَدْ بَيَّنَّ النَّفْسَ وَالْأَبْنَاءَ فِيهِ مَعَ الـ
نِّسَاءِ وَالنَّصَّ فِي الْقُرْآنِ تَالِيَهُ) * ٦٣
- قد تقدم بعض أحاديث في ذكر هذه الفضائل .

وعن سهيل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه . يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » ؛ قال : فبات الناس يدركون ليلتهم أنفسهم أبهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ؛ قال : فأرسلوا إليه ، فأتي به فبصق في عينيه ، ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، وأعطاه الراية « الخبر أخرجه البخاري ومسلم . وفي حديث أخرجه مسلم عن سلمة بن الأكوع ، ما لفظه : « ثم أرسلني ، يعني النبي

إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو أرمد » وقال :
« لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله »
قال : فأتيت علياً ، فجئت به أقوده وهو أرمد ، حتى أتيت
رسول الله ﷺ فبصق في عينيه ، فبرأ وخرج مرحب فقال :
قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي كرم الله وجهه :
أنا الذي سمتني أمي حيدر كليل غابات كربه المنظره
أو فيهم بالصاع كيل السندره
قال : فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على
يده » هـ .

والأحاديث في ذلك كثيرة قوية .
وأما ما حكاه ابن هشام في سيرته أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن
مسلمة الأنصاري بأخيه محمود بن مسلمة . فأباً ذلك مع ما تقدم
ما حكاه هو وغيره أن النبي ﷺ دفع كنانة بن الربيع بن أبي
الحقيق إلى محمد بن مسلمة ليقتله بأخيه محمود ، كما لا يخفى
والله أعلم .

وأما أحاديث بدر . فمنها ما رواه علي كرم الله وجهه قال :
لما كان يوم بدر تقدم عتبة بن ربيعة . وتبعه إبنه وأخوه فناديا :
من يبارز ؟ فانتدب له شباب من الأنصار . فقال : ممن أنتم ؟
فقالوا له . فقال : لا حاجة لنا فيكم ، إنما أردنا بني عمنا ،
فقال رسول الله ﷺ « قم يا حمزة ، قم يا علي ، قم يا عبيدة
بن الحرث ، فأقبل حمزة إلى عتبة . وأقبلت إلى شيبة ، واختلف

بين عبدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبده « هكذا ، أخرجه أبو داود .

وفي رواية ذكرها رزين ، قال علي فأما أنا وحمزة فأنجزنا صاحبنا ، وأما عبدة والوليد فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، وذكره ، وقد روي أن الذين قتلهم علي كرم الله وجهه يوم بدر خمسة وأربعين ، وقتل باقي الناس خمسة وعشرين .

ولذلك قال بعض العلماء : وهل كانت بدر كلها إلا لعلي كرم الله وجهه .

وأما أحاديث المباهلة . فقد تقدم بعض رواياته .

وأما حديث الكسا : فعن أم سلمة أن النبي ﷺ جلى على الحسن ، والحسين ، وعلي وفاطمة ، ثم قال : « اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وحاميتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : إنك إلى خير « أخرجه الترمذي .

وعن عمر بن أبي سلمة ، قال : « نزلت هذه الآية على النبي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) في بيت أم سلمة ، فدعى النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجلبهم بكساء وعلي خلف ظهره ، ثم قال : اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على مكانك ، وأنت إلى خير « أخرجه الترمذي .

وعن عائشة ، قالت : « خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرجل أسود فجاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين ، فأدخله ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » أخرجه مسلم والله أعلم .

٩٤ * (وَإِنْ يَكُنْ فِي فَتَى مِنْ صُحْبَةٍ شَرَفَ

سَامٍ فَإِنَّ عَلِيًّا فِيهِ مَا فِيهِ) *

قد تقدمت رواية المستدرک . عن الامام أحمد بن حنبل ، وهو إمام أهل النقل بلا خلاف أنه قال : ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ، ما جاء لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وقد تقدم بعض أحاديث فضائله ، وهي أكثر من أن تحصى ، ومع قطع النظر عن الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في فضائله ، فمعلوم عند كل عاقل أن الأفضلية إنما تكون بالزيادة في خصال الفضل التي هي السبق في الاسلام . والعلم ، والزهد والجهاد ، والشجاعة ، والفصاحة ، والقراءة من رسول الله ﷺ ونحو ذلك ، ولا شك في أنه لم يكن لأحد من الصحابة كل الذي لعلي عليه السلام ، من هذه الخصال ، ولا كان فيهم من يساويه فيها ، ولا يدانيه

وليس يصح في الافهام شيء . إذا احتاج النهار إلى دليل قال الامام عليه السلام : كل فضيلة وردت للصحابة رضي الله الله عنهم . في القرآن العظيم . أو في السنة النبوية . سنة النبي ﷺ

من أمر السبق في الاسلام والهجرة . والنصرة . والتربية والاختصاص
والجهاد ، والخلافة . والنقابة . والولاية . والنيابة ، والشهادة
بالجنة ، والتفسير . والعلم بالكتاب والسنة . والأمر من الله
سبحانه للرسول بالتحية ، وأخبار النبي ﷺ بالزيادة في المحبة ،
والأفضلية والمشاركة له ﷺ في الاختصاصات الإلهية ، وغير
ذلك مما لا يحيط به العد . ولا يشملہ الحد ، من الفضائل الدينية ،
والدنيوية . فان علياً عليه السلام يختص بكثير منها دون غيره
ويشارك غيره فيما شاركه غيره فيه من التفضيلات الصحابية .

بل علي عليه السلام أدخل في المشترك وأسبق وأفضل ، وإلى
ذلك قد أشارت الآيات القرآنية مثل آية المباهلة ، وآية الولاية ،
وآيات سورة الدهر وغير ذلك ما قد صنف فيه مجلدات ، ومن
الأحاديث مثل حديث المؤاخاة . وأنت مني . وحديث الطير ،
وغدير خم ، وسد الأبواب ، ودخول المسجد جنباً ، ومدينة
العلم . وأفضاكم علي .

وعلى الجملة فقد نص أكابر المحدثين من المخالفين والمؤلفين
بما أكثر لفظه أنه لم يأت لأحد من الصحابة بالأسانيد الجياد في
الفضل والتفضيل مثل ما أتى لعلي كرم الله وجهه .

وقد أشار إلى ذلك ، بل نص عليه الصحابي النبيل الذي أقام
رسول الله ﷺ شهادته وحده ، بشهادتين يوم بايع لعلي عليه
السلام بقوله شعراً :

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس إنه أظب قریش بالكتاب وبالسنن

وإن قریشاً ما تشق غباره إذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم كل الذي فيه من حسن

* * *

وقال عند اختلاف الناس على علي بعد البيعة أبياتاً وهي قوله :
ويلكم إنه الدليل على الله وداعيه للهدى وأمينه
وابن عم النبي قد علم الناس جميعاً وصنوه وخدينه
كل خير يزينهم هو فيه وله فيهم خصال تزينه
ثم ويل لمن يبادر في الروع إذا ضمت الحسام يمينه
ثم نادى أنا أبو حسن القرم فلا بد أن يطيح قرينه

٩٥ * (كَمْ لِلْقَرَابَةِ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ شَرَفٍ

وَاللصَّحَابَةِ مِنْ نُبْلِ يُدَانِيهِ) *

قد تقدم بعض الأحاديث الدالة على أن النبي ﷺ صفوة
الصفوة من بني آدم . وأنه خيرهم فرقة ، وخيرهم قبيلة ، -
وخيرهم بيتاً وكفى بذلك دليلاً على فضل ذوي قرابته ﷺ لمشاركتهم
إياه في ذلك .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أحبوا الله لما
يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله . وأحبوا أهل بيتي
لحبي » أخرجه الترمذي .

وعن علي كرم الله وجهه في الجنة . أن النبي ﷺ أخذ بيد
حسن وحسين وقال : « من أحبني وأحب هذين . وأباهما ،
وأمهما . كان معي في درجتي يوم القيامة » أخرجه الترمذي .
وعن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة ،

والحسن والحسين : « أنا حرب لمن حاربتم ، وسلم لمن سالمتم »
أخرجه الترمذي . وكفى بقول أصدق القائلين : (قل لا أسألكم
عليه أجراً إلا المودة في القربي) دليلاً على فضلهم المبين .

قال الامام عليه السلام : وفي فضائل القرابة عن سلمة بن الأكوع
عن النبي ﷺ أنه قال : « النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل
بיתי أمان لأمتي » أخرجه أبو يعلى الموصلي ، وهذا الحديث عند
أهل البيت من المشهور القريب من حد التواتر هـ .

وأما الأحاديث الدالة على فضل الصحابة رضي الله عنهم فهي
كثيرة أيضاً عامة وخاصة . فعن عمران بن حصين أن النبي ﷺ
قال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال
عمران فلا أدري . ذكر بعده مرتين أو ثلاثة » أخرجه البخاري
ومسلم والترمذي ، وفي معناه أحاديث أخرى .

وعن سعيد الخدري « قال : قال رسول الله ﷺ لا تسبوا
أصحابي . فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
ولا نصيفه » أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، ولمسلم نحوه من
رواية أبي هريرة ، وعن عبد الله بن مغفل قال : سمعت رسول
الله ﷺ يقول : « يبلغ الحاضر الغائب . الله الله في أصحابي لا
تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن
أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني
فقد آذى الله ، ومن آذى الله ، فيوشك أن يأخذه ، ومن يأخذه ،
فيوشك أن لا يفلقه » أخرجه الترمذي ، ولم يذكر يبلغ الحاضر
الغائب وأنهى حديثه عند قوله فيوشك أن يأخذه .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي ، فقولوا لعنة الله على شركم » أخرجه الترمذي .

٩٦ * (كَفَا طِمَ وَسَلِيلِيهَا كَذَاكَ بَنَاتُ الـ

طُهِرَ طِبْنَ كَمَا طَابَتْ دَرَارِيهِه) *

قد تقدم حديث عائشة وبريده الأسلمي أن فاطمة الزهراء كانت أحب النساء إلى رسول الله ﷺ وفي حديث أخرجه الترمذي عن حذيفة أن النبي ﷺ قال : « هذا ملك نزل ؛ لم ينزل إلى الأرض قط قبل هذه الليلة ، إستأذن ربه أن يسلم علي ، وأن يبشرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » وعن أم سلمه ، أن النبي ﷺ « دعا فاطمة عام الفتح فناجاها فبكت ، ثم حدثها فضحكت . قالت فلما : توفي رسول الله ﷺ سألتها عن بكائها وضحكها . قالت : أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموت فبكيك . ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران ، فضحكت » أخرجه الترمذي .

وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، أن رسول الله ﷺ قال لها : « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ » .

وعن المسور ابن مخرمه : قال النبي ﷺ « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة . إلا مريم ابنة عمران » أخرجه الحاكم في مستدركه ، وعن البراء قال : « رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه : يقول اللهم إني أحبه فأحبه ، أخرجه البخاري . ومسلم . والترمذي ؛

وللترمذي أيضاً أن النبي ﷺ « أبصر حسناً وحسيناً فقال : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . وعن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك ؟ فقال : « الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة ادعي لي إبنني فيشمهما ويضمهما إليه » أخرجه الترمذي وفي حديث أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال للحسن « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » وفي حديث أخرجه الترمذي عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال للحسن والحسين « هذان أبنائي وأبناء إبنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » أخرجه الترمذي . وعن عبد الرحمن بن أبي نعيم قال : كنت شاهداً لابن عمر ، وسأله رجل عن دم البعوض فقال : ممن أنت ؟ فقال : من أهل العراق ، قال أنظروا في هذا ، يسألني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ وسمعت النبي ﷺ يقول : « هما ريحانتي من الدنيا » وفي رواية : ما أسألهم عن صغيرة وما أجرأهم على كبيرة ، أخرجه البخاري .

وبنات النبي ﷺ أربع : فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم ونقدم ذكر إبنته « فاطمة » ولدت قبل النبوة بخمس سنين ، وتزوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام ، في السنة الثانية من الهجرة ، فولدت له الحسن والحسين ومحسناً (مات صغيراً) وزينب وأم كلثوم ورقية ، ثم ماتت بعد موت النبي ﷺ لسته أشهر على الصحيح ولها من العمر ثمانين وعشرون سنة على الأصح ، وغسلها علي عليه السلام وصلى عليها ودفنها ليلاً .

وأما « زينب » فولدت قبل النبوة بعشر سنين أو إحدى عشرة ، وهي أكبر بناته وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع قبل موت أمها خديجة رضي الله عنها ، وماتت بالمدينة سنة ثمان ونزل النبي ﷺ في قبرها .

وأما « رقية » فولدت قبل النبوة بنحو سبع سنين وتزوجها عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة وتوفيت يوم بدر .
وأما « أم كلثوم » فولدت قبل فاطمة ، وقيل قبل رقية وتزوجها عثمان بعد موت أختها ، سنة ثلاث ، وتوفيت سنة تسع للهجرة

وأما أولاده الذكور ﷺ فأولهم « القاسم » ولد قبل النبوة وكان به يكنى ، توفي وله سنتان ، و ثانيهم « عبد الله » ، ويقال له الطاهر وثالثهم « الطيب » ، وهما لقبان لعبد الله .

والرابع « إبراهيم » وأمه مارية القبطية سرية النبي ﷺ ولد بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمانية ومات في ذي الحجة سنة عشر وله ستة عشر شهرا على الصحيح .

وجميع الذكور والاناث المذكورين أولاده ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

وأما ذرية رسول الله ﷺ الذين أشار إليهم الناظم عليه السلام بقوله : ذرارية . فهم سوى ما تقدم : ذرية الحسنين عليهما السلام بذور الفضل الزواهر . وبحور العلم الزواجر . وغيوث الجود الهوامر . وليوث الحرب الهواصر . الجديرون بقول الشاعر :
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
وبما قيل فيهم :

أئمة حق والدعاة إلى الهدى وساسة إسلام وأهل أناة

ولقد أجاب الله فيهم دعوة جدهم المصطفى ﷺ حيث قال لعلي وفاطمة ليلة زفافهما « بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في خير وأخرج منكما كثيراً طيباً » فمن شاهد إنتشار نسلهما الطاهر في أقطار الأرض وخروج أئمة الحق منهم أولي الأبرام والنقض . وأعلم الناس جميعاً بالسنة والفرض ، علم يقيناً أن الله عز وجل إستجاب دعوة نبيه ﷺ السراج المنير ، بأن أخرج منهما النسل الطيب الكثير . ولا يزال ذلك إنشاء الله الطيب في إزدياد إلى يوم التناد برغم معاطس الحساد والأعاد والله أعلم .

* (وَالطَّيِّبَاتِ نِسَاءِ الطُّهْرِ مَنْ وَرَدَتْ

فِيهِنَّ آيَاتُ تَشْرِيفٍ وَتَنْزِيهِهِ) * ٦٧

الذي اتفق عليه المحققون من أهل النقل : أن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ اللاتي دخل بهن إحدى عشرة ، توفي منهن في حياته ﷺ إثنان . ومات عن تسع . وحن :

«خديجة بنت خويلد» الأسدية أسد قريش ، وكانت تدعى في الجاهلية : الطاهرة ، تزوجها ﷺ قبل النبوة ، وله من العمر خمس وعشرون سنة ، ولها من العمر أربعون سنة ، ولم ينكح ﷺ امرأة قبلها ولا عليها حتى ماتت وهي أول من آمن به ﷺ وماتت قبل الهجرة لخمس سنين ، وقد تقدم شيء من ذكرها .

«سودة بنت زمعة» من بني عامر بن لؤي ، أسلمت قديماً ، وتزوجها النبي ﷺ عقب موت خديجة . وتوفيت بالمدينة سنة أربع وخمسين .

«عائشة» بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة التيمي ، تيم

قريش ، تزوجها ﷺ في شوال ، بعد مضي عشر سنين من النبوة ولها تسع سنين ولم يتزوج ﷺ بكرراً غيرها ، وتوفي عنها ولها ثمانى عشرة سنة ، وتوفيت بالمدينة سنة سبع وخمسين أو ثمانى وخمسين في شهر رمضان .

« حفصة » بنت عمر بن الخطاب العدوي ، تزوجها ﷺ سنة ثلاث من الهجرة على الأصح ، وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين وقيل إحدى وأربعين ، وهي ابنة ستين سنة .

« زينب » بنت خزيمة الهلالية ، كنىت أم المساكين ، لإطعامها لإياهم ، تزوجها ﷺ سنة ثلاث ، ولم تلبث عنده إلا قليلا ، وتوفيت في ربيع الآخر سنة أربع بالمدينة .

أم «سلمة» هند بنت أبي أمية المخزومية ، أمها عاتكة بنت عامر من بني فراس بن غنم ، تزوجها ﷺ في شوال سنة أربع على الأصح وماتت سنة تسع وخمسين بالمدينة .

« زينب » بنت جحش بن رثاب الأسدية بنت عممة النبي أميمة بنت عبد المطلب ، وكانت قبله تحت مولاه زيد بن حارثة ، تزوجها ﷺ سنة خمس على الأصح ، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ، أو إحدى وعشرين .

« أم حبيبة » رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، أخت معاوية ، كانت قد هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة ، فتنصر هناك . وثبتت هي على الاسلام . فتزوجها النبي ﷺ وأمهرها النجاشي ، وبعث لها ﷺ شرحبيل بن حسنة فجاء بها سنة ست وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين . أو إثنين وأربعين . «جويرية» بنت الحرث المصطلقية . وقد تقدم ذكرها ، تزوجها

النبي ﷺ سنة ست و أ خمس . وماتت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وهي ابنة خمس وستين سنة .

«ميمونة» بنت الحرث الهلالية ، تزوجها ﷺ في ذي القعدة في عمرة القضاء سنة سبع ، وبني بها بسرف على عشرة أميال من مكة وقدر الله سبحانه أنها ماتت بالمكان الذي دخل بها فيه بسرف سنة إحدى وستين على الأصح . وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً رضي الله عنها .

صفية ، بنت حيي بن أخطب من بني النضير ، من سبط هرون بن عمران عليه السلام ، سبيت يوم خيبر ، فأعتقها ﷺ وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها ، وذلك سنة سبع ، وماتت بالمدينة سنة خمسين على الأصح .

فهؤلاء زوجات النبي ﷺ المترهات عن كل شين ، المتصفات بكل زين ، وقد ورد في تشریفهن ، وتنزيههن ، واحترامهن ، وتعظيمهن ، من الآيات الكريمة ، في سورة النور وسورة الأحزاب وغيرهما ما يدل على عظم منزلتهن ، وغزارة فضائلهن ، وطهارة شمائلهن رضي الله عنهن اهـ .

* حمزة ثم عباس وجعفرهم وابنيهما وأبي بكر وثانيه) * ٩٨

حمزة بن عبد المطلب ، يكنى أبا عمار ، أسد الله وأسد رسوله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، أسلم قديماً ، وهاجر وجاهد ، وقتل يوم أحد ، كما تقدم ذكره ، قال ابن هشام ، ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال « لن أصاب بمثلك أبداً وما وقفت

قط موقفاً أغبط إلي من هذا الموقف ، ثم قال : جاءني جبريل عليه السلام فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع ، حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسود رسوله ﷺ .

قال الامام عليه السلام ، وروى الترمذي عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ « إن كل نبي أعطي سبعة نجباء رفقا ، وأعطيت أنا أربعة عشر ، قلنا من هم ؟ قال : علي ، وجعفر ، وحمزة وأبو بكر وعمر ومصعب بن عمير ، وبلال وسلمان ، وعمار ، وعبد الله بن مسعود » . قال الترمذي حديث حسن غريب ، وقد روي موقوفاً على علي عليه السلام .

وسقط إثنان (١) ، وفي رواية أنهما المقداد وحذيفة ، وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث جابر والطبراني من حديث علي عن النبي ﷺ قال : « حمزة سيد الشهداء يوم القيامة » وأخرج صاحب الفردوس من حديث عابس بن ربيعة ، عن النبي ﷺ قال : « خير إخواني علي ، وخير أعمامي حمزة » ١ هـ .

العباس بن عبد المطلب أبو الفضل عم النبي ﷺ كان أسن من رسول الله ﷺ بستين أو ثلاث . كان رئيساً في الجاهلية والاسلام ، أسلم قديماً . وكان يكتنم لإسلامه . ثم هاجر قبل الفتح ، ومات في شهر رمضان سنة إثنين وثلاثين بالمدينة .

وفي حديث أخرجه الترمذي عن علي كرم الله وجهه في الجنة . أن رسول الله ﷺ قال له : « والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله . ثم قال : أيها الناس من آذى عمي فقد أذاني . فان عم الرجل صنو أبيه » .

قال الامام عليه السلام : وعن ابن عباس يرفعه « العباس مني

(١) في سنن الترمذي أنهم علي والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر ومصعب والمقداد وأبو ذر وبلال وسلمان وعمار وعبد الله بن مسعود ومع هذا فلا نقص في العدد

وأنا منه » أخرجه الترمذي والحاكم . وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ « العباس عمي وصنوأبي فمن شاء فليأت بعمة » أخرجه ابن عساكر .

جعفر بن أبي طالب أبو عبد الله ذو الجناحين ، أسلم قديماً ، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً . وهو أسن من علي كرم الله وجهه بعشر سنين . واستشهد في غزوة مؤتة كما تقدم ذكره سنة ثمانى ، وله إحدى وأربعون سنة فوجد في ما أقبل من جسده تسعون جراحة ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح ، أورمية بسهم . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت جعفر يطير في الجنة مع الملائكة » أخرجه الترمذي .

وعن ابن عمر أنه كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين ، وقد تقدم ذكر شيء من أخباره رضي الله عنه .

قال الامام عليه السلام : وقال فيه النبي ﷺ « إله أشبه خلقي وخلقي » وقال له النبي ﷺ « اللهم بارك له في صبيه » وقال « اللهم أخلف جعفرأ في أهله » ١ هـ .

وقول الامام عليه السلام : ولإبنيهما ، يريد عبد الله بن عباس ، - وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما .

فأما عبد الله بن العباس فكنته أبو العباس ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل بستين ، ودعا له رسول الله ﷺ فقال : اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل » وكان حبر الأمة وعالمها وكان عمر بن الخطاب بقره ، ويشاوره مع جلة الصحابة ، ومات بالطائف سنة ثمانى وستين . قال الامام عليه السلام : وكان ابن عباس ،

من أعلم الناس بتفسير القرآن وقال فيه ابن مسعود ؛ نعم ترجمان القرآن ابن عباس ؛ وقال فيه ابن مسعود : هو أعلم الناس بما نزل على محمد ، وسندهما جيد ٥١

وأما أبو جعفر فهو عبد الله بن جعفر ، ولد بأرض الحبشة ، واستشهد أبوه بمؤتة ، فكفله النبي ﷺ وأدبه ، ثم توفي بالمدينة سنة ثمانين ، وكان جواداً ظريفاً حليماً عفيفاً . وكان يسمى بجر الجود ، وقيل لم يكن في الاسلام أسخى منه ، والله أعلم .

قال الامام عليه السلام : وهو آخر من رأى النبي ﷺ وصحبه من بني هاشم ، وبائع النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين ، فبسط له يده وتبسم وباعه ، وقال ﷺ فيه وفي أخوته : « أنا وليهم في الدنيا والآخرة » ٥٢ .

وأما أبو بكر فهو أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي وهو من أول الناس إسلاماً ، وأكملهم إيماناً ، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها . وكان مولده بمكة ، قبل الفيل بستين وأربعة أشهر . وتولى الخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الأول . سنة إحدى عشرة . ثاني يوم موت النبي ﷺ ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة . وله ثلاث وستون سنة على الأصح . وقد وردت في فضله أحاديث خاصة ومشتركة ، بينه وبين غيره .

فعن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ « أتاني جبريل عليه السلام فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي . فقال أبو بكر : يا رسول الله . وددت إنني كنت معك حتى أنظر إليه ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من .

أمتي أخرجه أبو داود ؛ وعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال :
« ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه . ما خلا أبو بكر فان له عندنا
بدأ يكافئه الله بها يوم القيامة . وما نفعتني مال أحد قط ، ما نفعتني
مال أبي بكر . ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ،
ألا وإن صاحبكم^(١) خليل الله » أخرجه الترمذي .

وفي حديث أخرجه البخاري ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ
قال في مرضه الذي مات فيه « إنه ليس من الناس أحد أمن علي
في ماله ونفسه ، من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً
من الناس خليلاً لاتخذت أبي بكر خليلاً ولكن خلة الاسلام أفضل »
الحديث . وعن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي بكر : « أنت صاحبي
على الحوض وصاحبي في الغار » أخرجه الترمذي .

وعن الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الدرجات
للعلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم للطلع في أفق السماء ، وإن
أبا بكر وعمر منهم » أخرجه أبو داود والترمذي ، وعن
عمر أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم وأبو بكر وعمر ،
أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وهو أخذ
بيديهما وقال « هكذا نبعث يوم القيامة » أخرجه الترمذي
وعن ابن مسعود ، أن رسول الله ﷺ قال يطلع عليكم رجل
من أهل الجنة فأطلع أبو بكر ، ثم قال يطلع عليكم رجل من أهل

(١) يريد الرسول نفسه صلى الله عليه وآله وسلم .

الجنة ، فأطلع عمر ، أخرجه الترمذي .

وأما ثانيه : فالمراد أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أسلم سنة ست أو خمس من النبوة ، بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، وظهر الاسلام يوم إسلامه ، ولذلك سمي الفاروق ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو أول من دعي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ للمسلمين ، وأول من جمع القرآن في المصحف على قول ، وأول من جمع الناس على قيام رمضان .

قام بالأمر عقيب موت أبي بكر بعهدده إليه ونصه عليه .

وطعنه أبو لؤلؤه غلام المغيرة بن شعبة ، بالمدينة مصدر الحاج يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد غرة المحرم سنة أربع وعشرين ، وله من العمر ثلاث وستون على قول الأكثر والله أعلم .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « اللهم أعز الاسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل ، أو بعمر بن الخطاب ، قال : وكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب أخرجه الترمذي .

وعن ابن عباس نحوه ؛ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لقد كان فيما قبلكم من الأمم ، ناس يحدثون من غير أن يكونوا أنبياء ، فان يكن في أمتي أحد فانه عمر ، أخرجه الترمذي ، والبخاري ومسلم . وعن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ، أخرجه البخاري . وفي حديث أخرجه الترمذي عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « إني لأنظر إلى

شياطين الأنس والجن تفر من عمر » . وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم ، أن رسول الله ﷺ قال له : إيه يا بن الخطاب : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجعاً إلا سلك فجاً غير فجك » . والأحاديث في ذلك كثيرة والله أعلم .

* (ومِثْلُ عُمَرَ مَعَ سَعْدٍ سَعِيدِهِمْ

وَطَلْحَةَ وَأَبْنِ عَوَّامٍ حَوَارِيهِ) * ٩٩

أما عثمان فهو ذو النورين أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاصي القرشي الأموي ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وسمي ذو النورين لزوجاه بابنتي رسول الله ﷺ رقية ، ثم أم كلثوم ، كما مر ، استخلف أول المحرم سنة أربع وعشرين ، وقتل يوم الجمعة لثمانين عشر ليلة خلت من المحرم غرة سنة خمس وثلاثين ، قيل قتله الأسود النجيب من أهل مصر ، وقيل غيره ، ودفن ليلة السبت وله من العمر اثنتان وثمانون ، وقيل أكثر .

وعن عبد الرحمن بن سمره قال : جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة ، فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها في حجره ويقول « ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ، مرتين » أخرجه الترمذي . وأخرج في حديث آخر أنه حمل على ثلاثمائة بعير في جيش العسرة فقال رسول الله ﷺ نحو ما تقدم ، وعن طلحه قال : قال رسول الله ﷺ « لكل نبي رفيق ، ورفيقي يعني في الجنة عثمان » أخرجه الترمذي .

وأخرج هو والنسائي ، أن عثمان ناشد الناس يوم الدار هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب

إلا بشر رؤية ، فقال رسول الله ﷺ من يشتريها ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة ؟ فاشتريتها من مالي وأنا اليوم أمتنع أن أشرب منها حتى أشرب من الماء الملح قالوا : اللهم نعم قال : وأنشدكم الله والاسلام ، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله ؟ فقال رسول الله ﷺ من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة ، فاشتريتها من صلب مالي ، وأنا اليوم أمتنع أن أصلي فيه ركعتين ، قالوا نعم ، قال : وأنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من جهز جيش العسرة وجبت له الجنة وجهزته ؟ قالوا اللهم نعم ، الحديث وفي معناه أحاديث أخرى .

وأما سعد : فالمراد به سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب القرشي الزهري ، أسلم قديماً وشهد المشاهد كلها ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، مات بالعقيق من نواح المدينة وحمل إليها على رقاب الرجال ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين على قول الأكثر ، وهو آخر العشرة موتاً ، وعن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله ﷺ يفدى أحداً غير سعد بن أبي وقاص ، سمعته يوم أحد يقول : « أرم فذاك أبي وأمي » أخرجه البخاري ومسلم ، وزاد في آخره « أيها الغلام الخزور » ومناقبه كثيرة وكان مستجاب الدعوة .

وأخرج الترمذي عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : اللهم استجب لسعد إذا دعاك .

وأما سعيد ، فهو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل القرشي العدوي . أسلم قديماً ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ غير بدر ، فانه بعثه رسول الله ﷺ مع طلحة يطلبان خبر العير ، مات بالعقيق قرب المدينة ، فحمل إليها ودفن بها سنة إحدى وخمسين أو اثنتين وخمسين . وقيل بل مات بالكوفة عن بضع وسبعين سنة ، وهو ابن عم عمر ، وزوج أخته وأسلم قبل إسلامه .

وأما طلحة . فهو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي أسلم قديماً وشهد المشاهد كلها ، غير بدر كما تقدم ، وقتل يوم الجمل رماه مروان بن الحكم سنة ست وثلاثين في جمادى الآخرة . وله أربع وستون سنة على الأكثر ، وهو ممن حسن بلاؤه يوم أحد مع رسول الله ﷺ ووقى لرسول الله ﷺ بيده فشلت ، وجرح يومئذ أربعة وعشرين جراحة ، وقيل أكثر . وعن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة » أخرجه الترمذي .

وأما ابن عوام ، فالمراد به أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأسدي القوشي ، وأمه صفية بنت عبد المطلب ، عمة النبي ﷺ أسلم قديماً وهو ابن ست عشر سنة وهاجر الهجرة وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله ، وعن علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال

الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال للزبير أنا ،
ثم قال في الثالثة إن لكل نبي حوارياً ، وأن حوارى الزبير «
أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي .

وعن علي كرم الله وجهه : سمعت أذني من في رسول الله ﷺ
وهو يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » أخرجه الترمذي
والياء في حوارية مشددة في الأصل لكن خفضها الناظم للضرورة
ومثل ذلك جائز .

١٠٠ * (وَكَابُنِ جَرَّاحِهِمْ جَمَّتْ فَضَائِلُهُمْ
وَنَسْلَ عَوْفٍ عَدِيدَ الْعَشْرِ يُوفِيهِ) *

وأما ابن جراحهم فالمراد به أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن
الجراح الفهري القرشي ، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة
الثانية شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وثبت مع رسول الله ﷺ
يوم أحد ، ونزع حلقتي المغفر من وجه رسول الله ﷺ وسقطت
ثنيته ، وتوفي بالأردن في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة وهو
ابن ثمانى وخمسين سنة .

وعن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن لكل أمة أميناً ،
وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » أخرجه البخاري
ومسلم .

وعن حذيفة قال : جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ فقالوا :
يا رسول الله ، أبعث إلينا رجلاً أميناً . فقال : « لأبعثن إليكم
رجلاً أميناً حق أمين . فاستشرف بها الناس ، فبعث أبا عبيدة »
أخرجه البخاري ومسلم .

وفي حديث أخرجه مسلم . قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال :
« هذا أمين هذه الأمة » .

وأما نسل عوف ، فالمراد به أبو محمد عبد الرحمن بن عوف
الزهري القرشي ، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وشهد
المشاهد كلها مع النبي ﷺ وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد ،
وجرح عشرين جرحاً يومئذ . وقيل أكثر ، وأصيبت رجله
يومئذ فخرج .

ولد بعد الفيل بعشر سنين ، ومات سنة اثنتين وثلاثين ،
بالمدينة ، وله إثنان وسبعون سنة ، وقيل أكثر .

وعن عائشة : أن النبي ﷺ كان يقول لنسائه : « إن أمر كن مما
يهمني من بعدي ، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون الصديقون ،
قالت عائشة يعني المتصدقين ، ثم قالت لأبي سلمه بن عبد الرحمن
سقى الله أباك من سلسبيل الجنة ، وكان ابن عوف قد تصدق
على أزواج النبي ﷺ بحديقة بيعت بأربعين ألفاً » أخرجه الترمذي ،
وأخرج من طريق آخر ؛ أنها بيعت بأربع مائة ألف .

وقول الامام عليه السلام ، عديد العشر يوفيه ، إشارة إلى
الحديث الذي أخرجه أبو داود ، عن سعيد بن زيد حيث قال :
أشهد على رسول الله ﷺ يقول . عشرة في الجنة ، النبي في
الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة
وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد بن
مالك في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، ولو شئت
لسميت العاشر فقالوا من هو ؟ فسكت ، ثم قالوا من هو ؟ قال :
سعيد بن زيد . وفي رواية أخرى ، أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول

ولاني لغني أن أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غداً إذا لقيته :
 أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي
 في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد بن مالك
 في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وأبو عبيده بن
 الجراح في الجنة ، وسكت عن العاشر فقالوا ومن العاشر ؟ قال :
 سعيد بن زيد ، يعني نفسه ، الحديث ، وقد أخرج الترمذي ،
 نحوه عن عبد الرحمن بن عوف .

وقيل هو مرسل ،

والأحاديث الواردة في فضائل الصحابة المذكورين وغيرهم ،
 كثيرة مشهورة رضي الله عنهم وأرضاهم .
 وقول الامام عليه السلام : عديد العشر أي الأنفس العشر أراد
 عليه السلام أنه إنما أنث إسم العدد لتأويل المعدود بمؤنث وهي
 الأنفس ، والله أعلم .

١٠١ * (وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ذِي الْكِرَامَةِ مَنْ

لَمُوتِهِ اهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ بِأَرِيهِ) *

عن البراء بن عازب قال : أهدى للنبي ﷺ ثوب حرير
 فجعلنا نلمسه ونتعجب منه ، فقال النبي ﷺ « أتعجبون من
 هذا ؟ قلنا : نعم ، قال : مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من
 هذا » أخرجه البخاري ، ومسلم . وغيرهما ، بروايات عدة ،
 ونحوه من روايات أنس .

وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إهتز العرش
 لموت سعد بن معاذ » وفي رواية لمسلم قال : قال رسول الله ﷺ

وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : « إهتز لها عرش الرحمن عز وجل » وله عن أنس بمعناه .

وهو أبو عمرو ، سعد بن معاذ بن النعمان الأوسي الأشهلي الأنصاري أسلم بين العقبين : وأسلم أهل داره جميعاً بإسلامه ، وسماه رسول الله ﷺ سيد الأنصار ، وكان مقدماً مطاعاً شريفاً في قومه من جلة الصحابة وأكابرهم ، وخيرهم ؛ شهد بدرأً وأحدأً وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ ، ورمي سهم يوم الخندق في أكحله فلم يرق الدم حتى مات بعد شهر في ذي القعدة ، سنة خمس ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى .

* (كَذَاكَ بَاقِي سَعُودِ النَّصْرِ صَارَ لَهُمْ

قُرْبٌ مِنَ اللَّهِ سَامِي الْقَدْرِ عَالِيهِ) * ١٠٢

أشار عليه السلام ، إلى ذكر من اسمه سعد من الصحابة ، سوى من تقدم ذكره .

فمنهم سعد بن عباد بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، ثم الساعدي شهد العقبة مع السبعين ، وهو أحد النقباء الأثني عشر ، وشهد بدرأً على قول وما بعدها من المشاهد ، وكان سيداً ، مقدماً ، وجيهاً ، له رئاسة وسيادة ، يعترف له بها قومه ، وكان الأنصار أرادوا أن يعقلوا له البيعة عقيب موت النبي ﷺ فلما بويع لأبي بكر ، خرج من المدينة مغاضباً لقومه ، ولم يبايع أباً بكر ، ومات بحوران ، من أرض الشام ، لستين ونصف من خلافة

عمر ، سنة خمس عشرة على الأصح ، ووجد ميتاً في مغتسله ،
وسمع أهله قائلاً يقول لا يرى شخصه ، نحن قتلنا سيد الخزرج
سعد بن عباد ، رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده ، فرعموا أن
الجن قتلته (١) ، والله أعلم .

ومنهم سعد بن الربيع أنصاري خزرجي عقبي بدري نقيب
شهد العقبة الأولى والثانية وقتل يوم أحد شهيداً .

وروي أن رسول الله ﷺ أمر من يلتمسه يوم أحد ، فوجدوا
به رمق فسأل عن رسول الله ﷺ ثم قال لمن حضره من
الأنصار ، لا عذر لكم عند الله ، إن نيل رسول الله ﷺ
وفيكم عين تطرف أو كما قال رحمة الله تعالى عليه .

وسعد بن خيثمة ، أبو عبد الله الأنصاري الأوسي شهد العقبة ،
وشهد بدرأ ، واستشهد بها ؛ وكان يقال له سعد الخير رحمه
الله آمين .

وسعد بن مالك بن سنان ، وهو أبو سعيد الخدري الخزرجي ،
غلبت عليه كنيته ، وهو من الحفاظ المكثرين ، والعلماء الفضلاء ،
أول مشاهده الخندق ، لحداثة سنه ، مات بالمدينة سنة أربع
وسبعين ، وله أربع وثمانون سنة رحمه الله .

ومنهم سعد بن عبيد الأوسي وسعد بن عمير الخزرجي ،
كلاهما من فضلاء الصحابة ، واختلف أيهما الذي جمع القرآن
على عهد رسول الله ﷺ ، والأقرب أنه سعد بن عمير وكليته

(١) وتقول رواية أن قتله لسبب أنه بال قائماً في حُجْرٍ ورواية أخرى تقول :
أنه قتل لمخالفته أبابكر قال بعضهم :

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ولكنه لما يبايع أبا بكر

أبو زيد والله أعلم .
سعد بن خوله القرشي العامري ، هاجر الهجرة الثانية إلى
الحبشة ، وشهد بدرًا على قول ومات بمكة في حجة الوداع ،
وهو الذي عناه النبي ﷺ حيث قال في حديث وصية سعد بن
أبي وقاص . لكن التائب سعد بن خوله ، تأسى له رسول الله ﷺ
أن مات بمكة ، ليس الأرض التي هاجر إليها ، لأن موت
المهاجر في دار هجرته ، أعظم لهجرته ، وهو زوج سبيعه
الأسلمية رحمه الله تعالى .

قال الأمير شمس الدين علي ابن الإمام يحيى شرف الدين
عليه السلام (١) . بلغت السعود على عهد رسول الله ﷺ من الأنصار
وغيرهم نيفاً وتسعين سعداً ، وسنذكر المشهورين منهم ، حيث
لم يذكرهم هذا العلامة ابن بهران . فمنهم :

سعد بن مالك الساعدي ، توفي بالروحا متوجهاً إلى بدر ،
وأوصى للنبي ﷺ برحله وراحلته ، وثلاثة أوسق من شعير ،
فقبلها ثم ردها على ورثته ، وضرب له النبي ﷺ بسهمه
وأجره .

وسعد الأسود الأسلمي ، قتل شهيداً في بعض غزوات رسول
الله ﷺ فأتاه النبي ﷺ فوضع رأسه في حجره ، وأرسل
فرسه وسلاحه إلى زوجته ، وقال : قولوا لهم قد زوج الله
خيراً من فئاتكم .

وسعد بن الأطول الجهيني .
وسعد بن معاذ الانصاري ، وليس بسعد بن معاذ المشهور .

وعن أنس بن مالك ؛ أن رسول الله ﷺ صافح يده في غزوة تبوك وقبلها وقال : هذه يدلا تمسها النار أبداً .

وسعد بن أياس البدري الأنصاري .

وسعد بن بحير بن معاوية ، من حلفاء الأنصار ، وهو المعروف بابن خيثمه ، عن جابر بن عبد الله قال : نظر النبي ﷺ إلى سعد بن خيثمه يوم الخندق يقاتل قتالا شديداً ، فدعاه وقال : من أنت يا فتى ؟ قال : سعد بن خيثمه ، فقال له النبي ﷺ أسعد الله جدك ، وكان له جهاد مع رسول الله ﷺ وهو والد أبي يوسف القاضي .

وسعد مولى أبي بكر الصديق ، كان يخدم النبي ﷺ ويعجب بخدمته ، فقال ﷺ « اعتق سعداً فقال : ما لنا هنا غيره ، فقال النبي ﷺ « أتتلك الرجال » . سكن البصرة ومات بها . وسعد بن حماد بن مالك الأنصاري ، شهد أحداً وما بعدها ، وقتل يوم اليمامة شهيداً .

وسعد بن الحارث بن الصمه الأنصاري الخزرجي الصحابي شهد صفين مع علي عليه السلام ، وقتل يومئذ شهيداً . وسعد بن حارث بن لوزان ، شهد أحداً وما بعدها ، وقتل يوم اليمامة .

وسعد بن خارجة أخو زيد بن خارجة ، استشهد هو وأبوه يوم أحد .

وسعد بن خليفة الخزرجي ، شهد أحداً وقتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقاص .

وسعد بن خولي . مولى حاطب بن أبي بلتعة ، شهد بدرًا ومولاه حاطب وكان من المشهورين .

وسعد بن أبي رافع ، وعنه قال : دخل علي النبي ﷺ يعودني ، فوضع يده بين يدي حتى وجدت بردها على فؤادي . وسعد مولى رسول الله ﷺ .

وسعد بن زيد الأنصاري الأشهلي ، كان من فضلاء الصحابة بعثه رسول الله ﷺ إلى نجد ، وأهدى لرسول الله ﷺ سيفاً من نجران .

وسعد بن زيد بن مالك الأوسي ، شهد بدرًا والعقبة وسعد بن سلامة شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد ، قتل في خلافة عمر بالعراق .

وسعد بن سويد بن قيس الخزرجي ، قتل يوم أحد شهيداً .

وسعد بن سهيل الخزرجي شهد بدرًا رحمه الله تعالى .

وسعد بن ضميره الضمري شهد حنيناً وما بعدها .

وسعد بن عابد المؤذن مولى عمار بن ياسر ، المعروف بسعد القرظ وإنما قيل له ذلك لأنه كان يتجر فيه ، ومسح النبي ﷺ رأسه وبارك عليه وجعله مؤذن مسجد قبا ، وخليفة بلال إذا غاب وعاش سعد القرظ إلى أيام الحجاج .

وسعد بن عبد قيس القرشي الفهري ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية .

وسعد مولى عتبة بن عدوان شهد بدرًا مع مولاه عتبة ، وعن ابن عباس في قوله تعالى : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم)

نزلت في عتبة وسعد مولاه ، وفي حاطب وسعد مولاه المتقدم .
وسعد بن عثمان بن جلده الزرقى أبو عباده ، شهد بدرأ رحمه الله .

وسعد العرجي دليل النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة .
وسعد بن عقيب يكنى أبا الحارث استصغر يوم أحد وشهد
الخنندق .

وسعد بن عمار بن مالك شهد بدرأ والخنندق .
وسعد بن عمار الزرقى أبو سعيد مشهور بكنيته .
وسعد بن عماره أحد بني سعد بن بكر كان مشهورأ في الصحابة
رضي الله عنهم .

وسعد بن عمير الأنصاري ، كان هو وأخوه ميمنة شهد صفين
مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وكان فاضلاً تقياً رحمه الله .
وسعد بن عمير بن كعب الأنصاري ، شهد أحدأ وما
بعدها ، واستشهد في قتل يوم بئر معونة شهيدأ هو وإبنة الطفيل
بن سعد .

وسعد بن عمير بن عبيدة بن الحارث ، شهد أحدأ وما بعدها ،
واستشهد يوم اليمامة .

وسعد بن قيس العتري ، سماه رسول الله ﷺ سعد الخير
وليس بسعد بن خثعمه الذي ذكره المصنف . وكان يقال له سعد
الخير رحمه الله .

وسعد بن مسعود الأنصاري . عن أبي هريرة قال : جاء الحارث
الغطفاني إلى النبي ﷺ في وقعة الأحزاب يوم الخنندق فقال :

يا محمد شاطرنا تمر المدينة ، فقال : حتى استأمر السعود ، فبعث إلى سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد وسعد بن مسعود ، وسعد بن النعمان بن زيد بن أكال الأنصاري الأوسي ، وهو الذي أخذه أبو سفيان بن حرب أسيراً ، ففدى إبنه عمرو بن أبي سفيان به .

وسعد بن النعمان بن قيس الظفري الأنصاري شهد بدرأ رحمه الله .

وسعد بن وهب الجهني ، كان يسمى في الجاهلية غيان وبلده يقال لها غوا ، فسأله رسول الله ﷺ عن إسمه وأين ترك أهله ؛ فقال : إسمي غيان وتركهم في غوا فقال رسول الله ﷺ بل أنت رشدان وأهلك برشاد .

قال الأمير شمس الدين علي بن أمير المؤمنين : هؤلاء المشهورين من السعود رضي الله عنهم ولهم مناقب كثيرة غير ما ذكرنا ، أودعها ابن عبد البر في الاستيعاب ، وإبن الأثير في أسد الغابة وغيرهما والله أعلم ؛ والذي ذكر في أسد الغابة نيفاً وتسعين سعداً ، وجملة من ذكرها هنا بعد الستة من مشاهيرهم تسعة وثلاثون والله أعلم .

* (وَكَمْ هُمَامٍ مِنَ الْأَصْحَابِ كَانَ لَهُ

وَصَفُ النَّبِيِّينَ لَوْلَا الْخَتَمُ حَامِيهِ) * ١٠٣

قد تقدم قوله ﷺ لأمر المؤمنين علي كرم الله وجهه « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

وعن عقبة بن عامر قال : قال ﷺ لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب أخرجه الترمذي .

وفي حديث أخرجه الترمذي أيضاً عن أنس أن رسول الله قال : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى عليه السلام في ورعه .

وعن عبد الرحمن بن زيد قال : سألت حذيفة عن رجل قريب السميت والدل والهدي من رسول الله ﷺ حتى نأخذ عنه ، فقال : ما نعلم أحداً أقرب سمياً ولا هدياً بالنبي ﷺ من ابن أم عيد ، الحديث يعني ابن مسعود ، أخرجه الترمذي بتمامه :

١٠٩ * (كَمْ مَوْطِنٍ قَدَرَ أَوْا فِيهِ مَلَائِكَةٌ

مُخَاطَبِينَ وَعَوْنًا فِي مَغَارِيهِ) *

أما رؤية الملائكة حال كونهم مخاطبين لرسول الله ﷺ فنحو ما ورد في كتاب الايمان أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الايمان والاسلام والاحسان والساعة ، فجعل ﷺ يخبره وهو يصدقه ثم أدبر فعجب الصحابة ولم يعرفوه فأخبرهم رسول الله ﷺ أن جبريل عليه السلام أتاهم ليعلمهم دينهم الحديث ؛ أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

وروي أن علياً عليه السلام رأى جبريل عليه السلام يحدث رسول الله ﷺ في صورة رجل وأخبره ﷺ أنه جبريل عليه السلام . كذلك روي عن ابن عباس وعائشة وغيرهما ، وأما حال كونهم غوثاً في المغازي فكما كان في بدر وأحد وحنين ، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك .

* (وَبَعْضُهُمْ كَانَتِ الْأَمْلَاقُ تُشَبِّهه)

وَبَعْضُهُمْ كَانَ نُورُ السَّوْطِ يَهْدِيهِ) * ١٥٠

أما الذي كانت الأملاك تشبهه فهو دحية ابن خليفة الكلبي ،
قد وردت فيه أحاديث كثيرة . تفيد أن جبريل عليه السلام كان
يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية ، وكان من أجمل الناس
صورة وهو من كبار الصحابة وفضلاءهم شهد أحداً وما بعده ،
وبعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر ومات بالشام في أيام معاوية بن
أبي سفيان .

وأما الذي كان نور السوط يهديه فهو الطفيل بن عمرو الدوسي
أسلم قد يما في مكة ثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل فيها حتى هاجر
النبي ﷺ إلى المدينة ، فقدم عليه وهو بخير ومعه من تبعه من قومه
ولم يزل مع النبي ﷺ حتى قبض ، قتل باليمامة ، حكى عنه
في سيرة ابن شام أنه كان يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ
بها فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً شاعراً لبيباً
شريفاً ، فقالوا له : يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الذي بين
أظهر ناقد أعضل بنا ، قد فرق جماعتنا وشتت شملنا وإنما قوله
كالسحر يفرق بين الرجل وبين إبنه . وبينه وبين أخيه ،
وبين الرجل وزوجته وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل
علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمع منه شيئاً فوالله ما زالوا به حتي أجمع
أن لا اسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى أني حشوت في أذني كرسفاً ،
فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله وأنا أريد أن لا أسمع ، قال :
فعدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم عند الكعبة فقامت
منه قريباً وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال : فسمعت

كلاماً حسناً قال فقلت في نفسي ، وأثكل أمي ، والله إني رجل
 لبيب شاعر ، وما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن
 أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذي يأتي به حسناً
 قبلته ؛ وإن كان قبيحاً تركته ، قال : فمكثت حتى إذا انصرف
 رسول الله ﷺ إلى بيته فأتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت
 عليه ، فقلت يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا ، الذي
 قالوه ، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف
 لثلا أسمع قولك ، ثم أبا الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قولاً
 حسناً . فأعرض علي أمرك ، قال : فعرض علي الإسلام رسول
 الله ﷺ وتلى علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه
 ولا أمراً أعدل منه قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت :
 يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم
 إلى الإسلام فأدع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما
 أدعوم إليه ، فقال : اللهم أجعل له آية ، قال : فخرجت إلى
 قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعي على الحاضر ، وقع نور بين
 عيني مثل المصباح ، قال : فقلت اللهم في غير وجهي إني أخاف
 أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم فتحول ذلك
 فوق في رأس سوطي ، فجعل الحاضر يتراءون ذلك في سوطي
 كالقنديل المعلق ، وأنا أبط إليهم من الثنية حتى جثتهم إلى
 آخر ما ذكره ، وفيه : أنه ما زال يدعو قومه إلى الإسلام حتى
 قدم على رسول الله ﷺ عام خيبر في سبعين أو ثمانين بيتاً ممن
 أسلم من دوس والله أعلم .

وعن أنس : أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من

عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ، ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله ؛ وسماهما في رواية أخرى . عباد بن بشر . وأسيد بن خضير . أخرجه البخاري .

وحكى القاضي عياض في الشفاء . أن قتادة بن النعمان صلى مع النبي ﷺ العشاء في ليلة مظلمة مطيرة ، فأعطاه عرجوناً وقال: انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً فاذا دخلت بيتك فسترى سواداً فأضربه حتى يخرج فانه الشيطان ، فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج .

* (وَبَعْضُهُمْ كَانَتْ الْأَمْلَاكُ تُقَرِّئُهُ السَّ

لَامَ قَبْلَ التَّنَادِي إِذِ تَنَاجَيْهِ) * ١٠٦

عن مطرف وهو ابن عبد الله الشخير قال : قال عمران بن حصين أحدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به ، إنه قد كان يسلم علي الملك حتى اكتويت فترك ثم تركت الكي فعاد ، وفي رواية أنه قال له ذلك في مرض موته ، وقال له : إن عشت فاكنتم علي وإن مت فحدث به إن شئت ؛ ذكره رزبن (١) .

قال الامام عليه السلام : ومعنى تقرئه السلام ، تبلغه الكرامة بالسلام عليه من الله سبحانه ، لأن سلامهم عليه لا يكون إلا باذن لهي ، فكان السلام من الله عز وجل ١ . .

(١) ومن هذا الباب ما روى المؤلف في ذكر فضائل خديجة - رضي الله عنها - وقد تقدم ، فأنظره .

١٠٧ * (سُبْحَانَ رَبِّيَ مَا أَوْحِيَ خُرُوجَهُمْ
مِنَ الظُّلَامِ إِلَى نُورٍ يُجَلِّيهِ) *

١٠٨ * (مِنْ مُؤْمِنٍ نُورُهُ هَادٍ لَأُمَّتِهِ
دَابَّاً إِلَى آَنٍ يَجِيئُ الْحَشْرُ جَائِيهِ) *

التسبيح تستعمل في التعجب من الأمر البديع العجيب ، وأوحى :
بمعنى أسرع والمراد بالظلام الجهل والنور الهدى قال الله تعالى :
(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وكل مهتد
بهداية النبي ﷺ إلى آخر الدهر ، جزاه الله عنا أفضل ما جرى
نبياً عن أمته ، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الراشدين
والتابعين لهم باحسان آمين .

١٠٩ * (وَكَمْ ثَنَائِي لِمَنْ جَاءَ الثَّنَاءُ لَهُمْ
فِي الذِّكْرِ فِي غَيْرِ فَضْلٍ مِنْ مَثَانِيهِ) *

قد وردت آيات في القرآن في الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ
كقوله عز وجل : (محمد رسول الله والذين معه) الآية ؛ وغيرها
كما و معروف .

وقوله عليه السلام : في غير فصل بل فصول كثيرة ومثاني
القرآن سوره وآياته لأنها تشني في تلاوته أي تكرر . وقد تطلق
المثاني على ما دون المثين من السور وعلى سورة الفاتحة وحدها .

١١٠ * (وَكُلُّهُمْ عِنْدَنَا عَدْلٌ رِضاً ثِقَةً
حَتْمٌ مَحَبَّةً حَتْمٌ تَوَلَّيْتُهُ) *

قال الإمام عليه السلام: عن أبي ذر إن جملة الصحابة مائة ألف وعشرون ألفاً، وقال الشافعي: نقل أصحاب رسول الله ﷺ والمسلمون من سمع منه ورآه، زهاء ستين ألفاً وقال: الحاكم أبو عبد الله يروي الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي ١ ..

ومذهب المحققين من أهل الأصول أن الصحابة عدول جميعهم بتعديل الله ورسوله : يجب توليهم ومحبتهم على كل مسلم إلا من حدث منه ما يقدح في العدالة كما و مقرر في مواضعه مفصل والله الموفق ، وإلى ذلك أشار الإمام عليه السلام بقوله :

فصل

في ذكر من أحدث بعد النبي ﷺ ما يخرج من حكم الصحبة وذكر ما يتضمن من المعجزات عموماً وخصوصاً

* (إِلَّا أَنْسَأَ جَرَى مِنْ بَعْدِهِ لَهُمْ

أَحْدَاثُ سُوءٍ وَمَاتُوا فِي أَثَانِيهِ) * ١١١

* (مِنْ رِدَّةٍ وَمُرُوقٍ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْ

أَمْرِ الْإِلَهِيِّ وَالْقَسْطِ الْمُنَافِيهِ) * ١١٢

أما الردة فإنه لما توفي رسول الله ﷺ ارتد كثير من الأعراب كبنو حنيفة وبني أسد وبعض بني تميم وغيرهم ، فلم يزل

المهاجرون والأنصار يجاهدونهم حتى ردوهم إلى الأسلام بالسيف
وصدق الله وعده وأظهر دينه .

وشرح ما وقع من ذلك يحتاج إلى مجلدات وهو مبسوط في
مواضعه من كتب التاريخ .

وأما المروق فكما وقع من الخوارج الذين خرجوا على أمير
المؤمنين عليه السلام وكفروا أصحاب رسول الله ﷺ وسفكوا
دماء المسلمين فقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام يوم النهروان ولم
يزل لهم أتباع يخرجون على المسلمين في كل عصر ولهم تعمق في
الدين خرجوا به عن الايمان واستحوذ عليهم الشيطان ، فعوذ
بالله من الخذلان .

وأما الخروج عن الأمر الالهي والقسط ففتح القاف وهو الجور
المنافي للأمر الالهي فكما كان من الناكثين والقاسطين ومن
ارتكب المحظورات الصريحة من غيرهم والله أعلم وأحكم .

١١٣ * (مَا قُلْتُ إِلَّا الَّذِي قَدْ قَالَ خَالِقُنَا

فِي ذِكْرِهِ أَوْ رَسُولُ اللَّهِ حَاكِيه) *

١١٤ * (فَكُلُّ حَادِثَةٍ فِي الدِّينِ قَدْ وَرَدَتْ

وَفِتْنَةٌ وَامْتِحَانٌ مِنْ أَعَادِيهِ) *

١١٥ * (فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ وَالنَّقْلِ الصَّحِيحِ عَنْ

الرَّسُولِ فِي لَفْظٍ تَنْصِيصٍ وَتَنْبِيهِ) *

قال الله عز وجل : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرسول . أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) .

قال الإمام عليه السلام ^(١) : « قال الله سبحانه : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) وهذا المعنى هو الذي أشار إليه بقوله ، والخروج عن الأمر الإلهي فإن قوله تعالى ، حتى تفيء أي ترجع ، نص على أنها قد خرجت عن أمر الله ، وهو دينه . وهم معاوية وأصحاب معاوية فدلّت على أنهم أسوء حالا من الخوارج لأنهم شاركوا في المروق وهو الخروج عن الأمر الإلهي ، وفي البغي على إمام الحق وزادوا بالقسط وهو الجور في أحكامهم ومخالفة الشريعة في إقدامهم وإحجامهم عمداً لا تأويلاً كالخوارج ، فالخوارج هم المتأولون قطعاً وقد يفدهم تأويلهم ، وأما معاوية ومن إليه فلا تأويل لهم بل هم طلبة ملك قطعاً وخارجون من الدين عمداً ، فالعجب ممن عكس القضية ، وحرف النصوص القرآنية ، وحشى في حديث النبي ﷺ ما يناسب عقيدته الفرية وأما قوله تعالى من المؤمنين ، فيعني به ما يدعونه من ظاهر التلبيس بالائيمان في حق كثير منهم وما كانوا فيه قبل البغي في حق كثير وذلك ظاهر ، وإلا ناقض قوله تعالى :

(١) أنظر إلى هذا البحث في هذا الموضوع وقد نسبه المؤلف للناظم للإمام شرف الدين رضي الله عنه فكلما وردت عبارة قال الإمام عليه السلام فالمراد بها ، الإمام المتوكل على الله يحیی شرف الدين رضي الله عنه حذفناها اختصاراً كما أشرنا في أول الكتاب .

وقد أتبعه الشارح بأدلة نبوية فتأمل .

« حتى تفيء إلى أمر الله » لأن الخارج عن أمر الله ليس بمؤمن ولو فاسقاً على الصحيح ولهذا الإشارة بسط في مواضعه » ١٥١ .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبنني ، حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا فلاقولن أي رب أصحابي ، أصحابي ، فليقولن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيجلاؤن عن الحوض فأقول : يا رب أصحابي فيقول : إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وللبخاري ؛ أن رسول الله ﷺ قال : بينما أنا قائم على الحوض ، إذا زمرة . حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم هلم فقلت : إلى أين ؟ قال : إلى النار ، قلت ما شأنهم ؟ قال : إنهم قد ارتدوا على أدبارهم ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم .

وفي هذا المعنى أحاديث أخر .

وفي المستدرک : عن أبي أيوب قال : أمر رسول الله ﷺ علياً بقتال الناكثين ، والقاسطين والمارقين ، وروى عن علي كرم الله وجهه ، أنه قال : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

وعن أبي سعيد الخدري نحوه .

وروي من طرق عدة أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام :
إنك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ؛ وهذا الحديث قد
عد من الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ .

فأما الناكثين وهم أصحاب يوم الجمل الذين نكثوا بيعة أمير
المؤمنين علي عليه السلام . ثم خرجوا إلى البصرة ، وأظهروا
أنهم يطالبون بدم عثمان بن عفان ، فسار إليهم علي عليه السلام
فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزمهم .

وأما القاسطين . فهم أهل صفين معاوية وأصحابه وأتباعه ،
الذين بغوا على إمام الحق عليه السلام ، فسار إليهم فقاتلهم بمن
أطاعه حتى إذا أيقنوا بالهلكة بعد أن قتل منهم خلق كثير ،
رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح ، وقالوا ندعوكم إلى كتاب
الله ، فلم علي وذووا البصيرة من أصحابه أنها خديعة ، فانخدع
جمهور عسكره بذلك حتى قال بعضهم : إن لم تترك قتالهم وتحاكمهم
إلى كتاب الله قتلناك . أو كما قالوا فغلبوه عليه السلام على أمره ،
ثم حكموا عمرو بن العاص من أصحاب معاوية ، وأبا موسى
الأشعري ، فخدع عمرو أبا موسى ، وأثبت الخلافة لمعاوية .

فأنكرت طائفة من الناس التحكيم ، وقالوا لا حكم إلا لله
سبحانه ، واعتزلوا الفريقين وكفروهم ، فراجعهم علي عليه
السلام واحتج عليهم ، فرجع بعضهم وأصر الباقيون ، وسفكوا
الدماء ، ونهبوا الأموال ، فسار إليهم عليه السلام فقتلهم يوم
النهروان ؛ وهؤلاء هم المارقون المشار إليهم في الحديث المتقدم ،
لأنهم تعمقوا في الدين حتى كفروا بأفضل الصحابة ، وذهبوا
إلى أن كل معصية كفر ، وأنه إذا كفر الإمام كفر الرعية

بكفره ، ولهم أقاويل منكرة ، ويقال لهم الخوارج والمحكمة ،
والمارقة .

وقد وردت فيهم عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، فعن زيد
بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي عليه السلام الذين
خرجوا إلى الخوارج ، فقال علي كرم الله وجهه : أيها الناس ؛
إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن قوماً من أمتي يقرأون
القرآن ، ليست قرأتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى
صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرأون
القرآن يحسبون أنه لهم ، وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم
تراقيهم يمرقون من الأسلام كما يمرق السهم من الرمية » .

لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ
لا تكلوا عن العمل » وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس
له ذراع ، على عضده ، مثل حلمة الثدي ، عليه شعرات بيض ،
وساق القصة ، إلى أن قال : وقتل بعضهم على بعض فقال علي
كرم الله وجهه : التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه فقام
علي عليه السلام بنفسه إلى أن أوتى بناس قد قتل بعضهم على بعض
قال أخروهم . فوجده مما يلي الأرض ، فكبر ثم قال صدق الله
وبلغ رسوله ، قال : فقام إليه عبدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين
الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ
قال : إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف
له ، أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن عبيد الله بن رافع أن الحرورية لما خرجت على علي بن
أبي طالب عليه السلام ، فقالوا ، لا حكم إلا لله قال : كلمة حق

أريد بها باطل ، إن رسول الله ﷺ وصف لنا أناساً إنني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم وأشار إلى حلقه ، من أبغض خلق الله منهم ، أسود إحدى يديه طبي شاة^(١) أو حلمة ثدي فلما قتلهم علي كرم الله وجهه قال : أنظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً ، فقال : أرجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً ، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه ، أخرجه مسلم .

وفي حديث أخرجه الستة إلا الترمذي ، عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج في هذه الأمة ، ولم يقل منها ؛ قوم يحرقون صلاتكم مع صلاتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حلقهم أو حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، الحديث .

وفي رواية ، قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة ، وهو رجل من بني تميم ، فقال يا رسول الله إعدل ، فقال رسول الله ﷺ : ويلك ، ومن يعدل إن لم أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : أئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ دعه فإن له أصبحاً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم . زاد في رواية يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام ، وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وذكر الحديث إلى أن قال آيتهم

(١) الطبي بطاء مهملة وباء موحدة ساكنة بعدها ياء مثناة : هو للشاة بمثل الضرع ويقال : الطبي للحافر والباع . والخف : للضرع . والضرع للظلف أي لذي الظلف . وفي المثل : بلغ الحزام الطبين ، تمت من أساس البلاغة .

رجل أسود أحد عضديه ، وفي رواية لإحدى يديه مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس .

فأشهد أنني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل ، فالتمس فوجد ، فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله الذي نعت به ؛ وفي رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ قال : تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق ، وفي الحديث روايات أخر وزيادات وفي معناه أحاديث كثيرة .

وقال الامام عليه السلام : وعن أسامة بن زيد قال : أشرف النبي فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا : ، فقال إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر ، متفق عليه ؛ وعن حذيفة إن النبي ﷺ قال : إنكم لا تدرون لعلكم تقتلون ، متفق عليه ؛ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا ، أخرجه مسلم والترمذي . وعن أم حبيبه أن رسول الله ﷺ قال : ويل للعرب من شر قد اقترب ، أخرجه البخاري .

وقال للأنصار : إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني ، متفق عليه .

وقال : ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة . ويدعونه إلى النار ، أخرجه أحمد .

وأخبر ﷺ بملك بني أمية واتخاذهم مال الله جل وعلا دولا

وعبيده خولا وما ينال أهل بيته من الكرب والقتل والتشديد ما أشار إليه ﷺ بقوله «ويح أفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف» أخرجه ابن عساكر من حديث مسلم بن الأكوع ، وأخبر ﷺ بقتل علي عليه السلام ، وقال بأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه . يعني لحيته من رأسه ، وأن عثمان يقتل شهيداً وهو يقرأ من المصحف . وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً ، وأنه يقتل شهيداً . وبمحاربة الزبير لعلي عليه السلام وهو له ظالم ، وبناح كلاب الحوئب على إحدى نسائه ، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة بعد ما كادت ، فنبحت عائشة عند خروجها إلى البصرة ، وقال لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك ، وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج اليد الذي فيهم وأن سماهم التحليق وأن في قتلهم أجراً لمن قتلهم ، وأخبر ﷺ بقتل الحسين رضي الله عنه بالطف ، وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه ، وقال في زيد بن صوحان زيد وما زيد لسبقته يده إلى الجنة ثم يتبعها سائر جسده ، فقطعت يده يوم جلولا ثم قتل يوم الجمل مع عليه عليه السلام ، وكحديث إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه ، وهو حديث مشهور ، وقد قواه للذهبي بعد أن رواه من طرق كثيرة ، وهو خصم لا يقبل في مثل هذا إلا ما في حكم المتواتر .

وحديث الأغيلمه من بني مروان ، وحديث لعن الراكب والقائد والسائق وغير ذلك .

وهي أحاديث صحيحة عند أهل البيت عليهم السلام بل متواترة ، وقد صحح الحاكم وغيره حديث الأغيلمه وحديث

لعن مروان ، وهو مولود ، وقول النبي ﷺ « فيه الوزع ابن الوزع الملعون ابن الملعون » وغير ذلك كما هو مبسوط في المستدرک وذكر كثير من العلماء أنه من المتواتر ١ هـ. ما ذكره عليه السلام .

فصل

في ذكر أول الأشعار بصعود نفس المختار ﷺ إلى بارئها العزيز الجبار

- ١١٦ * (لَا سِيَمًا عِنْدَ قُرْبِ الْحَادِثِ الْجَلَلِ
الْمُرِيعِ لِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ بِأَدِيهِ) *
- ١١٧ * (مِنْ مِثْلِ مَا كَانَ فِي حَجِّ الْوَدَاعِ وَفِي
يَوْمِ الْغَدِيرِ الَّذِي أَضْحَى يَثْنِيهِ) *
- ١١٨ * (أَبَانَ فِي نَصِّهِ مَنْ كَانَ خَالِقُنَا
لَهُ يُوَالِي وَمَنْ هَذَا يُعَادِيهِ) *
- ١١٩ * (وَهُوَ الْحَدِيثُ الْيَقِينُ الْكَوْنُ قَدْ قَطَعَتْ
بِكُونِهِ فِرْقَةٌ كَانَتْ تُوَهِّيهِ) *

أراد بالحادث الجلل وفاة رسول الله ﷺ إذ لا أجل منها ولا أعظم والذي كان في حجة الوداع ، نحو ما أخرجه النسائي عن جابر قال : رأيت رسول الله ﷺ على راحلته يوم النحر وهو يقول : « خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أعيش بعد عامي هذا » ونحو ما أخرجه الترمذي أيضاً عن جابر قال : « رأيت

رسول الله ﷺ في حجة الوداع يوم النحر وهو على ناقته القصوى
بخطب ، فسمعته يقول : « إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن
نضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي » ٥١ .

وعن ابن عمر قال : كنا نتحدث عن حجة الوداع والنبي ﷺ
بين أظهرنا ، ولا ندري ما حجة الوداع ، حتى حمد الله رسول
الله ﷺ وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره وقال :
ما بعث الله من نبي إلا أنذرهم أمته ، أنذرهم نوح والنبيون من بعده ،
وأنه يخرج فيكم فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم
إن ربكم ليس بأعور إنه أعور عينه اليمن كأن عينه طافية ، ألا
إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا ،
في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد ،
ثلاثاً ، ويلكم أو ويحكم أنظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب
بعضكم رقاب بعض ، هذه رواية البخاري ، وله في أخرى :
فطلق النبي ﷺ يقول اللهم اشهد ، ثم ودع الناس ، فقالوا :
هذه حجة الوداع .

وأما حديث يوم الغدير ، فهو من الأحاديث المتواترة عن
النبي ﷺ وقد روي بن طرق كثيرة عن خلق كثير من الصحابة
رضي الله عنهم ، بعضها من روايات أهل البيت عليهم السلام ،
وبعضها من روايات غيرهم من علماء الحديث ، وفي بعض
الروايات زيادات وما ينكره إلا مكابر مباحث .

فمن روايات أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ما رواه بالاسناد
عن البراء بن عازب قال : أقبلت مع النبي ﷺ في حجة الوداع

فكنا بغدير خم فنودي أن الصلاة جامعة وكسح للنبي تحت شجرتين فأخذ بيد علي عليه السلام فقال : « أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، فقال : هذا مولى من أنا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . فلقبه عمر فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة ».

وروا بالأسانيد إلى زيد بن أرقم قال : نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ، عند سمرة خمس دوحات عظام فقام تحتهم ، فأناخ ﷺ عشية ، فصلى ثم قام خطيباً « فحمد الله وأثنى عليه وقال : ما شاء الله أن يقول ثم قال : أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ما اتبعتموهما ، القرآن وعترتي أهل بيتي ، ثم قال : أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم ، فقال ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال رجل من القوم : ما يألو أن يرفع ابن عمه .

وروى بعضهم ، من طريق الحاكم أبي سعيد المحسن بن كرامة ما لفظه : فقام ﷺ خطيباً بغدير خم ، وأخذ بيد علي كرم الله وجهه فرفعها حتى رأى بعضهم بياض إبطه ، قال : « أأست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : اللهم نعم . فقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » فقام عمر فقال : بخ بخ يا ابن أبي طالب . أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ؛ قال الحاكم أبو سعيد رحمه الله . وحديث الموالة وحديث غدير خم قد رواه جماعة من الصحابة وتواتر النقل به حتى دخل

في حد التواتر ، فرواه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري ، وأبو أيوب الأنصاري ، وجابر بن عبد الله ، ثم ذكر روايات بعضهم وهي تضمن ما تقدم مع زيادات ، وروي بالإسناد إلى عبد خير قال : حضرنا وعلياً عليه السلام ينشد الناس في الرحبة فقال : أنشد من سمع النبي ﷺ يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ؟ فقام إثني عشر رجلاً كلهم من أهل بدر ، فيهم زيد بن أرقم فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك لعلي عليه السلام .

وأما روايات غير أهل البيت وغير شيعتهم ، فقد روي عن الرسالة النافعة للإمام المنصور بالله عن مسند الإمام أحمد بن حنبل هذا الحديث المذكور من طرق كثيرة بنحو ما سبق ، وحكاها أيضاً عن جامع رزين ، وعن مناقب ابن المعازلي الشافعي ، وذكر أنه رفع الحديث المذكور إلى مائة من أصحاب رسول الله ﷺ قال : وقد ذكر محمد بن جرير الطبري ، صاحب التاريخ خبر يوم الغدير وطرقه من خمسة وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية ، وذكر أبو العباس أحمد بن عقده خبر يوم الغدير وأفرد له كتاباً ، وطرقه من مائة طريق ، وخمس طرق ، ولا شك في بلوغه حد التواتر ، وحصول العلم به ولم نعلم خلافاً ممن يعتد به من الأمة وهم بين محتج به ومتأول له ، إلا من يرتكب طريقة البهت ومكابرة العيان ، تم كلامه .

وفي المستدرک ، بالإسناد إلى زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ، ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقم من قال : « كأنني قد دعيت فأجيب إنني قد تركت فيكم الثقلين

أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي فأنظر وا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم قال : إن الله عز وجل مولاي ، ومن كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه : » وذكر الحديث بطوله وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بطوله .

وفيه عن زيد بن أرقم ، نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند السمرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت السمرات ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلى ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه ووعظ فقال : ما شاء الله أن يقول ثم قال : «أيها الناس إني تارك فيكم أمرين ، لن تضلوا إن أتبعتموهما . وهما : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ثم قال : أتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ ثلاث مرات ، قالوا : نعم ، فقال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه » ١هـ .

قال الإمام عليه السلام في قوله : أضحي يشنيه ما حاصله إن أضحي هنا بمعنى صار ، ومعنى يشنيه بمعنى يكرره ويؤكدّه والتضعيف فيه للتنكير ، وذلك من جهة المعنى ، لأن قوله ﷺ «إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » كان يوم عرفة في حجة الوداع ، فثناه بحديث غدیرخم في الثامن عشر من ذي الحجة الحرام وفي كلا الحديثين تنويه بذكر علي عليه السلام ومزيتته ثم إن قوله ﷺ في أول حديث الغدير « إني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلى قوله لن يفترقا حتى يردا على الحوض » يتضمن تفضيل علي عليه السلام ، وقوله في آخره «من كنت مولاه فعلي مولاه» إلى

آخر تثنية وتكرير لتفضيله وأيضاً فجميع الأحاديث الدالة على فضله عليه السلام تتضمن ما دل عليه حديث الغدير فهي في المعنى تثنية له وتكرير وتأکید وتقرير له عليه السلام .

وقول الإمام عليه السلام . وهو الحديث اليقين الكون ، البيت كأنه إشارة إلى كلام ذكره الحافظ الذهبي في تذكرته حيث قال اعتنى في حديث غدير خم محمد بن جرير الطبري فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقة وألفاظه ، قال الذهبي : بهرني كثرة طرقة فقطعت بوقوعه ، فظاهر كلامه أنه كان قبل ذلك لا يقطع بصحته ، وقال في بعض كتبه : وصدر الحديث متواتر فتبين أن رسول الله ﷺ قاله ، قال ابن كثير . يعني قوله « من كنت مولاه فعلي مولاه »

قال الذهبي : وأما « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فزيادة قوية الاسناد وصححها أبو ذر هـ .

ومعنى قول الإمام عليه السلام وهو الحديث اليقين الكون ، أي المتيقن كونه ووقوعه ، وكذا قوله قد قطعت بكونه أي بوقوعه وصدوره عن النبي ﷺ :

- * (وَقَالَ يَا قَوْمَنَا قَدْ أَقْبَلَتْ فِتْنٌ لَكُمْ كَمُنْعَكِرِ الْإِظْلَامِ دَاجِيهِ) * ١٢٠
- * (فَاخْتَرْتُ جِيرَةً دَيَانِي مَعَ الْمَلَاءِ الِأَعْلَى الْمُطَهَّرِ مِمَّا لَيْسَ يُرْضِيهِ) * ١٢١
- * (وَكَانَ فِي صَفَرٍ مَا كَانَ مِنْ ضَرِّهِ وَنَازَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ يُؤْذِيهِ) * ١٢٢

قال في سيرة ابن هشام ما لفظه : قال ابن اسحق ، وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء من أرض فلسطين ، فتجهز الناس وعبء مع أسامة المهاجرون الأولون ، قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ .

قال ابن اسحق : فبينما الناس على ذلك ، ابتداء رسول الله ﷺ يشكو مرضه ، الذي قبضه الله فيه إلى ما أراده من رحمته وكرامته في ليال بقين من صفر أو في أول شهر ربيع الأول .

فكان أول ما ابتدأ به رسول الله ﷺ من ذلك فيما ذكر لي أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدأ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن اسحق : وحدثني عبد الله بن عمر عن عبيد بن جبير مولى الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال : بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل يتبع آخرها أولها الآخرة أشد من الأولى ، ثم أقبل علي فقال : يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة قال : فقلت بأبي أنت وأمي : فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة . قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم

انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه .
قال ابن اسحق : وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة
قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى
الصبح وأبو بكر يصلي بالناس . فلما خرج رسول الله ﷺ فرح
الناس فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ
فنكص عن مصلاه فدفع النبي ﷺ في ظهره ، وقال : صل
بالناس وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين
أبي بكر فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس وكلمهم رافعاً صوته
حتى يخرج صوته من باب المسجد يقول : «أيها الناس ، سعرت
النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، إني والله ما تمسكون
علي بشيء إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم
القرآن . »

وروي فيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما
أسمعه يقول : « إن الله سبحانه لم يقبض نبياً حتى يخيره » قالت :
فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها منه وهو
يقول : « الرفيق الأعلى من الجنة » قالت : قلت إذاً والله لا يختارنا
وعرفت أنه الذي يقول لنا : « إن نبياً لن يقبض حتى
يخير » ٥١ .

وعن عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ يقول : وهو
صحيح : « لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة » ثم يخير
قالت عائشة : فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق
فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : « اللهم الرفيق الأعلى » قلت
إذاً لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو

صحيح في قوله : « إنه لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير » .

قالت : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله « اللهم الرفيق الأعلى » .

وفي رواية أخرى ، قالت : فسمعتة يقول « مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين » أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم والموطاء والترمذي بروايات عديدة .

١٢٣ * (وَفِي الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمَ الْخَمِيسِ بِهِ
كُلُّ الرِّزْيَةِ قَالَ الْبَحْرُ : هِيَ هِيَ هِيَ) *

هذه إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم ، عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، « قال النبي ﷺ هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده إلى يوم القيامة » ، قال عمر في رواية مقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ومنهم من يقول ما قال عمر في رواية ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما كثر اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ قوموا عني ؛ قال : وكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية . ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم ؛ وفي رواية قال : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع . فخرج ابن عباس وهو يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين

كتابه ؛ وفي أخرى قال ابن عباس يوم الخميس ، وما يوم
الخميس زاد في رواية : ثم بكى حتى بل دمه الحصى قلت يا أبا عباس :
وما يوم الخميس قال : اشتد برسول الله ﷺ وجهه ، فقال « إيتوني
بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً » فتنازعوا ، ولا ينبغي
عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه ؟ هجر ؟ استفهموه ، فذهبوا
يرددون عليه فقال : « ذروني دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني
إليه » الحديث .

والبحر لقب لابن عباس ، لقب به لسعة علمه ؛ وقول الامام
عليه السلام هي هي يحتمل أن تكون كلها مبتدآت محذوفات
الأخبار أي هي الرزية ، هي الرزية ، هي الرزية ، وأن تكون
الثالثة مع الثانية تأكيداً للأولى ، والخبر محذوف ، وأن تكون
الأولى مبتدأ والثانية خبرها ، فالثالثة تأكيد للخبر ، وأن تكون
الثانية تأكيد للأولى وهي المبتدأ ، والثالثة خبرها ، وجميع ذلك
في الدرجة العليا من البلاغة . ومن الاخبار : عن اللفظ بمثله كقوله
أنت أنت ، وقول أبي النجم : وشعري شعري ، أي أنت المعروف
بالكمال ، وشعري المعروف بالجودة ، ونحو ذلك ، ومنه قول الأول :
رموني وقالوا يا خويلد لا ترع

فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

* (وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي تَالِيهِ كَانَ صُعُو

د الروح طَابَتْ مَعَ الْأَمْلَاكِ تَرْقِيهِ) * ١٢٤

* (فَأَظْلَمْتُ أَفْقَ الْأَرْضَيْنِ وَابْتَهَجْتُ

بِهِ السَّمَاوَاتِ مَعَ عَرْشٍ وَمَا فِيهِ) * ١٢٥

قال الإمام عليه السلام : عن سليمان بن طرحان التيمي قال :
مرض رسول الله ﷺ بالوجع يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر ،
وتوفي يوم الاثنين اثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول ، ذكره
الواقدي ، وجزم به كاتبه ابن سعد وزاد . ودفن يوم الثلاثاء .

وفي مسند أحمد أنه دفن ليلة الأربعاء ، وفي رواية ابن عباس
أنه توفي لعشر خلون من شهر ربيع الأول ١١هـ .

وعن جعفر الصادق أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين فلم
يغسل إلا آخر يوم الثلاثاء ، الحديث ؛ ذكره في جامع الأصول ،
ولم يذكر مخرجه ، وفي حديث أخرجه البخاري وغيره عن عائشة
أن رسول الله ﷺ لما اشتد به المرض وبين يديه ركوة ، أو علبه .
- شك للراوي فيهما - فجعل يدخل يديه في ذلك الماء فيمسح
بهما وجهه ، ويقول لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ثم
يصب بيده ، فجعل يقول « في الرفيق الأعلى حتى قبض ﷺ
فمالت يده » .

وفي رواية الترمذي عنها قالت : رأيت النبي ﷺ وهو بالموت
وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه
بالماء ثم يقول « اللهم أعني على سكرات الموت وغمرات
الموت » ١١هـ .

وفي السيرة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ توفي حين اشتد
الضحى يعني من يوم الاثنين ففرغ من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء
ودفن ليلة الأربعاء ، قال ابن اسحق ولما توفي رسول الله ﷺ
عظمت به مصيبة المسلمين . وكانت عائشة فيما بلغني تقول لما

نوفي رسول الله ﷺ : ارتدت العرب ، واشترأت اليهودية
والنصرانية ، ونجم النفاق وعال ، فصار المسلمون كالغنم
المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيئهم ﷺ . .

قلت ولعمري إن العبارات تقصر عن شرح الحال عقيب ذلك
الحادث الملم النازل والخطب المدلهم الهائل الذي هو أحق وأولى
بقول القائل :

يقولون حصن ثم تأتي نفوسهم وكيف بحصن والجمال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم يزل نجوم السماء والأديم صحيح
ولقد أبلغ الأمام عليه السلام في وصف تلك الحال وأوجز
وأبدع فيما ضمنه ذلك المقال ، وأعجززاده الله فيما منحه من خلال
الكمال ، وبارك الله له فيما اختصه من كمال الخلال وما أحقه
بقول من قال :

جرى معك الجارون حتى إذا انتهوا
إلى الغاية القصوى سبقت وقاموا

فليس لشمس مذ أنرت لإنارة وليس لبدر مذ تمت تمام
وقد ذكر في جامع الأصول في المجلد الآخر منه ما لفظه :

كان ابتداء مرض رسول الله ﷺ من صداع عرض له وهو
في بيت عائشة ثم اشتد عليه وهو في بيت ميمونة ، ثم استأذن
نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له ، وكانت مدة مرضه إثنتي
عشر يوماً ، وقيل أربعة عشر يوماً ومات يوم الاثنين ضحاً من
ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وسنة ثلاث وأربعين
وتسعمائة للإسكندر ، قيل مستهل الشهر ، وقيل: لليلتين خلتا منه ،

وقيل : لاثنتي عشرة ليلة بخلت . الأكثر ، ودفن ليلة الأربعاء
وسط الليل ، وقيل ليلة الثلاثاء ، والأول أكثر ، وصلى عليه
المسلمون أرسالا أفراداً لا يؤمهم أحد ودفن بموضع موته من
حجرة عائشة .

فولد يوم الاثنين وبعث نبياً يوم الاثنين وخرج من مكة يوم
الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين ، وغسله
علي والعباس والفضل بن العباس وصالح مولى النبي ﷺ وهو
شقران وقيل : كان معهم أسامة بن زيد ، وقيل : غيره .

ونزل لحده هؤلاء المذكورون وقيل كان معهم عبد الرحمن
بن عوف ، وقيل غيرهم .

وكان له من العمر يومئذ ثلاث وستون سنة ، وقيل : خمس
وستون ، وقيل : ستون ، والأول أكثر وأصح ، وكان مدة النبوة
ثلاثاً وعشرين سنة أو خمساً وعشرين أو عشرين على الخلاف في
مدة عمره والله أعلم .

وفي قول الأمام عليه السلام ، وأظلمت أفق الأرضين ، البيت :
إشارة إلى ما أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أنه قال : لما كان
اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء فيها كل شيء
فلما كان اليوم الذي مات فيه ﷺ أظلم فيها كل شيء وما نفطنا
عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا .

قال الترمذي : حديث صحيح غريب . قال ابن كثير إسناده
على شرط الشيخين وفي رواية غريبة . أظلمت المدينة حتى لم
ينظر بعضنا بعضا . وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها .

وقوله فابتهجت به السماوات إلى آخره : إشارة إلى الحديث المروي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أخرجه البهيقي وغيره وهو مرسل وفيه أن ملك الموت عليه السلام قال : يا محمد إن الله أرسلني إليك ، فأين أمرتني أن أقبض روحك قبضت ، وإن أمرتني أن أترك تركت ، فنظر النبي ﷺ إلى جبريل فقال له جبريل : يا محمد إن ربك قد اشتاق إليك ، فقال رسول الله ﷺ لملك الموت : إمض لما أمرت به ، فقبض روحه الشريفة . انتهى ما ذكره الامام عليه السلام .

فصل

في ذكر أول ما وقع من الاختلاف الذي أشار إليه عليه السلام بقوله :

* (وَكَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَيْمَةٌ

وَمَا مِنَ الْكَرْبِ لَا أَسْتَطِيعُ أَرْوِيهِ) * ١٢٦

* (صَانَ الْوَصِيِّ بِهَا الْإِسْلَامَ إِذْ بَقِيتْ

أَعْلَامَ شَرَعٍ يَرَاعِيهَا مَرَاعِيهِ) * ١٢٧

صدر البيت الأول مضمن من شعر عمة رسول الله ﷺ صيفة بنت عبد المطلب ، ويروى أن فاطمة البتول عليها أفضل السلام تمثلت بها عند مخاطبتها لأبي بكر في شأن «فدك» حيث أنشدت هذه الأبيات وهي :

قد كان بعدك أنباء وهينمة
لو كنت حاضرها لم يكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
 واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
 وكان جبريل بالآيات يؤنسنا
 فغبت عنا فنحن اليوم نغتصب
 وكنت بدرأً ونوراً يستضاء به
 عليك تنزل من ذي العزة الكتب
 تهضممتنا رجال واستخف بنا
 مذ غبت عنا فكل الخير محتجب
 وقد رزئنا الذي لم يرزه أحد
 من البرية لا عجم ولا عرب
 فسوف تبكيك ما عشنا وما بقيت
 منا العيون بهتان همى سرب
 وفي سيرة ابن هشام ما لفظه :

قال ابن اسحق : ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي
 من الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة ، واعتزل علي
 عليه السلام والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، في بيت فاطمه ،
 وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر وانحاز معهم أسيد بن خضير
 في بني عبد الأشهل فأتى آت إلى أبي بكر وعمر فقال : إن
 هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة وقد
 انحازوا إليه فإن كان لكم بأمر الناس حاجة ، فأدركوا الناس
 قبل أن يتفارق أمرهم ورسول الله ﷺ في بيته . لم يفرغ من أمره
 قد أغلق من دونه الباب أهله ، قال عمر : فقلت لأبي بكر إنطلق
 بنا إلى إخواننا من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه .

وفي حديث أخرجه البخاري عن ابن عباس ، أن عمر قال في خطبة له قبل قتله بأيام ما لفظه . وإنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر . فقلت لأبي بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلاً صالحاً فذكر ما تملاً عليه القوم فقالوا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالوا لا عليكم أن لا تقربوهم ، أقضوا أمركم فقلت والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فاذا رجل من مل بين ظهرائهم فقلت من هذا ؟ قالوا : هذا سعد بن عباد ، فقلت ما له ؟ قالوا : يوعك فلما جلسنا قليلاً نشهد خطيبهم فأتني على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله ، وكتيبة الأسلام ، وأنتم معاشر المسلمين المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة فإذ هم أرادوا أن يخللونا من أصلنا وأن يقصوننا من الأمر أي يخرجونا منه وينحونا عنه ، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقالة ، أي هيأت أعجبني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أوارى منه بعض الحسد ، فلما أردت أن أتكلم ، قال أبو بكر : على رسلك ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر فكان أحلم مني ، وأوقر وأوفق ، والله الموفق ، والله ما ترك من كلمة أعجبني في تزويري لإلقال في بديته مثلها وأفضل منها حتى سكت ، فقال ما ذكرت فيكم من خير فأنتم له أهل ولن تعرف للعرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش

هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ،
فبايعوا أيهما شئتم ، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيده بن الجراح وهو
جالس فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقي
لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو
بكر ، اللهم إلا تسول نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن .

فقال قائل من الأنصار : أنا جأيلها المحكك وعذيقها المرجب
منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش « الجذيل » تصغير الجذل وهو عود
ينصب للابل الجربى يحك فيه فتستشفى والمحك الذي كثر
الاحتكاك به حتى صار أملس ، و « عذيقها » تصغير عذق بفتح
العين ، وهي النخلة ، والمرجب المسند بالرجبة وهي خشبة ذات
شغبتين وذلك إذا طالت الشجرة وكثر حملها اتخذوا ذلك لها والمعنى
أني ذو رأي يستشفى به في الحوادث وينتفع به - والقائل ذلك
هو الحباب بن المنذر ، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى
فرقت من الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر فبايعته ، وبايعه
المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار وبردنا على سعد بن عباد فقال
قائل منهم ، قتلتم سعد بن عباد فقلت قتل الله سعد بن عباد ،
قال عمر : إنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمرنا أقوى من مبايعة
أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم
بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى ، وأما أن نخالفهم فيكون
فساداً ، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع
هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتتلا انتهى . « التغرة » مصدر غر
وهي من التغرير كالتعله والتقدير خوف تغرة أن يقتتلا ، قال
الامام عليه السلام : وكان بعدك أنباء وهينة : إشارة إلى الآيات

المذكورة لصفية التي تمثلت بها فاطمة الزهراء رضي الله عنها ،
وقوله : وما من الكرب لا أستطيع أرويه ، إشارة إلى ما وقع من
الموان والزلات التي أنبني عليها وثار منها ونشأ عنها كل فتنة
ومحنة في الإسلام وذلك من إساءة أهل السقيفة بالخلافة على
أهل البيت الذين هم أصلها ونصابها ومركزها وأقطابها وقد
وردت في قضيتهم وفيهم النصوص القرآنية والبراهين النبوية
فاستخف بحقهم ولم ينظر إليهم وإلى تقديمهم بموجبات الايثار
وسبقهم ، وبعد ذلك وقع التجاسر على العقوق لهم والهضم وتمكنت
الشبهة في التهاون والتنقص لهم والوصم ، فأول ما كان من ذلك
إغضاب سيدة نساء العالمين ومشاحتها في الذي ادعت أنه لها
ملك بالأثر والنحلة لها من أبيها الرسول الأمين ﷺ حتى ماتت
وهي غضباء شجية ، ولحقت بأبيها وهي حزينة بكية ، وقد روي
عنه ﷺ أنه قال « إنها بضعة مني يربيني ما يربينا » ، في قصة حديث
المسور الصحيح عندهم وإن كان عند أهل البيت من الموضوعات
الفرية ، لكن بعض هذه الجملة متواتر من الأمور القطعية ، ثم
تعقب ذلك كل محنة في الدين من ارتداد المرتدين والخطأ الواقع
في الشورى بين الستة التي هي أخت السقيفة بل أعظم خطراً وأخفى
تأويلاً ونظراً ثم تعقب ذلك عظام الامتحان من فتنة عثمان وما
نشأ عنها وتعقبها من الفتن الفادحة الشأن ، من مثل للجمال ، وصفين
وكرבלاء والحيرة وغير ذلك إلى آخر الزمان ١هـ .

وروي الامام المنصور بالله عليه السلام فيما حكى في كتابه
الشافعي عن المغيرة بن شعبة أنه قال : أنا أول من صرف هذا الأمر
من أهل هذا البيت وذلك أني أتيت يوم وفاة رسول الله ﷺ وأبو

بكر لازم للباب ، فقلت : ما وقوفك ها هنا ؟ قال : أنتظر علي بن أبي طالب يخرج فنبايعه ، فقد سمعنا فيه من رسول الله ﷺ ما سمعنا ، فقال : أنشدك الله في الأسلام وأهله ، لأن فعلت ذلك لتكونن قيصرية وكسروية ولينتظرن بها الجنين في بطن المرأة ، فلم يقبل قولي فذهبت إلى عمر فلقيته ، فقلت له : الله الله في الأسلام ، إني لقيت أبا بكر وهو ينتظر علياً ، وقال كذا وقلت كذا والله لئن فعلتم ذلك ها ا لينتظرن بها الجنين في بطن المرأة ولتكونن قيصرية وكسروية ، قال : وخف معي عمر وكان أبو بكر لا يكاد يخالفه فما زال يقتل منه في الذروة والغارب حتى أخذ بيده وسار إلى سقيفة بني ساعدة وكان ما علمه الناس .

وروي أنه لما بويع أبو بكر تخلف عن البيعة علي عليه السلام وسائر بني هاشم ، وطلحة والزبير ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي وبريده الأسلمي ، وسعد بن عباد وابنه قيس ، وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وسهل بن حنيف ، وأبي بن كعب ، والمقداد بن الأسود وقيل كان فيمن تخلف عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان ، وأنه كسر سيف الزبير ، وضرب ووجي عنق سلمان ، وخرج سعد بن عباد إلى الشام حتى مات بها كما تقدم ذكره .

وروي أن العباس رضي الله عنه قال لعلي عليه السلام أمدد يدك أبايعك فيقال عم الرسول ﷺ بايع ابن أخيه . فلا يختلف عليك إثنان ، فقال علي عليه السلام : لو كان عمي حمزة حياً وأخي جعفر باقياً .

وقد رويت عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وغيره كلمات في هذا الشأن تدل على تألمه وتظلمه مما كان . وأنه إنما أغضى مخافة انشقاق عصا المسلمين وافتراق كلمتهم وما يؤدي إليه ذلك من قوة شوكة المرتدين وظهور نفاق المنافقين . وانهدام قواعد الدين .

ورأى أمور المتقدمين عليه جارية على السداد هادية سبل الرشاد إلى أن حدث ما حدث في الإسلام من تغير الأحكام واختلال النظام .

فقام بالأمر حين تضيق عليه القيام وجاهد في الله حق جهاده ، حتى ورد مشرع الحمام وشايعه على ذلك كل سميدع همام من المهاجرين والأنصار الجحاحجة الأعلام والتابعين بإحسان من أفاضل الأنام قدس الله أرواحهم جميعاً في دار السلام .

والضمير في « بها » عائد إلى « الأنباء » و « الهينة » « وإذ » للظرفية ، والضمير في « يراعيها » عائد إلى أعلام وفي « تراعيه » عائد إلى شرع ، والمراعاة المراقبة أي يراقب تلك الأعلام ويحافظ عليها من يراقب الشرع الشريف ويحافظ عليه والله أعلم .

* (حَتَّى إِذَا انْتَهَيْتَ أَحْكَامَهُ وَعَفَتْ

أَعْلَامُهُ قَامَ بِالْأَرْوَاحِ يَفْدِيهِ) * ١٢٨

* (مِنْهُ وَمِنْ شِيعَةٍ مَعَهُ وَمِنْ عَقِبِ

سَأَلَتْ عَلَى أَشْلِ^{أَسَلْ} أَنْفَاسُهُمْ فِيهِ) * ١٢٩

لما أفضى الأمر إلى عثمان بن عفان غلب عليه جماعة من أهل بيته ومن يتعلق به من لا خير فيهم .

كمروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ وابن طريده والوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي سماه الله ، فاسقاً ، في قوله تعالى « إن جاءكم فاسق » الآية وكان مدمن خمر حتى روي أنه أم بالناس في الصلاة وهو سكران .

وكعبد الله بن أبي سرح الذي ارتد عن الإسلام وأهدر دمه رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وأمثالهم ممن لاحظ لهم في الدين ، فولاهم عثمان الولايات وأقطعهم الإقطاعات ، ولم تزل تصدر عنهم الأفاعيل المنكرات وما زال الصحابة يعاتبون عثمان في شأنهم خصوصاً علي عليه السلام ، ويعدهم عثمان بالعتبي فلما طالت تلك الأمور وضاحت بها الصدور تداعى عليه جماعات من العراق ومن مصر ومن غيرهما فحاصروه في داره بالمدينة وطلبوا منه أن يعتزل الأمر فامتنع حتى انتهى الحال إلى أن تسور عليه جماعة منهم فقتلوه ، وقد كان علي عليه السلام عرض عليه أن ينصره ويدافع عنه ، فاستغفاه من ذلك ، ولم يكن يظن أنه يقتل .

ولما كان عقيب ذلك انشال الناس من المهاجرين والأنصار وسائر أهل الأقطار على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، وهو معتزل في بيته ، مغلق عليه بابه ، فطلبوا منه البيعة ، وبذلوا له النصرة فرأى عليه السلام أنه لم يبق له عذر في ترك القيام بالأمر .

كما روي عنه أنه قال : لولا حضور الحاضر ووجوب الحجّة بوجود الناصر . لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها . ونحو ذلك .

فأجابهم إلى البيعة امثالاً لأمر الله . وغيره على دين الله . فأقام
قناة الإسلام . وأدار رحي الأحكام على قطب الأحكام ، وسار
في الرعية سيره أخيه سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وأجبرهم
جميعاً على منهاج العدل . وقضى بينهم بالقضاء الفصل . فسلك
بهم مضيقاً . فلم يدع له الحق صديقاً . فنكت الناكثون ، وقسط
القاسطون ، ومرق المارقون كما تقدم ذكر طرف من ذلك .

فلم يزل عليه السلام يعجز الجحافل وينشر القساطل ، ويروي
الأسل والمناصل ، من دماء حزب الباطل ، ويوقع بالمخالفين
للقائع التي تشخص لها أبصار الأبطال ، ويشيب منها رؤوس
الأطفال ، إلى أن ختم الله له بالحسنى وزيادة واختار له المصير إلى
دار السعادة ، فاغتاله عدو الله عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله في
الدنيا والآخرة المرادي الخارجي شقي الأمة بنص الصادق المصدوق
رسول الله ﷺ .

كمن له ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
الكريم سنة أربعين ، فضربه بسيف مسموم على هامته عند خروجه
إلى صلاة الصبح بمسجده بالكوفة ، ثم مات عليه السلام من
تلك الضربة بعد ثلاث ليال .

وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأصح ، وكانت مدة
خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً وصلى عليه ابنه الحسن عليه
السلام ، ودفن سحراً ، .

وأما عدو الله ، ابن ملجم فقبض عليه ، وأمر علي عليه السلام
أن يطعم ويستقي وقال : إن عشت فأنا ولي حقي وإن مت فشأنكم

وحقكم ، فلما مات عليه السلام ، قتل الملعون وعجل الله بروحه إلى النار .

ثم قام بالأمر ، مولانا أمير المؤمنين الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، وسيد شباب أهل الجنة ، فبايعه الناس وأظهروا الجد معه والنصيحة ، ثم خذله أكثرهم ، ومالوا إلى الدنيا ، وراسله معاوية في الصلح ، فصالحه لما رأى في ذلك من المصلحة على شروط لم يف له بها .

ثم مات عليه السلام مسموماً شهيداً بالمدينة ، ودفن بالبقيع سنة خمسين على قول الأكثر ، وكان ولادته في شهر رمضان سنة ثلاثة من الهجرة على الأصح .

ثم قام بعده أخوه أبو عبد الله أمير المؤمنين الحسين بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته وسيد شباب أهل الجنة ، بويع له في الكوفة عقيب موت معاوية ، فلما خرج إليها وقرب منها أخلفه أهلها ، وتلقته عساكر اللعين يزيد على يد اللعين عبد الله بن زياد بالطف من كربلاء بين الكوفة والحلة من أرض العراق فقتله سنان بن أنس الخثعمي لعنه الله ، وقيل شمر بن ذي الجوشن لعنهم الله جميعاً ، وذلك يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وكان مولده في شعبان سنة أربع .

وكانت علقت به أمه فاطمة الزهراء عليها السلام ، بعد ولادة أخيه الحسن بخمسين ليلة قدس الله أرواحهم في الجنة ولعن أعداءهم .

ثم لم يزل من ذريتهما الطاهرة في كل وقت من يدعو إلى سبيل

الرشاد ، ويرفع راية الجهاد . ويجر الأجياد ، ويجاهد أهل
 الغناد ، ويحسم مواد الفساد : كما هو معلوم مشهور ، وفي كتب
 التاريخ مزبور مسطور .

نجوم سماء كلما انقض كوكب بدأ كوكب تأوي إليه كواكبه
 وإلى ذلك أشار الأمام عليه السلام بقوله : يا سيد الرسل الأبيات ،

فصل

في ذكر طائفة الحق الباقية وفرقة الإسلام الناجية

- * يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ إِنَّا مَعْشَرٌ خُشُنٌ
 فِي دِينِكَ الصَّدَقِ نُحْيِيهِ وَنَحْيِيهِ (* ١٣٠)
 * (مِنْ آلِ سِبْطِكَ لَا تَنْفُكُ طَائِفَةٌ
 مِّنَّا عَلَى الْحَقِّ نَحْزِيهِ ^{تَحْزِيهِ} مِنْ يُنَاوِيهِ) (* ١٣١)
 * (وَلَا تَزَالِ عَلَى أَكْتِفَانَا خُدُمٌ
 تُبِيدُ خَضِرَاءَ قَوْمٍ لَا تَرَاعِيهِ) (* ١٣٢)

الخدم السيوف القاطعة ، وتبید بمعنى تهلك ، ويقال : أباد الله
 خضراءهم أي سوادهم ومعظمهم .

أشار الأمام إلى الحديث في الولاية للذي من معناه « فان لم
 يستقيموا لكم » يعني على الحق ، « فضعوا سيوفكم على عواتقكم
 ثم أيدوا خضراءهم ، فأن لم تفعلوا تكونوا رواغين أشقياء »

أخرجه الطبراني والطبراني من حديث ثوبان رفعه ورجاله ثقات وفيه انقطاع لكن له شاهد في الطبراني من حديث النعمان بن بشير بمعناه ، والمراد بالخشونة في البيت الأول ، التصلب في دين الله عز وجل ، وفي وصف الدين بالصدق مبالغة ، كما في قولهم ، رجل عدل ، والسبب ، ولد الولد ، والمناواة ، المباحدة للعداوة ، والمراعاة ، المراقبة ، وقول الإمام عليه السلام : من آل سبطيك ، إشارة إلى قول النبي ﷺ « للحسن والحسين سبطان من الأسباط » أخرجه الترمذي وابن ماجه ، والحاكم من حديث يعلى بن مرة ، وقوله طائفة منا إشارة إلى الحديث المشهور الآتي « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين » الخبر ورواه عمران بن حصن وثوبان وعقبه بن عامر والمغيرة وغيرهم ٥١ .

١٣٣٠ * مِنْنا خَلِيفَةً حَقٌّ مَنْ تَكُونُ لَهُ
تَعْلِيهِ ^{أَكْبَرُهُمْ رِوَايَةً}
شُرُوطُ شَرْعٍ بِالْإِسْتِخْلَافِ تَمْلِيهِ) *

مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام ، أن الإمامة لا تصح إلا في أولاد الحسين عليهم السلام بالإجماع على صحتها فيهم ، ولا دليل على صحتها في غيرهم ، وشروط الإمامة معروفة ، ومعنى تعليه تصيره علياً أي حقيقةً بالاستخلاف ، وقوله : من تكون له إلى آخره . بدل من خليفة حق .

١٣٣١ * (فَنَحْنُ طَائِفَةٌ الْحَقِّ الَّتِي وَرَدَتْ
فِيهَا الْأَحَادِيثُ مِمَّا الْكُلُّ يَرْوِيهِ *)

عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال طائفة من أمتي

ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ، وأخرجه أبو داود في جملة أحاديث ، وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم « لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » وفيه روايتان نحو ذلك ، وفي حديث أخرجه « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله . لا يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وعن عمران بن حصين قال : قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق من ناوءهم : حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال » أخرجه أبو داود ؛ وعن أبي هريره : أن رسول الله ﷺ قال : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو إثنيتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » أخرجه الترمذي ، ولأبي داود نحوه .

وفي حديث أخرجه أبو داود « ألا إن من أهل الكتاب افترقوا على إثنين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، إثنان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة » وفي حديث أخرجه ابن عمر بن العاص « وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة » قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » ١ هـ .

والدليل على أن الطائفة المحقة الباقية ، والفرقة الموفقة الناجية هم أهل البيت عليهم السلام ، ومن أتبعهم ما أشار إليه الأمام عليه السلام في قوله :

- ١٣٥ * (تَرَكْتَنَا مَعَ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ إِلَى الْا
 حَوْضِ الَّذِي لِمَوَالِينَا يُرْوِيهِ) *
- ١٣٦ * (سَفِينَةُ اللَّهِ تُنَجِّي مَنْ يَلُودُ بِهَا
 وَمَنْ تَخَلَّفَ ، فِي النَّيِّرَانِ تَهْوِيهِ) *
- ١٣٧ * (وَنُورُكُمْ أَيُّهَا الْأَشْبَاحِ صَارَ بِنَا
 وَهُوَ الَّذِي آيَةُ التَّطْهِيرِ تَغْنِيهِ) *
- ١٣٨ * إِيْجْمَاعُنَا حُجَّةُ الْإِيْجْمَاعِ وَهُوَ لَهُ
 أَقْوَى دَلِيلٍ عَلَى مَا الْعِلْمُ يُنْبِيهِ) *

أشار عليه السلام في البيت الأول إلى نحو ما أخرجه الترمذي من حديث زيد بن أرقم : قال قال رسول الله ﷺ « إني تارك فيكم ما أن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يبردا علي الحوض ، فأتظنوا كيف تخلفوني فيهما » وفي حديث أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم قال : « قام رسول الله ﷺ فينا خطيبنا بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال : « أما بعد : ألا أيها الناس ، إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، ألا وإني تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل

يتي ، وأذكركم الله في أهل بيتي » فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ فقال : نساؤه من أهل بيته . ولكن أهل البيت من حرم الصدقة بعده ، الحديث .

وفي رواية : فقلنا من أهل بيته نساؤه ؟ قال : لا ؛ أيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها ، فترجع إلى أبيها وأمها وأشار عليه السلام في البيت الثاني إلى الحديث المشهور ، « أهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى » وقد تقدم ذكر حديث الأشباح ، وآية التطهير ، ووجه الدلالة في جميع ذلك ظاهر ، لأن النبي ﷺ أخبر في الحديث الأول بأن أهل البيت لن يفارقوا كتاب الله ولا يفارقهم ، ومن كان كذلك فهو المهتدي الناجي المحق كما لا يخفى ، ووجه الدلالة في البيت الثاني أظهر لأنه شبههم بسفينة نوح ، ومعلوم أنه لم ينج من قوم نوح إلا من ركب سفينته ، وكذلك لا ينجو من أمة محمد ﷺ إلا من اتبع صالح عترته ، وإلا لم يكن للخبرين المذكورين فائدة ولا معنى .

وقول الإمام عليه السلام : حديث « أهل بيتي كسفينة نوح ، أخرجته الحاكم من وجهين عن أبي ذر . ولفظه سمعت رسول الله ﷺ يقول « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى ، ومثل حطة لبني إسرائيل » وفي الوجه الآخر بدون قوله « ومثل حطه » إلى آخره ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الصغير والأوسط من غير طريق وأبو نعيم كذلك ، وأبو يعلى عن أبي ذر أيضاً والبزار وابن المغازلي أبو الحسن وزاد

« ومن قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال » ، وأخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبزار وغيرهم . عن ابن عباس وغيره وأخرجه ابن المغازلي عن سلمة بن الأكوع وأخرجه البزار عنه ، ورواه الطبراني في الصغير والأوسط أيضاً عن أبي سعيد الخدري ، وهذا ما ذكره السهوري في كتاب جواهر العقدين وفي هذه زيادة « مثل حطه » وغير ذلك مما يؤكد المعنى المشترك في الكل وكيف ترى من يضعف هذا الحديث وله هذه الطرق من رواية غير أهل البيت ، وإذا ضمت إلى رواية أهل البيت لحقت المعنى بالمتواتر قطعاً وكذلك حديث الحوض ، أخرجه أهل البيت عليهم السلام بطرق كثيرة وأخرجه غيرهم في قصة رجل كان يسمى معاوية بن خديج كان يسب علياً عليه السلام عند معاوية بن أبي سفيان ، فقال له الحسن بن علي عليهما السلام : إياك وبغضنا ، فإن رسول الله ﷺ قال : « لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا زيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار » أخرجه الطبراني ، وفي الطبراني أيضاً أن الحسن بن علي عليهما السلام قال : أنت معاوية بن خديج فسكت فلم يجبه ثلاثاً ، قال : أنت الساب علياً عند ابن آكلة الأكباد ؟ أما لئن وردت على الحوض لتجدنه مشمرأ حاسراً عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله ﷺ قول الصادق المصدوق ، وفي رواية الطبراني أيضاً عن علي بن أبي طلحة مولى بني أمية في قصة معاوية بن خديج نحو ما تقدم ، ورواه بطريقين أحدهما رجالها ثقات وإن كان بعضهم قال لا يعرف علي بن أبي طلحة فرواية الثقات عن المجهول تعريف له ولا سيما إذا احتف به الثقات من خلف وأمام ، مع

أن الثقة قد عرفه بأنه مولى موالى بني أمية والحق ما شهد به العدو ، وقد أخرجه الطبراني أيضاً عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يا علي ، معك يوم القيامة عصي من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض » ولأحمد بن حنبل في المناقب من حديثه يعني أبي سعيد الخدري أيضاً مرفوعاً « أعطيت في علي خمساً هن أحب إلي من الدنيا وما فيها أما واحدة فهو تكائي^(١) بين يدي الله عز وجل حتى يفرغ من الحساب ، وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته ، وأما الثالثة فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أمتي » الحديث^(٢) . وفي قصة فيها كرامة باهرة لمحمد الباقر بن علي بن أبي الحسين زين العابدين وفي آخر القصة من قوله عليه السلام :

نحن على الحوض رواده ندود ونسعد وواده
فمن فاز ما فاز إلا بنا وما خاب من حبنا زاده
فمن سرنا نال منا مناه ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن فاتنا غاصباً حقنا فيوم القيامة ميعاده
ولبعضهم :

بأيدهم سقي الأنام لدى الظما، فزمزم في الدنيا وفي الحشر كوثر
وذكر الكفار والمنافقين في هذه الأحاديث وغيرها تدل على أن
مبغضي علي عليه السلام وأهل بيته ، من الكفار والمنافقين وهو
مقتضى الحديث الصحيح « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا

(١) التكاء ما يتكأ به .

(٢) تمام الحديث وأما الرابعة فساتر عورتي ومساحتي إلى ربي . وأما الخامسة فلست أخشى أن يرجع زانياً بعد إحسان ولا كافراً بعد إيمان ، انتهى .

منافق » وهذه الأحاديث وغيرها تبطل من تأويل المنافقين بغير ظاهر النفاق لتوعدهم هنا بالنار وجمعهم مع الكفار في البوار ، مثل حديث الأعمش في حق أبي موسى الأشعري وقوله في حقه وحق عبد الله بن مسعود ، « أحدهما منافق » ثم أخذ يطري بمدح عبد الله بن مسعود ليصرف الآخر المتهم إلى أبي موسى الأشعري .

وهو مقتضى قول الإمام أحمد بن حنبل حين سئل عن الحديث المشهور إن علياً قسيم الجنة والنار ، فقال : وما تنكرون من هذا الحديث ؟ وهو معنى قوله عليه السلام « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق » ١٠٥١ .

وقول الإمام عليه السلام « ونوركم أيها الأشباح صار بناءً » البيت ، فيه إشارة إلى أن المراد بآية التطهير الخمسة الأشباح ونسلهم بدليل قوله عليه السلام في الخبر المتقدم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ونحوه فإنه يدل على استمرار ملازمة أهل البيت عليهم السلام لكتاب الله تعالى وعدم افتراقهما إلى آخر أيام الدنيا فلو لم يكن المراد بأهل البيت إلا الخمسة لما صدق الخبر المذكور ونحوه إذ المقصود بملازمة كتاب الله تعالى والعمل به ولا يتصور ذلك في حق الميت لارتفاع التكليف عنه كما لا يخفى ، والمراد بالتطهير في الآية الكريمة إنما هو التطهير من درن الذنوب والأوزار وذلك هو معنى العصمة وهي اللطف الذي تترك عنده المعصية لا محالة وليس المراد بالطهارة من الآصار البدنية ، بمعنى أنه لا ينجس منهم شيء ، منها لأن الاجماع منعقد على أنه ينجس منهم ما ينجس من غيرهم من الفضلات عدا رسول الله صلى الله عليه وآله فلو لم تحتمل الآية على التطهير من الذنوب لخلت عن الفائدة .

ثم إن العصمة لمن بعد الخمسة عليهم السلام من نسلهم المطهرين ،
إنما يثبت لجماعتهم للعلم بصدور الخطأ والعصيان من بعض آحادهم
فتعينت العصمة لجماعتهم بمقتضى هذه الآية الكريمة والخبرين
السابقين .

وقول الامام عليه السلام « إجماعنا حجة الإجماع » البيت
إشارة إلى إقامة دليل على حجة الاجماع وتحريره ، أن إجماع
الأمة يتضمن إجماع أهل البيت عليهم السلام ، إذ هم بعض
الأمة بل سادتهم وخيرهم ، وقد ثبت أنهم جماعة معصومة
بدليل الآيات والأخبار السابقة المتواترة معنى وفي تجويز الخطأ
على الأمة تجويز الخطأ على أهل البيت عليهم السلام ، وذلك
بنافي العصمة التي قد ثبتت لهم .

ولا يخفى على المنصف أن هذا الدليل أقوى من سائر الأدلة
في كتب الأصول كالأستدلال بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين » الآية ، ونحو
قوله ﷺ « لا تجتمع أمتي على ضلالة » .

ولكونهم أجمعوا على تخطئة المخالف للاجماع ، ومثلهم
لا يجمع على القطع بتخطئته في شرع إلا عن دليل قاطع لما في هذه
الأدلة ونحوها من المناقشات وما يرد عليها من الاعتراضات على
ما هو مقرر في موضعه في كتب الأصول .

وتحريز دلالة آية التطهير على العصمة مع ما سبق ذكره هو أن
الله عز وجل أخبر عن نفسه وهو أصدق القائلين (إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وإرادته
تعالى لما هو من فعله لا يتأخر عن مراده إذ الإرادة المتقدمة على

الفعل عزم ، وفائدته توطين النفس وذلك لا يجوز على الله عز وجل فإذا أخبر سبحانه بأنه يريد شيئاً من فعله قطعت بحصول ذلك الشيء المراد كما هو مقرر في موضعه من كتب الكلام والله أعلم .

١٣٩ * (هَذَا وَإِنِّي بِذِكْرِ الطُّهْرِ حَزْتُ عَظِيمَ

الذِّكْرِ لِلَّهِ مُعْلِيهِ وَمُسْنِيهِ) *

قوله عليه السلام هذا وإني من الاقتضاب القريب من التخلص قال بعضهم : هو من فصل الخطاب الذي هو أحسن موقعاً من التخلص ، ولفظة هذا مبتدأ محذوف الخبر ، أو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كما ذكر والأمر هذا والواو التي بعده للحال والمراد بالطهر ، رسول الله ﷺ تسمية بالمصدر للمبالغة كما في قولهم رجل عدل ورخاء .

والمعنى أن من ذكر الرسول فقد ذكر الله ، كما أنه من يطع للرسول فقد أطاع الله عز وجل ، والضمير في معليه ومسنيه ، راجع إلى الطهر والله أعلم .

١٤٠ * (يَا رَبِّ فَاجْعَلْ مَدِيحِي فِيهِ أَنْجَحُ مَا

بِهِ يَنَالُ مُرَجٌّ مَا يُرْجِيهِ) *

الفاء جواب شرط محذوف دل عليه البيت السابق ، أي يا رب إذا كان الأمر كذلك فاجعل الخ . وأنجح . ها هنا فعل تفضيل وهو إما من نجحت الحاجة إذا انقضت ، وإما من قولهم انجح الرجل إذا ظفر بمطلوبه . ويكون على مذهب سيبويه في جواز بناء فعل التفضيل من الرباعي بالهمزة كما في قولهم : هو أولاهم للمعروف ، وأعطاهم للدينار والدرهم

فصل

الدعاء في الختام

* (وَإِنَّ عَبْدَكَ يَا رَحْمَانُ يَسْأَلُكَ الْ

قَبُولَ وَالْعَفْوَ وَالتَّوْفِيقُ تَوْتِيهِ) * ١٤١

قوله عليه السلام : وإن عبدك من وضع الظاهر موضع المظمر للاستعطاف بذكر العبودية ، وكان مقتضى الظاهر أن يقول وإني وإنما عدل عنه لما في ذكر العبودية من الخضوع الذي به يستجلب الرحمة ويستحق الإجابة ، ثم بالغ عليه السلام في الاستعطاف واستئزال الرحمة بتعقب ذلك بقوله : يا رحمان وتخصيصه هذا الإسم الشريف الذي لم يسم به غير الباري عز وجل بالنداء من بين سائر أسماء الله سبحانه لما كان معناه - البليغ الرحمة المتناهية - فوق موقعاً لا تفي لشرحه العبارة ولا تحيط بكنهه الإشارة ، ومثل ذلك لا يصدر إلا عن تنوير وإلهام من اللطيف الخبير ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله على كل شيء قدير ؛ والتوفيق في اصطلاح المتكلمين ، هو اللطيف الذي يفعل المكلف عنده الطاعة ، والضمير في تَوْتِيهِ ، راجع إليه :

* (وَعِصْمَةٌ مِنْكَ يَا ذَا الطُّوْلِ مَانِعَةٌ

مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مِنَ النَّيِّرَانِ تَحْمِيهِ) * ١٤٢

العصمة في اصطلاح المتكلمين هي اللطف الذي يترك المكلف عنده المعصية ، والطول - الفضل والزيادة - يقال لفلان على فلان طول ، أي فضل وزيادة ، وفي الصحاح أنه المن ، يقال طال عليه وتطول إذا أمتن عليه ، ومن الأولى متعلقة بمانعة ، والثانية ، بتنجيه .

١٤٣ * (وَنُصْرَةٌ لَكَ مِنَّا يَا عَلِيمٌ كَمَا

يَكُونُ مِنْكَ لَنَا نَصْرٌ تَوَالِيهِ) *

قوله عليه السلام ، ونصرة ، عطف على القبول وما بعده ، وفي البيت إشارة إلى معنى قوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) وفي قوله : يا عليم ، توسل من الامام عليه السلام إلى الباري تعالى في طلب النصر منه ، بما يعلمه سبحانه من إرادة الامام لنصرة دينه واستفراغه الوسع في ذلك فهو في حسن موقعه ، قريب من قوله عليه السلام في البيت السابق : يا رحمان ، وفي البيت من صنعة البديع النوع المسمى بالعكس والتبديل ، وهو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكس فتقدم ما أخرت ، وتؤخر ما قدمت اهـ .

١٤٤ * (أَسْعِدْ وَأَرْشِدْ وَسَلِّدْ وَأَرْعَ وَأَكْفِ وَزِدْ

أَمْدُ وَأَيِّدْ عَلَى كُلِّ نُنَاوِيهِ) *

هذا النوع من البديع يسمى تفويفاً من قولهم برده نفوف إذا كان على لون فيه خطوط بيض بالطول . وقد ذكره السكاكي وغيره ، وحاول سعد الدين رده إلى غيره من أنواع البديع . فلم يتم له

ذلك ، والمناوذة . المباحدة مفاعلة من النوى الذي هو البعد .

* (وَهَبْ لَنَا رَحْمَةً يَا رَبِّ شَامِلَةً
لَنَا جَمِيعاً وَعَنَا السُّوءَ تَنْفِيهِهِ) * ١٤٥

* (وَفِي دُعَائِي أَوْلَادِي كَذَا سَلَفِي
وَأَخَوَاتِي وَكَذَا أَشْيَاعُنَا فِيهِ) * ١٤٦

* (وَالْمُسْلِمُونَ فَسَعَّنَا يَا كَرِيمُ بِجُودِ
دِ مِنْكَ يَا وَاسِعَ الْإِنْعَامِ تُرْبِيهِ) * ١٤٧

فاعل تنفيه أما ضمير الرحمة ، وأما ضمير رب ، وقوله أشياعنا فيه ، أما أن يكون حرف الجر متعلق بأشياننا والضمير المجرور لله عز وجل وإن لم يجر له ذكر لحضوره في قلب كل موحد وعدم التباسه بغيره أي أشياننا في الله عز وجل ، وأما أن يكون الكلام مبتدأ وخبراً أي وكذا أشياننا داخلون فيه ، أي في الدين ، وهو الأقرب ، ومعنى تربيته ، تكثره وتضاعفه ، والضمير راجع إلى جود .

وقد خص وعم الامام الأواب في هذه الثلاثة الأبيات بدعائه المجاب الذي ليس لمثله دون الله حجاب ، وذلك مقتض أعرافه للزكية وأخلاقه النبوية ، وشفقته على الرعية . أجزل الله جزاءه وتقبل دعاءه وأطال بقائه ونصر لواءه وأدر عليه آلاه ، وهذا دعاء للبرية شامل .

فصل

في بيان الأدب في استعمال الحمد والصلاة بعد البسملة في أول كل أمرٍ ذي بال
وفي أثنائه وخاتمته .

١٤٨ * (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي صَدْرِ الْمَقَالِ وَفِيهِ اد

خِتَامٌ مِنْهُ وَفِيهِ الْأَثْنَاءُ نُنْشِئُهُ) *

قال الامام عليه السلام في حقيقة الحمد ما لفظه : تحقيق حقائق
الحمد والمدح ، والشكر ، أن الحمد هو للثناء الحسن ، والوصف
الجميل على الفضائل ، وهي الصفات الحميدة ، والفواضل ، وهي
النعم المفيدة ، كل ذلك مما يكون بالاختيارية مثل فضيلة العلم
والسخاء والشجاعة ونحوها ، وفواضل العطاء والاحسان وصلة
الرحم ونحو ذلك ، ولا يكون على غير الاختيارية مثل حسن
الوجه ، وتمام الشكل ، وبهاء الجبين ، وكمال التقويم ونحو
ذلك ، والمدح يكون في كل من الأوصاف الاختيارية وغيرها ،
فكل حمد مدح ولا عكس .

ولا يرد على هذا ما أورده بعض متأخري المفسرين من أنه
يلزم منه ألا يصح إطلاق الحمد على صفاته الذاتية ، لأننا نلتزم
ذلك فنقول يمدح الله بصفاته الذاتية ولا نقول أنه يحمد عليها
بمقتضى وضع اللغة العربية كما لنا أن نقول : أنه يحمد سبحانه ،
ويمدح على الفضائل الاختيارية وغيرها ، ولا يصح أن للشكر
له تعالى عليها بأن الشكر مختص بأنه لا يكون إلا على الفواضل ،

وهي النعم المسداة إلى الغير وهو أخص في المدح من جهة السبب ، وإن كان أعم منها من جهة المورد لأن مورده يكون اللسان والجنان والأركان ، والحمد والمدح لا يكون إلا باللسان ، فبينه وبينها عموم وخصوص من وجهه ، وهما فيما بينهما عموم وخصوص من كل جهة ، لأن المدح أعم من الحمد من كل وجه ، والحمد والمدح أخوان كما قال في الكشف من حيث كان كل حمد مدحاً ، ولم يكن كل مدح حمداً بخلاف الشكر ، فإنه لا يقال كل حمد شكر ولا كل شكر حمد ولا مدح بل الحمد كما قال في الكشف إحدى شعب الشكر من جهة المورد فالأخوة بين المدح والحمد أقرب .

فليتأمل فإنه تحقيق لم يسبق إليه ، وإن كان قد حام كثير من متأخري محققي المفسرين والشراح عليه والله أعلم .

* (حمداً جزيلاً جميلاً لا كفاء له)

إِلَّا جَلَالَ إِلَهِ الْعَرْشِ مُعْطِيهِ) * ١٤٩

* (كذا الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ دَائِمَةً)

وآلِهِ مَا شَدَا فِي الْأَيْكَ شَادِيهِ) * ١٥٠

هذا الختام مما لم يسبق الإمام عليه السلام إلى مثله ، وذلك لما اشتمل عليه من فصاحة الألفاظ ، وجودة المعاني ، وحسن السبك

والإيدان بالانتهاء والارشاد إلى الأرب في استعمال الحمد لله تعالى ، والصلاة على نبيه ﷺ في إبتداء الكلام وأثنائه وخاتمته ، وغير ذلك مما يقصر الافهام عن إدراك غايته ويقهر الأوهام عن الترقى إلى نهايته ، وما أجدر هذا الختام الميمون بأن يتمثل في حقه المتمثلون بقول من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (ختامه مسك وفي ذلك فليتناس المتنافسون .)

وفي جامع الأصول ، عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلي علي ، فلا تجعلوني كغمر الراكب » (١) صلوا علي أول الدعاء وأوسطه وآخره » هذه الرواية ذكرها رزين ، وأخرجه الترمذي موقوفاً على عمر ، وقال في آخره حتى يصلي علي نبيك ﷺ ، وعن فضاله بن عبيد قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ، فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : عجل هذا ثم دعا فقال له أو لغيره « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد ذلك ما شاء » وفي رواية قال : بينما رسول الله ﷺ قاعداً إذ دخل عليه رجل فصلّى فقال : اللهم أغفر لي وارحمني ، فقال رسول الله ﷺ « عجبت أيها المصلي ، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علي ثم ادعه » قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك ، فحمد الله وصلى على النبي ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « أيها المصلي ادع تجب » أخرجه الترمذي .

(١) قال في القاموس غمر كصُرْدٌ : قدح صغير أو أصغر الأقداح .

وفي رواية أبي داود أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى ، ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال النبي « عجل هذا ، ثم دعاه فقال له أو لغيره ، إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ويصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء » .

قال الامام عليه السلام : الصلاة على النبي ﷺ المطلوبة من الله سبحانه ، والمشروعة على المكلفين مخصوصة بأنها بمعنى الاجلال والتعظيم الذي يحق للأنبياء عليهم السلام ، على حسب مراتبهم فلا يليق إطلاقها بلفظ التعظيم بها إلا على الرسول ﷺ بخلاف الصلاة بمعنى الدعاء بالرحمة من الله تعالى ، فانها ترد من الله سبحانه من المكلفين لغير الأنبياء كقوله تعالى : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » ، وقول النبي ﷺ : « اللهم صل على أبي أوفى ، وصلت عليكم الملائكة » .

والحاق الآل بالنبي ﷺ من تمام الصلاة عليه ، التي هي بمعنى الاجلال والتعظيم ، فلا يجوز إطلاقها على الآل جملة أو على واحد منهم أو جماعة على سبيل الاستغلال ، لأن النبي ﷺ طلب من الله سبحانه أن يكون من تمام الصلاة عليه إلحاق آله به كما ألحق آل ابراهيم به في الصلاة عليه ، فلا يكون التشبيه بالصلاة على ابراهيم لكونها أفضل من الصلاة على محمد ﷺ لما أشرنا إليه من أنه لم يطلب إلا إلحاق آله به كابراهيم ، وإذا ذكر أحد من أئمة آل محمد ﷺ باسمه بعد ذكر الصلاة على النبي ﷺ تبعاً فلا بأس به ويكون من باب الخصوص بعد العموم ، كقوله تعالى : وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل .

والصلاة على النبي ﷺ واجبة في الصلاة المكتوبة على مذهب

العترة ، والشافعي ، وجماعة من السلف وأدلة وجوبها على النبي
في الصلاة قاضية بوجوب إلحاق الآل به كما هو مذهب العترة
ورواية الشافعي وغيره .

وقد بينا أحكام الصلاة على النبي ﷺ ومعانيها ، والخلاف
فيها ، وأول ذلك في خطبة الأئمار مبسوطاً .

وآل النبي ﷺ هم أهل الكساء وذريتهم لأن الآل هو
أهل تعاقبت فيه الهمزة والهاء فلا وجه لمن قال أن الآل غير الأهل
من أتباع النبي وغيرهم لأن أهل بيته قد بينهم حديث الكساء بما
لا ريب فيه وأيضاً فإن آل إبراهيم هم ذريته بلا خلاف ، ومطلوب
النبي ﷺ أن يلحق آله به كما ألحق آل إبراهيم به ، ومن قال
أن آل النبي ﷺ أتباعه ، فما يتقحم على ذلك إلا لريح نصب
فيه ، واستدلاله بنحو آل فرعون باطل لأن آل فلان إذا أطلق
فحقيقته في ذريته التي تسبق الفهم إليها عند عدم القرائن ، وهذه
حقيقة الحقيقة ، وإطلاقه على غير ذلك على طريق المجاز بقرائن
تدل عليه ، وحديث الكساء وغيره موضح وموجب للجري على
الحقيقة ومن أدخل آل المطلب فيهم ؛ كالشافعي ، فلشغفه بلحوقه
بآل رسول الله ﷺ وبدلالة « نحن وبنو المطلب كهاتين » للخبر .

لكن حديث الكساء ونحوه يدفع ذلك وهو لمن ألحق قريشاً
بالآل أدفع وما روي عن النبي ﷺ من أنه قال : آل محمد كل
تقي ؛ فقد ذكر المحققون أنه إن صح الحديث ، فمعناه كل تقي
من آله نحو قوله تعالى (إنه ليس من أهلك) ، ولا يحل هذا بالحق
الآل بالنبي حتى يقال إن المراد بقول من يقول : الطيبين

الطاهرين ، التخصيص فليس المراد به التخصيص هناك ، بل المدح كبسم الله الرحمن الرحيم . .

فلا يليق أن يخطر الداعي التخصيص في قلبه بل المدح ، لأن آل النبي ﷺ أفضل من غيرهم على سبيل الجملة ، وخروج الفرد منهم عن التقوى لا يخرج جملتهم عن الأفضلية ، بل ولا ذلك الفرد ، لأن الفضل هنا بمعنى أن الطاعة من الأفضل أعظم موقعاً في اللطفية من المفضول ، وهذا معنى الأفضلية من الأشخاص ، والأزمان ، والأمكنة ، والأقوال ونحوها إذا أطلقت ، وقد يوصف بالفضل بمعنى النفع الموجود في المفضل كقولك الحنطة أفضل من غيرها من الحبوب ، وهل العنب أفضل من التمر ، وقد يجيء في الأشخاص بقرينة ، كقوله ﷺ « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » يعني في الالتذاذ والذوق بدليل التشبيه بالمطعموم اللذيذ ، وهي كناية شريفة ، فلا معنى لما ذكره ابن حزم وغيره بأن المراد بالتفضيل هنا الأعم في الأشخاص قال : لأن النبي ﷺ منزّه عن ذكر أحوال النساء لأننا نقول أما مثل هذه العبارة فلا كراهة فيها ، فقد جاء عن النبي ﷺ لجابر « هلا بكرا يداعبها وتداعبه » وغير ذلك ، فعلى هذا لا يجوز أن يلحق بالصلاة على النبي وآله من مثل وأصحابه في الصلاة ، لأن ذلك ليس من تمام الصلاة على النبي وآله وسلم ومخالف لتعليم النبي ﷺ المشهور الرواية ، بل لللاحق بالتواتر وقد ذكر جماعة من أصحاب الشافعي كما رواه الجوهري عن ابن عبد السلام ؛ وروي عن غيرهما أيضاً ، وقول من قال أنه يجوز ذلك من باب قياس الأولى ، لأن الصحابي

أفضل من الواحد من آل النبي ﷺ الذي ليس بصحابي: ليس بقول صحيح لما ذكرناه من أن إلحاق آله الأدينين به من تمام الصلاة عليه ، فلا معنى لذكر الأفضلية هنا ، ثم إنا لا نسلم أن الواحد من الصحابة أفضل من الواحد من آل النبي ﷺ غير الصحابة ، بل الدليل قائم على أن آل النبي ﷺ أفضل قطعاً صحابيهم وغيره وقد بسطنا في هذه الاشارات في خطبه الأثمار .

واختلف في إضافة آل إلى الضمير .

قال البطليوسي في شرح (١) ذكر أبو جعفر بن النحاس أنه لا يضاف إلا إلى الأسماء الظاهرة ولا يضاف إلى الأسماء المضمرة ، فلم يجز أن يقال صل الله على محمد وآله . قال : وإنما الصواب وأهله ، وذكر مثل ذلك أبو بكر الرشيدي في كتابه الموضوع في لحن العامة ، وهذا مذهب الكسائي وهو أول من قاله ، وأتبعناه على رأيه وليس بصحيح لأنه لا قياس يعضده ، ولا سماع يؤيده ، وقد روي أبو علي البغدادي عن أبي جعفر بن قتيبة عن أبيه هكذا ، ولم ينكره ، وروي أبو العباس المبرد في الكامل أن رجلاً من أهل الكتاب ورد على معاوية ، قال له معاوية : أتجدني في شيء من كتب الله تعالى ؟ قال : إي والله حتى لو كنت في أمة لوضعت عليك يدي من بينهم ، قال : وكيف تجدني ؟ قال : أجذك أول من يحول الخلافة ملكاً والخشنة ليناً ، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، قال : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجز الأموال ويصطنع الرجال

(١) بياض في الأصل ، فينظر .

ويجند الجنود ويبيح حرمة الرسول ، قال : ثم ماذا ؟ قال ثم يكون فتنة تشعب بأقوام حتى يفضى الأمر إلى رجل أعرف نعته بيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا منحوس ، فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال يعدو قاهراً وعلى من ناوءه ظاهراً ويكون به فريق مسترفعين قال فتعرفه إن رأيته ، قال ربما ، فأراه من بالشام من بني أمية فقال : ما أراه هاهنا ، فوجه به إلى المدينة مع ثقات من رسله ، فاذا بعبد الملك بن مروان يسعى مؤتزرأ في يده طائر فقال للرسول : ها هو ذا ، ثم صاح به : أي أبو من ؟ قال : أبو الوليد قال : يا أبا الوليد إن بشرتك بشارة تسرك ما تجعل لي ؟ قال : وما مقدارها من السرور حتى تعلم مقدارها من الجعل ؟ قال : إن تملك الأرض ، قال : ما لي من مال ، ولكن أرأيت إن تكلفت لك جعلاً أنال ذلك قبل وقته ؟ قال : لا ، قال : فأن حرمتك أيؤخر عن وقته ؟ قال لا ، قال : حسبك ما سمعت. هكذا .

روي أبو العباس وغيره في هذا الخبر من آلك وليس منك بإضافة إلى الكاف وأبو العباس من أئمة اللغة المشهورين بالحفظ والضبط ، وقال أبو علي الدينوي في كتابه الذي وضعه في إصلاح المنطق ، تقول فلان من آل فلان وآل بني فلان ولا تقول من آل الكوفة ولكن من أهل الكوفة ، فاذا كتبت قلت من أهله ولا تقل من آله إلا في قلة من الكلام ، فهذا نص بأنها لغة ، وقد وجدنا مع ذلك آل في الشعر مضافاً إلى المضممر ، قال عبد المطلب حين جاء لإبرهة الأشرم لهدم الكعبة :

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليهم ومحالمهم أبداً محالك
وانصر على آل للصليب وعابده اليوم آلك

يعني قريشاً ، لأن العرب كانوا يسمونهم آل الله لكونهم أهل البيت انتهى كلام البطليوسي ، وذكر بعد هذا للكميت وغيره من شعراء العرب ومن المولدين ، ثم عقبه بتحقيق أصل همزة آل بما أشرنا إليه أولاً ، ثم ذلك .

وفي رواية للنسائي نحو رواية أبي داود .

وقول الامام عليه السلام حمداً جميلاً منتصب على أنه مفعول مطلق ، وللعامل فيه الحمد لله .

وقوله عليه السلام : لا كفاء له أي لا مثيل له ولا نظير ، والهاء في معطيه راجعة إلى الحمد لأنه إنما حصل بأقدار الله عز وجل وتوفيقه ، فهو من عطاياه للسنية ومواهبه السرية ، ودائمة: يحمل للرفع على للخبرية وللنصب على الحالية ، والعامل فيها ما في الجار والمجرور من معنى الفعل ، والشادي في الأصل المنشد ، يقال شدى الرجل إذا أنشد شيئاً من الشعر يمد به صوته ثم استعير للطائر إذا صاح وترنم ، والأليك الشجر الملتف ، وأحدثه أيكة انتهى والحمد لله رب العالمين .

(ملحوظة)

وقع غلط مطبعي يسير جداً ولا يخفى على المطالع ومن ذلك :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٦	ليطفثوا	أن يطفثوا
٦	١٧	الشركون	الكافرون
١٨	٣	اسم الجامع	اسم المدرسة

انتهى إلى هنا كتاب « شرح قصص الحق » لمؤلفه القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران رحمه الله تعالى .

وقد ذكر في خاتمة النسخة الخطية التي اعتمدناها عند الطبع بخط كاتبها القاضي العزّي محمد بن حسن تقي ما لفظه :

قال في الأم المتول منها : كان الفراغ من رقم هذا الكتاب المبارك يوم الإثنين خامس عشر شهر شوال من شهور سنة ست وسبعين وتسعمائة من الهجرة النبوية . « قلت » وهذا يعني أن النسخة الخطية المطبوع عليها نسّخت على نسخة كتبت بعد وفاة المؤلف رحمه الله بعهده وجيزة حيث أن وفاته سنة ٩٥٧ فالفرق بين وفاته وبين كتابة النسخة تسعة عشر عاماً لا غير .

ثم إن النسخة التي اعتمدنا عند الطبع هي من كتب القاضي العلامة أحمد بن حسن بن تقي بن عبد الله حاجب الثلاثي رحمه الله ، تفضل بإعارتنا لإياها ولده القاضي العلامة حسن بن أحمد تقي حفظه الله ، ويزيد من قيمتها أنه كان القاضي أحمد تقي المذكور كتب ملاحظات بخط يده على النسخة المذكورة ، وهو معروف ومشهور بالعلم والزهد والصلاح وكان حاكماً للوقف ومفتياً شرعياً في مدينة « ثلا » من أعمال « صنعاء اليمن » عرفته أيام الدراسة في هجرة ثلا وسمعت الثنا عليه من كثير منهم السيد العلامة المجتهد المحقق عبد الله بن عبد الله أبو منصور حفظه الله ولا يعرف ذا الفضل إلا ذوهه .

هذا ما أردت لإيضاحه في ختام الكتاب والله أسأله أن يجزي من أعان على طبع الكتاب ونفقته وأن يسعد طلبة العلم الشريف ويكثر سوادهم ويرزقنا وإياهم العلم والعمل به وأن يجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم ، آمين .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين ورضي الله عن صحابته الراشدين والتابعين بإحسان إلى يوم الدين ، آمين . توقيع

حرر شهر جمادى الآخرة عام ١٣٩٤ هجرية يحيى عبد الكريم بن محمد الفضيل موافق ٨ شهر تموز سنة ١٩٧٤ ميلادية غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

الفهرس

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
مقدمة الطبعة	٥	بعض أسماء النبي (ص)	٤٥
الكتابة عن السيرة النبوية		ذكرى المعراج والإسراء	٤٧
وهدفها	٦	ذكر الاختلاف هل الاسرى	
تحقيق عن منهج الزيدية	٧	بجسده (ص) وتقرير المؤلف عن ذلك	٥٠
ترجمة الناظم لقصص الحق		تفسير (قاب قوسين)	٥٢
ومعلومات عن حياته		تفسير (ما كذب الفؤاد ما	
واصلاحاته	٨	رأى)	٥٢
أولاد الناظم		حديث فرض الصلوة	٥٣
الإمام شرف الدين رحمه الله	١٢	تفسير الخمسة الاشباح التي	
ترجمة مؤلف ابتسام البرق		رأها آدم عليه السلام	٥٤
شرح لقصص الحق	٣٠	زواج عبد الله بأمنة أم	
ملاحظات عن مصطلحات		رسول الله	٥٥
الطبعة الأولى هذه	٣١	آيات في حمل آمنه	٥٧
خطبة الكتاب	٣٣	المولد النبوي الشريف وما	
فصل في ذكر طرف مما يتعلق		رافقه من كرامات	٥٨
بعروض القصيدة وقافيتهما	٣٥	قصة أصحاب الفيل	٦٠
فصل في حسن الابتدا وبراعة		من الكرامات التي ظهرت في	
الاستهلال	٣٦	المولد النبوي الشريف	٦٣
اشارة الشارح بجودة المنظومة		قصة حليمة السعدية وأخذها	
وتفوق الناظم	٤٣	الرضيع (ص)	٦٨

أحاديث عن المولد الشريف		علي كرم الله وجهه عند	
مع الملك سيف بن ذي		الهجرة إلى المدينة	١٢٤
يزن وتبشير أسعد تبع قبله		وصول الرسول إلى المدينة	١٢٦
بالنبي الكريم	٧٥	فصل بناء المسجد ومساكن	
ذكر اختلاف قریش عند بناء		الرسول	١٢٩
الكعبة ورضاهم أن يضع		قصة عمار بن ياسر في عمارة	
الحجر ولأسود أول داخل		المسجد	١٣١
إلى الحرم	٨١	فصل المؤاخاة بين أعيان	
ذكر حري وخديجة الكبرى		المسلمين	١٣٤
وبدء الوحي	٨١	فصل في الوفود وفد الجن	١٣٥
نزول القرآن الكريم وبعض		وفد عامر بن الطفيل ووفد	
من عجائبه ووجوه		نصارى نجران وفد ثقيف	١٣٧
إعجازه	٨٦	وفد بني عامر وقصة عامر	
ذكر السنة النبوية	٩٢	ابن الطفيل	١٣٨
ذكر من سبق إلى الإسلام		وفد بني سعد بن بكر	١٣٩
من الصحابة الراشدين		وفد الجارود بن عمرو	١٤٠
وذكر شتى من كرامات		وفد بني حنيفة	١٤١
الإمام علي كرم الله وجهه	٩٣	وفد عدي بن حاتم الطائي	١٤٢
معجزات الرسول (ص)	٩٨	وفد فروة بن مسبك المرادي	
الهجرة الأولى إلى الحبشة	١٠٩	وعمر بن معدى كرب	
بيعة العقبة الأولى	١١٥	الزيدي والأشعث بن	
بيعة العقبة الثانية	١١٦	قيس ومراد بن عبدالله	
الهجرة النبوية إلى المدينة		الأزدى	١٤٣
المنورة	١١٨	كتاب ملوك حمير	١٤٤
قصة سراقه بن مالك	١٢٢	وفد فروة بن عمر عامل الروم	
فصل في استخلاف الإمام		فصل في المغازي والبعوث	١٤٥

غزوة ذات الرقاع وغزوة دومة الجندل ١٧١ غزوة المريسيع (بني المصطلق) ١٧٢ غزوة الخندق ١٧٤ نقض بني قريظة للعهد ١٧٥ غزوة بني قريظة ١٧٧ سرية عبد الله بن أنيس ١٧٨ غزوة القرطاء غزوة الغابة (ذي قرد) ١٧٩ سرية محمد بن مسلمة وسرية ابي عبيده ١٨٠ سرية زيد بن حارثة الى العيص سريته الى الطرف سريته الى جذام ١٨١ سرية علي بن أبي طالب الى بني عبد الله سرية أم قرفة ١٨٢ سرية عبد الله بن رواحه ١٨٣ عمرة الحديبية ١٨٤ غزوة خيبر ١٨٧ سريتي عمر وأبي بكر ١٨٩ عمرة القضاء ١٩٠ غزوة مؤقه ١٩٢ غزوة ذات السلاسل ١٩٣ سرية الحبط سرية أبي قتادة الى ذي لاضم ١٩٤ غزوة الفتح ١٩٥	عقد أول لواء كان للحمزة رضي الله عنه الى ساحل البحرين وعبيده بن الحارث الى «أحياء» ١٤٦ عقد لواء لسعد بن أبي وقاص وغزوة ودان وغزوة بواط وغزوة العشيرة ١٤٧ غزوة عبدالله بن جحش ١٤٨ غزوة بدر الكبرى ١٤٩ قصة عصما بنت مروان وقتلها ١٥٨ قتل أبي عفك ولإجلا بني قينقاع ١٥٩ غزوة السوق وغزوة قرارة الكدر ١٦٠ قتل كعب بن الأشرف القرظي وغزوة ذي أمر وغزوة بني سليم وسريه زيد بن حارثه ١٦١ غزوة أحد ١٦٢ غزوة حمري الأسد وسرية أبي سلمة ١٦٦ غزوة بير معونة ١٦٧ غزوة الرجيع ١٦٨ غزوة بني النضير ١٦٩ غزوة بدر الثانية غزوة عبدالله بن عتيك ١٧٠
---	--

٢١٥	الصحابة	١٩٦	بعث خالد الى بني جذيمة
	ذكر فاطمة الزهراء والحسين		غزوة حنين
	وسائر أولاد الرسول ص ٢١٦	١٩٧	غزوة الطائف
٢١٩	ذكر زوجات الرسول	١٩٨	وفد هوازن
	مناقب الحمزة والعباس		سرية الوليد بن عقبة وخبره
	ولابنيهما وأبي بكر		عن بني المصطلق وسرية
٢٢١	وعمر بن الخطاب		قطبة بن عامر كتاب رسول الله
	مناقب عثمان وسعد وسعيد وطاحه	١٩٩	الى بني حارثة بن عمر
٢٢٧	والزبير	١٩٩	سرية عاقمة بن محرز
	مناقب أبو عبيدة بن الجراح وعبد		سرية الإمام علي الى القلس
٢٣٠	الرحمن بن عوف	٢٠٠	صنم طي
٢٣٢	مناقب سعدى معاذ		غزوة تبوك وامره عاليا أن
	مناقب سعد بن عباد وسائر من	٢٠١	يخلفه في المدينة
٢٣٣	اسمه سعد من الصحابة		بعث خالد بن الوليد ومعاذته
	شيء مما أكرم الله الصحابة	٢٠٣	مع الاكيدر
٢٣٩	عمرماً وخصوصاً		بعث ابي بكر للحج بالناس
	ذكر الملائكة الذي خاطبوا الرسول		واتباعه علي كرم الله وجهه ٢٠٤
	بمضى من بعض الصحابة		غزوة علي كرم الله وجهه
	وهم على قيافة أعراب ومن		الى اليمن واجابتهم الى
٢٤٠	كانت تشبهه	٢٠٤	الإسلام
	ذكر الطفيل بن عمر الدوسي		حصر معجزات الرسول ص ٢٠٥
	والنور الذي ظهر في سوطه		بعض معجزات حنين الجذع
	وذكر مناقب للصحابة الكرام	٢٠٦	ونبع الماء وتسبيح الحصى
٢٤١	والثنا عليهم		مناقب للإمام علي كرم الله
	فصل فيمن أحدثوا بعد موت	٢٠٩	وجهه
	رسول الله (ص) وما يتبعه من		الأحاديث الدالة على فضل

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
ذكر الحمل وصفين والنهروان وغيرها وأخبار الرسول عنها والتحذير منها	٢٥٤	بأبيات شعرية من نظم عمه الرسول مع ذكر ما يتبع ذلك أمام الخلفاء الراشدين	٢٦٧
فصل في أول إشعار بقرب صعود نفس المختار (ص) إلى خالقها وخطبة الوداع وحديث الغدير وما يتبع ذلك	٢٥٤	إستشهاد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه	٢٧٥
ذكر ما كان في مرضه (ص) وتمريضه وما يتبع ذلك	٢٥٩	إمامة الحسين وما رافقها	٢٧٦
ذكر وفاته (ص) .	٢٦٤	فصل في ذكر طائفة الحق الباقية وثرقة الإسلام الناجية والأدلة القاضية بذلك .	٢٧٧
فصل في ذكر أول الاختلافات التي وقعت بعده (ص) وما كان من بكاء فاطمة وتأبينها له		شرح أول اقتضاب في المنظومة قصص الحق	٢٨٦
		فصل الدعا في الختام	٢٨٧

